الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة وهران
Université d'Oran
www.univ-oran.dz

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارةالتعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية الآداب،اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

الموضوع:

"واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي"

إعداد:

صغور أحلام

إشراف:

د. شريفي عبد الواحد

أعضاء لجنة المناقشة:

1 -شرشار عبد القادر- أستاذ- جامعة وهران- رئيسا
2 -شريفي عبد الواحد- أستاذ- جامعة وهران- مشرفا ومقررا
3 - توزان عبد القادر – أستاذ- جامعة الشلف- مناقشا
4 - شعلال أحمد – أستاذ – جامعة مستغانم - مناقشا
5 - بن سعيد محمد – أستاذ محاضر "أ"- جامعة وهران – مناقشا
6 - خضراو ي سعيد – أستاذ – جامعة باتنة – مناقشا

السنة الجامعية: 2008-2009

الشــكــر

الشـــــكـــــر

أتقدم بالشكر و العرفان إلى أستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور شريفي عبد الواحد، على ما بذله من جهد وإخلاص لمتابعة هذا العمل، ومدّي بالدعم والنصيحة والتوجيهات السديدة، وأسأل الله أن يجزيه خير جزاء.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذتي من قسمي اللغة العربية و الترجمة، على ما قدموه لي من علم وتوجيه، مما كان له أكبر الأثر وأجل النفع على بحثي، وأخص بالذكر الدكتور "بن عبد الله الأخضر"، والدكتورة "فرقاني جازية" و الدكتور" خليل نصر الدين".

و لا يفوتني في هذا الصدد أن أقدم شكري وتقديري إلى أساتذة أجلاء من خارج الوطن، ذللوا بدعمهم وعطائهم مصاعب هذا البحث، أخص بالذكر الدكتور "إدريس الناقوري"، والدكتور "محمد غرناط".

فهؤلاء جميعا حقهم أجّل من الشكر وأسأل الله أن يجزيهم أفضل الجزاء.

مقــدمــة

مـــقـــدمـــة

يعد الأدب المقارن من بين أكثر العلوم الإنسانية الحديثة أهمية، وأوسعها فائدة، نظرا لما يسهم به من زرع أسباب التآخي و التسامح بين الشعوب وتوطيد العلاقات فيما بينها، و لا يزال المشتغلون به ينتظرون منه الكثير و يأملون في الاستفادة منه ومن مناهجه الثرية و توسيع مجال الدراسة فيه، و استحداث الحقول و المناهج المختلفة.

انتقل هذا الدرس إلى الوطن العربي في إطار عملية المثاقفة الكبرى بين الأدب الغربي و الأدب العربي. و قد أحرز اهتماما بالغا في الوطن العربي عامة و المغرب العربي بوجه خاص، وعرف إقبالا واسع النطاق، فمنذ بداياته ارتبط بالمؤسسات الأكاديمية، و ازداد الإقبال على اعتماده في الجامعات المغاربية، لاسيما بعد الستينيات، حيث أظهرت الجامعات ميلا إلى تشجيع البحث و التأليف وعقد الملتقيات التي تجمع شمل المقارنين العرب.

و نحن نأمل من خلال هذه الدراسة حول **" واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي"** الاقتراب أكثر من مقومات هذا الدرس في هذه الرقعة الجغرافية التي لا تتجزأ عن الوطن العربي، و إنما هي الضرورة المنهجية التي

فرضت علينا مثل هذا التخصيص من أجل حصر المادة المصدرية من جهة، والابتعاد عن النتائج العامة و الشاملة من جهة ثانية، و التعريف بجهود المقارنين المغاربة التي تبقى أعمالهم حبيسة البلد، إلا القلة القليلة منهم، فلا يتم الاستفادة منها، بعكس الأعمال المقارنية بالمشرق العربي التي يبلغ صداها جلّ الأقطار العربية من جهة أخرى.

وتتمثل الإشكالية المؤسسة لهذا البحث في ماهية مجريات المقارنة في المغرب العربي تحديدا، بشقيها التنظيري والتطبيقي معا، أي ما هي طبيعة الجهود الحالية للمقارنين بالمغرب العربي ؟ إذ من الواضح أن الطابع التجريبي وطابع التعامل بحذر مع هذا الدرس هو السائد في الوطن العربي، و عليه فهل تعرف الدراسات المقارنة المغاربية الواقع نفسه الذي تعرفه قريناتها بالمشرق العربي؟ وفيما تتمثل خصوصيات الدراسات المقارنة بالمغرب العربي، ومميزاتها؟ وما هي توجهاتها؟ و ما دور الجامعات المغاربية في التأسيس لهذا العلم؟ بمعنى كيف يدرس هذا العلم في الجامعات المغاربية اليوم؟ و ما هو الدور الذي ينبغي أن يؤديه الباحث الجامعي، لاسيما الباحث المقارن، لتحسين المستوى التلقيني للدرس الأدبي المقارن؟ وماذا أضافت جهود المقارنين المغاربة إلى الأدب المقارن العربي؟ وما مدى إسهامها في تأسيس توجه عربي خاص للأدب المقارن؟

هذه الأسئلة، و أسئلة غيرها لا نستطيع حصرها، شكلت النواة المؤسسة لهذه الدراسة حول "**واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي**". ومن الأسباب التي حفّزتنا على الاهتمام بهذا الموضوع، هي الرغبة في المساهمة ولو بالنزر اليسير في

خدمة علم الأدب المقارن الذي حظيت أسئلته ومشكلاته باهتمامنا منذ سنوات التدرج المبكرة.

و إضافة إلى الأسباب الشخصية، هناك أسباب موضوعية أسهمت بدورها في توجيه هذا الاهتمام من بينها :

1 - السبب الأول يتمثل في القيمة الأساسية لهذا الموضوع، و هو إماطة اللثام عن المنجز المغاربي في مجال الدراسات الأدبية المقارنة التي تعرف ثراء وتنوعا متميزين كمًا وكيفًا. إذ لدينا في أعمال المقارنين المغاربة زاد يسمح بتغيير واقع الأدب المقارن في الوطن العربي إن تمّ استغلاله والاستفادة منه بشكل إيجابي.

2 - أما السبب الثاني فيتمثل في عدم وجود دراسة أو بحث يعالج قضية النتاج المقارني في المغرب العربي بصورة خاصة. فبعد الدراسة الضخمة التي قدّمها الدكتور سعيد علوش حول **"مكونات الأدب المقارن بالوطن العربي"** (1986)، والتي حاول من خلالها رسم خريطة الأدب المقارن في البلاد العربية بصورة عامة، لا نكاد نعثر على دراسة بعده اعتنت بتقييم الجهود العربية عامة و الجهود المغاربية بصورة خاصة من أجل لمّ شتاتها والوقوف على المنجز منها، ما عدا بعض الإشارات السريعة التي نعثر عليها في بعض الدراسات نحو مقالة الأستاذ بومدين الجيلالي حول **"اهتمامات الأدب المقارن في الجزائر"** الذي كرّس جهوده للتأريخ لعلم الأدب المقارن بالجزائر.

ومن خلال هذه الملاحظات تتضح الصعوبات التي تحيط بدراسة هذا الموضوع، ومن أهمها:

1 - يحتاج مثل هذا الموضوع إلى القيام بعمل أساسي و شاق في الوقت نفسه، ألا وهو عملية التجميع البيبليوغرافي لمختلف البحوث المنجزة في مجال الأدب المقارن، على مستوى مختلف بلدان المغرب العربي. واقتضت منّا هذه الخطوة جمع مراجع مختلفة، موزعة ما بين الكتب والمقالات ورسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي تمّت مناقشتها على مستوى مختلف الجامعات المغاربية في مجال الأدب المقارن، على نحو ما هو مفصّل في قائمة المصادر و المراجع المثبتة في نهاية هذا البحث.

2 - تبع هذا العمل، عمل آخر وهو قراءة المادّة المجمعّة، وتصنيفها، واختيار ما يتلاءم منها وطبيعة هذا البحث و أبحاثه، وهذا عمل تطلب دون شك جهدا ووقتا كبيرين، إضافة إلى كونها خطوة يشوبها الكثير من الحذر لأن العديد من الدراسات تدّعي الانتماء إلى مجال الدراسات المقارنة، في حين أنها لا تكاد تعدو أن تكون دراسات تحليلية نقدية لا تتطابق ومناهج البحث في مجال الأدب المقارن، ممّا يوقعنا في مجال تداخل الاختصاصات.

ناهيك عن التداخل الحاصل بين الحقول الأدبية المقارنة، بحيث يؤدي عدم الإلمام بمناهج البحث في مختلف حقول الأدب المقارن إلى ظهور دراسات مقارنة تدّعي الانتماء إلى حقل بعينه في حين أنها تنحو منحى حقول أخرى بمنهجها وروحها و نتائجها.

وأمام هذه الصعوبات، كان من المفروض تحديد خطّة للعمل تخصّ نواحي مختلفة من هذا البحث، وكان العزم في بداية الدراسة على تقسيم فصولها حسب مدارس الأدب المقارن العالمية في الوطن العربي، ولكن أسفرت الدراسة على بروز توجهين رئيسيين في ساحة المقارنة العربية، ألا وهما المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية على حساب المدارس الأخرى، وحتى تلك التي تدّعي تبني مناهج أخرى نجدها فرنسية المنهج في جوهرها، و لعلّ مثل هذا التقسيم كان سيفضي لا محالة إلى خلل منهجي، وعدم توازن بين الفصول، ومن ثمّ عدلنا عن تقسيمنا الأول وفضلنا انتهاج خطة أخرى تقوم على تقسيم الفصول بحسب حقول الأدب المقارن المختلفة، ومن ثمّ سرنا في خطتنا على النحو الآتي :

جاءت الدراسة موزعة على ستة فصول كاملة، مقسمة على النحو الآتي:

خصصنا الفصل الأول إلى مقدمة نظرية قادتنا إلى تتبع مسيرة الأدب المقارن عبر أقطار العالم المختلفة، بدءا بفرنسا مهد الدراسات المقارنية ومنشؤها، وتناولنا في هذه المحطة الظروف التي كانت وراء نشأة المدرسة الفرنسية وملابساتها، وعرضنا في ذلك لمختلف تعريفات روادها، و شرح منهجها التاريخي.

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى المدرسة الأمريكية بمنهجها النقدي، ودورها في توجيه مسار الدرس الأدبي المقارني وجهة أكثر تطورا، وأكثر شمولية، وذلك بوقوفها على مقولات المدرسة الفرنسية ونقدها وتوسيعها واستكمالها، فاتحة المجال إلى جوانب

أخرى للدرس المقارن أغفلتها المدرسة الفرنسية، ثم المدرسة السلافية بمنهجها المادي الجدلي، و المدرسة الإيطالية والمدرسة الإنجليزية والمدرسة اليابانية.

ونحن لا نزعم أننا استطعنا أن نحصر جميع المدارس الغربية لهذا العلم الذي استقطب اهتمام النقاد والباحثين أينما حلّ، وفي جميع أقطار العالم.

وخصصنا الفصل الثاني لدراسة واقع الأدب المقارن في الوطن العربي، وقد أملت علينا الضرورة المنهجية أن نقتفي أثر هذا الوافد الأجنبي منذ حلوله في وطننا العربي على يد الدارسين الأوائل، والذي يؤرخ لهم بغنيمي هلال ،رائد التأسيس. إلا أننا ارتأينا أن نعرج أيضا على المحطات السابقة التي تضمنت بعض بوادر نشأة هذا العلم في البلاد العربية على يد أقطاب الأدب العربي مثل "روحي الخالدي"، و "خليل الهنداوي" و "أحمد فارس الشدياق" وغيرهم .

تطرقنا بعدها إلى المغرب العربي في محاولة للوقوف على بدايات الدرس المقارن بهذا الجزء الذي لا يتجزأ من وطننا العربي، من أجل الوقوف على ظروف نشأته وتطوره ومميزاته .

ونحن لا ندّعي أن هذا البحث قد استطاع أن يقدم الأجوبة الشاملة، ولكننا كنّا نتوخى تقديم مادة تعمل على تطوير البحث في هذا المجال، مستفيدين مما أنجز من بحوث ودراسات في مختلف حقول الأدب المقارن.

وبعد فروغنا من الدراسة النظرية التي ركزت على الجهود المبذولة في الوطن العربي والمناهج المعتمدة، انتقلنا بدءا من الفصل الثالث إلى تصنيف الأعمال المغاربية التطبيقية حسب مختلف حقول الأدب المقارن على النحو الآتي :

خصصنا الفصل الثالث لدراسات التأثير والمصادر الأدبية، وهما حقلان متقاربان ومتشابكان، فعمدنا أوّلا إلى التعريف بحقل التأثير الأدبي بوصفه أكثر حقول الأدب المقارن استقطابا للدراسة والبحث و التنظير معاً.

فقد أثار هذا الحقل، منذ نشأته، مناقشات بالغة على مستوى أسسه المنهجية، وشهد تطورات متتالية، لاسيما مع ظهور المدرسة الأمريكية للأدب المقارن برؤيتها الخاصة، ومناهجها النقدية المتقدمة، ثمّ انتقلنا، فيما بعد، إلى رسم بانوراما عامة عن دراسات التأثير الأدبي ببلدان المغرب العربي التي واكبت اهتمام المشارقة بهذا الحقل، على الرغم من انفتاح المدارس العالمية على اتجاهات جديدة من الدراسات المقارنة، باحثين عن الأسباب الموضوعية التي كفلت لهذا الحقل مكانته المتميزة من بين جميع حقول الأدب المقارن الأخرى، وذلك على امتداد سنوات من الزمن، وصنفنا هذه الدراسات بناء على مضامينها إلى :

1 - دراسات تبحث عن أثر أدب في أدب آخر.

2 - دراسات تبحث عن أثر أديب في أديب آخر أو آداب أخرى.

وقد مكننا هذا التصنيف من التحكم في المادة المصدرية الغزيرة التي تصب في هذا الحقل، مع حرصنا على تقييم المنهج المعتمد في هذه الدراسات وتصنيفه حسب المناهج المختلفة لمدارس الأدب المقارن العالمية.

انتقلنا بعدها إلى التعريف بحقل المصادر الأدبية، الذي يعد من أكثر حقول الأدب المقارن قربا إلى دراسات التأثير الأدبي، إلا أن الفرق بينهما جلي وواضح، لاسيما على المستوى المنهجي، ففي الوقت الذي تعنى فيه دراسات التأثير الأدبي بالبحث عن أثر أدب ما أو أديب ما في أديب أو آداب أخرى، تسير دراسة المصادر في الاتجاه نفسه، حيث نراها تبحث في كل المؤثرات الأجنبية التي ساهمت في تكوين الكاتب، وقد أسعفنا البحث إلى الوقوف على بعض دراسات المصادر الأدبية لأسماء مغاربية، اعتمدناها نماذج تمثيلية للدراسة من بينها دراسة المغربي أحمد الغازي حول" **أصول مسرحيات توفيق الحكيم وطبيعة المأساوية فيها**". وأنهينا الفصل بنموذجين تطبيقيين عن دراسات التأثير الأدبي، تم اعتمادهما بناء على قيمتهما النوعية، ومكانتهما في الدراسات المغاربية المقارنة، وهما:

1 -"**تأثير الموشحات في التروبادور**"(1981)، لعبد الإله ميسوم.

2 -" **ألف ليلة و ليلة وأثرها في الرواية والفرنسية في القرن 18**"(2005) ، للدكتور شريفي عبد الواحد.

وحرصنا في دراستنا التحليلية النقدية لهذين النموذجين تمثل طبيعة المنهج المعتمد في الدراسة، وإبراز خصائصه ومميزاته.

انتقلنا في الفصل الرابع إلى حقل الصورائية، أو الصورة الأدبية IMAGOLOGIE، وهو ثاني حقول الأدب المقارن استقطابا لاهتمام المقارنين المغاربة، الذين أقبلوا على حقل الصورة بنتاجات متلونة و أعمال متجددة ومتميزة بمواضيعها ومناهجها. فعمدنا إلى التعريف به، أوّلا، وبمنهجية البحث فيه، ثمّ عرضنا مختلف الإنجازات المغاربية في هذا الحقل الذي عرف انتعاشا كبيرا، ومن أجل التحكم في المادة المجمعة صنفنا دراسات الصورة إلى ثلاثة عناصر هي:

1 ـصورة "الأنا" في أدب "الآخر".

2 ـصورة " الآخر"في أدب" الأنا".

3 ـصورة"الأنا " في أدب "الآخر"، وصورة "الأخر " في أدب "الأنا".

ودعمنا الدراسة بنموذجين تطبيقيين تمثيليين في حقل الصورة الأدبية وهما:

1 -"**المغرب وأوربا نظرات متقاطعة**" (2006) لعبد النبي ذاكر.

2 " **صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي**" لبلميلود عثمان، وهي أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة وهران سنة 2008، تحت إشراف الأستاذ شريفي عبد الواحد.

وهما دراستان متميزتان في طروحاتهما، ومتطورتان في منهجهما، تشكلان لبنة أساسية في بناء صرح الدراسات الأدبية المقارنة في الوطن العربي عامة والمغرب العربي خاصة، وسمحت دراستنا التحليلية لهذين النموذجين برسم معالم البحث في حقل الصورائية بصورة أكثر دقة وشمولية.

وانتقلنا في الفصل الخامس من الدراسة إلى حقل آخر من حقول الأدب المقارن وهو حقل "الموضوعاتية" أو "التيماتولوجيا" THEMATOLOGIE فعرّفنا به أوّلا، وفصّلنا منهجية البحث فيه، لاسيما وأن هذا النوع من الدراسات يعاني من تداخل منهجي نظرا لصعوبة البحث فيه من جهة، ومستلزماته المعرفية والإجرائية من جهة أخرى.

ولكن، وعلى الرغم من قلّة الإصدارات في هذا المجال، تمكنّا من رسم بانوراما محتشمة لدراسات "الموضوعاتية" لأقلام مغاربية أسهمت في التأسيس لهذا النوع من الدراسات المقارنة بالمغرب العربي، واخترنا دراستين متميزتين نموذجا تطبيقيا توخينا من خلالهما تحليل منهجية البحث المعتمد في الدراسات التيموتولوجية وتبسيطها، وهما:

1 -**"موضوعة جاندارك في الأدب العالمي، فرنسي- إنكليزي- ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة من 1429 إلى منتصف القرن 20"**. وهي أطروحة دكتوراه دولة

من إعداد "بن عبد الله الأخضر"، نوقشت بجامعة وهران سنة 1992، من إشراف الأستاذ عبد الملك مرتاض.

2 -"**أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي، عند جان جاك روسو وبرنارد شو وتوفيق الحكيم**"، وهي أطروحة دكتوراه دولة من إعداد نسيمة مسلاتي (عيلان)، تمت مناقشتها بجامعة الجزائر سنة2007 إشراف مختار نويوات.

انتقلنا في الفصل الأخير إل دراسة حقل الأنواع و المذاهب الأدبية، اللذان يتميزان بمنهجهما الخاص، و أعمالهما المتميزة.

وكانت الانطلاقة من خلال التعريف بحقل الأنواع الأدبية، و علاقته ببحوث الأدب المقارن، الذي يسمح البحث فيه بتقفي أصول المصادر الفنية الأجنبية للأجناس الأدبية داخل الآداب القومية. ومن ثمّ عمدنا إلى تحليل منهجية البحث فيه، ورصد إسهامات المقارنين المغاربة فيه.

ثمّ انصرفنا إلى التعريف بحقل المذاهب الأدبية ومنهجية البحث فيه، ومثّلنا لهذين الحقلين بدراستين متميزتين هما:

1 - "**الرواية البوليسية – بحث في النظرية و الأصول التاريخية والخصائص الفنية، و أثر ذلك على الرواية العربية**" (1992) لعبد القادر شرشار.

2 -"**أثر الرمزية في مسرح توفيق الحكيم** " (1986) للباحثة تسعديت آيت حمودي.

وتجدر الإشارة إلى أن طبيعة المادة التي استطعنا تجميعها هي التي أملت علينا مثل هذا التقسيم لحقول الأدب المقارن، وإن كنّا قد أغفلنا حقول أخرى مثل حقل "الترجمة الأدبية"، فذلك ليس تغييبا منّا لهذا الحقل، وإنّما لأننا لم نعثر في المادة المجمعة في المغرب العربي على ما يشفي غليلنا.

وحاولنا في خاتمة الدراسة تجميع أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

و زوّدنا دراستنا بقائمة بيبليوغرافية شاملة تضم جلّ الدراسات النظرية والتطبيقية والمترجمة الخاصة بالأدب المقارن في الوطن العربي، مع تخصيص ملحق ثان خاص ببيليوغرافيا الأدب المقارن بالمغرب العربي، إقتناعا منّا بأهمية التجميع البيبليوغرافي الذي يسمح بتصوير نظرة عامة و شاملة عن الأعمال المقارنة، مستفيدين من القوائم البيبليوغرافية الطويلة التي زوّدنا بها المقارنون العرب، مثل "بيبليوغرافيا الأدب المقارن " التي زوّدنا بها "سعيد علوش" وجهود "غنيمي هلال"، و"عز الدين مناصرة" وغيرهم، ضف إلى ذلك القائمة البيبليوغرافية التي جمّعها أستاذنا المشرف ولم يبخل علينا بها، والتي أثرت هذا الجانب كثيرا. بالإضافة إلى العناوين المختلفة التي توّصلت إليها الدراسة. ونحن لا ندّعي أننا استوفينا جميع عناوين الأدب المقارن، لأن القائمة مفتوحة على كل إصدار جديد أو عمل لم يدركه مجهودنا المتواضع.

واقتضى إنجاز هذا البحث، اللجوء إلى عدد من المناهج، والاعتماد على ما توفره أدواتها الإجرائية، إذ يبدو أن موضوعا بمثل هذه الشساعة والتنوع يفترض عددا

من المناهج لا منهجا واحدا، وذلك لأن مظاهره المختلفة لا يمكن الوصول إلى تحديدها و فهمها إلا مع الاستعانة بعدد من المناهج مثل :

- المنهج التاريخي الذي أسعفنا في رسم خريطة الأدب المقارن عالميا وعربيا، من خلال التأريخ لنشأة هذا العلم بأوربا، ورحلة انتقاله إلى مختلف بلاد العالم (أمريكا، إنجلترا، إيطاليا، ألمانيا...) إلى أن بلغ الوطن العربي، واستقرّ به وتأصل، واستطاع أن يصنع لنفسه مكانة متميزة بفضل جهود روّاده الأوائل.
- والمنهج الوصفي الذي أسعفنا في رصد بعض مظاهر تطور الأدب المقارن ووصفها بالمغرب العربي، و اتجاهاته الحديثة، وتحولاته المختلفة.
- و المنهج التحليلي النقدي الذي عوّلنا عليه كثيرا، لاسيما في تحليلنا للنماذج التطبيقية المختلفة، وذلك في إطار تحديد الأسس المنهجية للبحث في كل حقل من حقول الأدب المقارن المتنوعة الذي يتفرد كل واحد منها بأدواته الخاصة وإجراءاته المتميزة.
- و المنهج المقارن الذي استفدنا منه بصورة عملية في إطار المقارنة بين مدارس الأدب المقارن، من أجل الوقوف على جديد الدرس المقارن العالمي تنظيرا وتطبيقا. مثلما أسعفتنا المقارنة، أيضا، في تصنيف مادتنا المصدرية للمنجز المغاربي في مجال الأدب المقارن، وذلك من خلال المقارنة بين العناوين المشتركة سواء من حيث الموضوع أو المنهج المعتمد، أو من خلال مقارنتها بالأعمال البارزة للمقارنين في المشرق العربي، فذلك يسمح بملاحظة التشابهات والتحولات الحاصلة، ومدى استفادة الدراسات اللاحقة من الدراسات السابقة، وهو ما نراه أساس النهوض بالأدب المقارن في الوطن العربي.

ولعلّه من المفيد الإشارة إلى مسألة أساسية حكمت إنجاز هذا البحث، في حدود الإمكانيات المتوفرة، وهي نيّة القيام بدراسة موضوعية ومركزة، تسعى إلى وصف الحقائق وتحليلها بشكل موضوعي، بعيدا عن الآراء المسبقة والأفكار الجاهزة، وكل ذلك من أجل المساهمة في تأسيس فهم صحيح لطبيعة الدراسات المقارنة بالمغرب العربي، وطبيعة علاقتها بتقاليد الأدب العربي عامة والمغربي خاصة، ومدى إسهامها في نموه وتطوره، يقينا منّا أن نهوض الدراسات المقارنة العربية لن تأت أكلها إلا إذا أخذت بعين الاعتبار المعطيات الحضارية و الفكرية للأمة العربية.

و لقد كان للأستاذ المشرف الدكتور شريفي عبد الواحد الفضل الكبير في توجيه الدراسة ومساعدتي على تخطي الصعوبات، طيلة الفترة التي استغرقها إنجاز هذا البحث، فله جزيل الشكر والتقدير.

الفصل الأول

الأدب المقارن عالميا

I- نشأة الأدب المقارن:

يعد الأدب المقارن واحدا من بين أكثر العلوم الأدبية استقطابا لاهتمام النقاد والباحثين؛ فلم يلق علم من العلوم الإنسانية ما لقيه هذا العلم من اضطراب في مفهومه و عدم التحديد في مناهجه و اتجاهاته، بل وحتى في تسميته.

إن الدارس لنشأة هذا العلم يقف على تاريخ حافل من النقاشات الحادة والمجادلات التي تعود بنا إلى مطلع القرن 19 ، و لا تزال قائمة إلى يومنا هذا. فعلى الرغم من مضي ما يضاهي قرنين على ظهوره، و الاعتراف به فرعا من فروع الدراسات الأدبية في أكثر بلاد العالم، الغربية منها قبل العربية، لا زالت الدراسات اليوم تستعرض الأسئلة ذاتها: ما الأدب المقارن؟ ما هي أهدافه؟ هل المقارنة هدفا لذاتها، أم وسيلة للوصول إلى أهداف علمية و معرفية ...؟ و هل هو دراسة أكاديمية قائمة بذاتها أم مجرد فرع من فروع الدراسات الأدبية ؟

إنها أسئلة ترفض أن تختفي، جعلت من "الأدب المقارن" عنوانا فضفاضا يحوي بين ثناياه دراسات أدبية متباينة في مفاهيمها، متضاربة في مناهجها ومتعارضة في أهدافها.

و للوقوف على أسباب عدم الاتساق بين المشتغلين به، لا بأس من استعراض المسار العام الذي قطعه الأدب المقارن، ليس من باب التأريخ، وإنما من أجل تقفي مراحل الاتجاهات الأساسية لتطوره منذ نشأته إلى وقتنا الحاضر.

و لعل من الأمثل دائما الالتفات – و لو بصورة و جيزة - إلى جهود الباحثين الأوائل الذين قارنوا بين الأدبين الإغريقي و اللاتيني مما أدى إلى بروز جملة من الأبحاث ذات الطبيعة المقارنة. فعلاقة التأثير و التأثر، و ظواهر التلاقح والاتصال بين الآداب المختلفة في لغاتها المختلفة، ظواهر قديمة قدم الإنسانية ذاتها، و لولاها لما تواصلت الحضارات، وما عرفت الإنسانية تطورها هذا، و ما عرفت العلوم والآداب ازدهارها.

إنها حركة مستمرة، تتقاطع فيها الآداب و تلتقي، و تتحاور الحضارات فيما بينها. فبين الاستقرار و التطور، وبين الهدم و البناء، تبرز صلات التأثير والتأثر واضحة جلية مؤكدة فكرة الثلاثي روسوROUSSEAU و بيشواPICHOIS وبرونيل BRUNEL: « **لا شيء يعيش منعزلا، فالعزلة الحقة هي الموت، الكل يستعير من الكل، و هذا العمل الودي الضخم عالمي ودائم».**[1]

إنها محاولات خصبة للمقارنة، غير أنها لا تعدو أن تكون مثلما وصفها "محمد غنيمي هلال" في مؤلفه الشهير " الأدب المقارن " صورة ساذجة للمقارنة.

و استمرت المحاولات، ووجدت دراسات الأدب في القرنين السابع و الثامن عشر مناخا ملائما للأبحاث المقارنة، و أخذت في الظهور أعمال تهتم بتأثير الشعر

[1] – برونيل (بيير) و روسو (ميشيل)و بيشوا (كلود) ، ما الأدب المقارن؟ ترجمة: حنون (عبد المجيد) و عيلان (نسيمة) و رجال (عمار)، عنابة، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، 2005. ص 30

البروفنسالي على الشعر الإيطالي، و يمكننا ذكر مؤلف " دينين" DININE الشامل في تأريخ الأدب الأوروبي (1761) ، و كذا أعمال " غيردر" الذي ركز جهوده على توطيد التصور التأريخي للثقافة و كذا الكشف عن آفاق الأبحاث المقارنة .

و في ظل التطور الكبير الذي شهده النصف الأول من القرن 19، أصبحت الظروف مهيأة أكثر لتبادل كل روائع العصر المادية منها و الروحية، وأخذت فكرة الأدب العالمي WELTLITERATURE التي نادى بها " غوته "Goethe تتردد، وبدأ الاهتمام أكثر فأكثر بالآداب الأجنبية. و جاءت أعمال الإخوة شليغيل معززة فكرة **«تأريخ الأدب العالمي الذي يضم العصور القديمة والمعاصرة، فقد رسم فريديريك شليغيل بانوراما واسعة للأدب العالمي في محاضراته الشهيرة التي ألقاها في جامعة فيينا (1812)، أما أخوه أوغست ويلهلم شليغيل فقد وجه أنظار القارئ الألماني إلى شكسبير، إلى الشعر الإيطالي و الإسباني و البرتغالي (1804)، وقد قام الأخوان سوية بوضع الأسس النظرية للمدرسة الرومنتيكية. »**[1]

و قد كان للرومنتيكية تأثير بالغ في نشأة الأدب المقارن، ومن المناسب هنا ذكر "مدام دوستايل" Mme De Stael (1766-1817) و ما لها من دور في تعريف العالم الغربي، لاسيما فرنسا، بثقافة ألمانيا من خلال مؤلفها "عن ألمانيا" De l'Allemagne، حيث قارنت بين أدب الشمال ذي الطبيعة الرومنتيكية و أدب الجنوب ذي الطبيعة الكلاسيكية .« **كل هذه الأعمال المليئة بالروح الشمولية و التي تطلعت منذ بداية القرن التاسع عشر إلى إدراك الظواهر الأدبية و الثقافية في الإطار**

[1]- ألكسندر ديما، مبادئ علم الأدب المقارن، ترجمة د.محمد يونس، مراجعة د. عباس خلف ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،1987، ص 28

التأريخي المقارن هيأت، بشكل أساسي، تلك التربة الصالحة التي نما فوقها علم الأدب المقارن فيما بعد ».[1]

و حري بنا أيضا أن نتذكر الجهود النقدية لسانت بوف Saint Beuve (1804-1869) الذي التفت إلى دراسة التأثيرات التي خضعت لها نتاجات الأدباء، بمعنى أنه أولى الإنسان مكانة خاصة في دراسة الأثر الأدبي؛ و ذلك بالبحث عن عناصر تكوين فكر الكتاب وثقافته، لاسيما تلك الخارجة عن نطاق أمتهم، وهذا من صميم الدرس الأدبي المقارن، على الرغم من أن « **المعروف عنه هو أن اهتماماته الأساسية تتركز على جوانب التفرد و الأصالة في نتاجات الأدباء. »**[2]

و مع محاضرات آبيل فرانسوا فيلمان Villemain في جامعة السربون عرف الأدب المقارن نقلة نوعية؛ إذ اهتم بالدراسة المقارنة للآداب، و دراسة التأثيرات الأجنبية في الأدب المقارن، حيث تحدث عن الأدب الإغريقي واللاتيني و الأجنبي موسعا حدود المعرفة عن الأدب الفرنسي معتمدا التحليل المقارن.

و استطاعت فرنسا أن تتفرد بشرف الريادة في ظهور علم الأدب المقارن ونشأته، لأن المناخ الثقافي بها جعلها قطبا ثقافيا فنيا متميزا، عكس باقي البلدان الأوروبية الأخرى التي كانت تتخبط في صراعات و تمزقات سياسية، انعكست سلبيا على تطورها الثقافي. كما استطاعت فرنسا أيضا أن تفرض مفهوما خاصا، أصبح فيما بعد تعبيرا عن اتجاه أوروبي عام للأدب المقارن، توافق نسبيا مع أكثر الاتجاهات التي

[1] - ألكسندر ديما ، المرجع السابق - ص 29
[2] – نفسه، ص 30

كانت سائدة آنذاك في أكثر الأقطار الأوربية ومن ثم ظهرت أول مدرسة منهجية لعلم الأدب المقارن أطلق عليها تسمية " المدرسة الفرنسية "، وتوطد هذا العلم، واستطاعت هذه المدرسة أن تسود فترة ليست بالقصيرة طيلة النصف الأول من القرن 19، قبل أن تظهر في أواسط هذا القرن مدارس واتجاهات جديدة مثل المدرسة الأمريكية والمدرسة الأوربية الشرقية و غيرها.

II- مدارس الأدب المقارن:

1- المدرسة الفرنسية :

تعد المدرسة الفرنسية أول مدرسة منهجية عرفها الأدب المقارن و أقدمها، انطلقت أعمالها بفضل الجهود الجادة لروادها الأوائل الذين حرصوا على تطوير علم الأدب المقارن، أمثال " فرديناند برونتيير" FERDINAN BRENETIERE ، الذي حرص على ضرورة تناول ظواهر الأدب الغربي بشكل أوسع؛ وذلك سواء من خلال المحاضرات التي كان يلقيها من منبر المدرسة العليا للأساتذة Ecole Normale Superieure أو من خلال المقالات التي كان ينشرها في مجلة Revues des deux mondes .

و سار "جوزيف تكست" Josef TEXT على نفس خطى أستاذه برنتيير BRENETIERE وواصل أعماله المليئة بالحماس عن آفاق علم الأدب المقارن، وتمكن سنة 1895 من مناقشة أطروحته عن روسو و أصول عالمية الأدب بعنوان " جان جاك روسو ومنابع الكسموبولتية" Jean Jacques Rousseau et les origines du

cosmopolitisme littéraire سنة 1895 ، وقد كان أول بحث نظري ضخم في تاريخ هذه المادة وصفه الثلاثي روسوROUSSEAU و بيشواPICHOIS وبرونيل BRUNEL بباكورة لدراسات رصينة صدرت بعده « **أنا مؤمن بمستقبل علم الأدب المقارن وعلم الأدب الأوروبي ، لقد مهد برانديس ، ماكس كوخ ، أرِيخ شميدت الطريق لهذا العلم في ألمانيا ، هـ.بوزنيت في انكلترا ، وإننا سنسير على الطريق نفسه.** » [1] **وأعقبه "بسلسلة من الأبحاث في الأدب الأوروبي 1899 ، وكتاب بني دي جوفيل (1896- 1900) الذي احتوى على استعراض لخلاصة التأثيرات الأجنبية على الأدب الفرنسي ، و بالذات مقدمة الفهرست الواسع الذي جمعه لوي بول بيتس."**[2]

و قد خلف " تكست" TEXTبعد وفاته على منبر " ليون" فردناند بالدنسبرجر F.Baldensperger مؤلف كتاب " غوته في فرنسا " Goethe en France 1904، الذي تولى منصب أستاذ الأدب المقارن في السربون فيما بعد عندما استحدث كرسي للأدب المقارن بها سنة 1910، و استطاع أن يتبوأ مكانته طوال نصف قرن، وكان من أهم من أسهم في تحديد مفهوم الأدب المقارن الفرنسي كما **«قدم العدد الأول من "مجلة الأدب المقارن " سنة 1921 ببحث عنوانه "علم الأدب المقارن : تسمية ومادة"، فكان دور هذا البحث في بلورة ما يسمى بالاتجاه الفرنسي للأدب المقارن شبيها بدور البحث الذي ألقاه رينيه ويليك بعنوان " أزمة الأدب**

---

[1] **- برونيل (بيير) و روسو (ميشيل)و بيشوا (كلود) ، المرجع السابق. ص35.**

[2] - ألكسندر ديما. المرجع السابق ص 35.

المقارن " سنة 1958 في مؤتمر تشابل هيل في بلورة ما يعرف بالاتجاه الأمريكي.[1]»

إضافة إلى " أبحاث في تاريخ الأدب " Recherche dans l'histoire de la littérature 1907- 1939 و " حركة الفكر في المهجر الفرنسي من 1789 حتى 1815 "(1924) ، تناول فيهما تأثير الآداب الأجنبية على الأدب الفرنسي في الغالب، و هو مثلما لقبه ألكساندر ديما Alexandre Dumas: الداعية الأكثر نشاطا لعلم الأدب المقارن الأوروبي و خصوصا في الأوساط الأكاديمية.

ولا بأس أن نشير أيضا إلى تعاونه مع بيتز Betz في استكمال بيبليوغرافيا الأدب المقارن الشهيرة التي كتب مقدمتها تكست Text. وأسس مع بول آزار Paul Hazard مجلة الأدب المقارن Revue de la Littérature Comparée التي انتقل الإشراف عليها فيما بعد إلى جان ماري كاري J.M.Carré ثم مارسيل باتايون M.BATAILLONمن بعده...

[1] - فيرنر ب. فريدريك و ديفيد هنري مالون ، حدود الأدب المقارن ، ترجمة و تقديم وتعليق د. عبد الحكيم حسان ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية، ط 1 ، 2003 . ص 60

و إلى جانب هؤلاء نذكر أيضا جهود بول آزار Hazard Paul ، وهو شخصية بارزة أخرى في مدرسة الأدب المقارن الفرنسية، وهو أستاذ بجامعة السربون وكوليج دي فرانس COLLEGE DE FRANCE يهتم بالعلاقات الأدبية و الثقافية والسياسية بين فرنسا وإيطاليا (من كتابه " الثورة الفرنسية و الأدب الإيطالي " La revolution Française et la Littérature Italiénne سنة 1910 ، وحتى أطروحته " التأثير الفرنسي على إيطاليا في القرن 18 " L'influence Française sur l'Italie dans le 18siecle سنة 1934 أنجزها بالمشاركة مع أ.بيدرايدا).

اتجهت جهود هؤلاء إلى دراسة علاقات التأثير والتأثر بين الأدب الفرنسي والآداب الأوربية الأخرى، وعملت على صياغة مفهوم خاص للأدب المقارن، يتحدد في كونه العلم الذي يدرس علاقات التأثير والتأثر الحاصلة بين الآداب القومية المختلفة معتمدة منهجا تاريخيا قائما على الوثائق و المصادر،فتحول الأدب المقارن إلى فرع من فروع تاريخ الأدب.

أما بول فان تيجم Paul Van Tieghem وهو من أبرز أساتذة الأدب المقارن بجامعة السربون، وصاحب الكتاب المنهجي التعليمي " الأدب المقارن " La Littérature Comparée(1931) ، الذي أعيد طبعه أربع مرات في ظرف عشرين سنة ، و تمت ترجمته إلى لغات عديدة والذي يعد حدثا بارزا في تاريخ الأدب المقارن الفرنسي لا يقل عن جهود بلدنسبرجر في جمعه لببيليوغرافيا الأدب المقارن الشهيرة ، قال عنه سعيد علوش« **... بالدينسبرجر هو رائد أول بيبليوغرافيا للأدب المقارن ،كما يكون فانتيجم هورائد أول كتاب تعليمي حول الأدب المقارن، وهكذا تنتهي الطريقة**

الأولى بصاحبها إلى العمل الموسوعي، بينما تنتهي الطريقة الثانية بصاحبها إلى العمل المنهجي، فولوج الأدب المقارن لا يمكن أن يبدأ بدون بيبليوغرافيا لهذا الأدب، كما أن معالجة الدرس المقارن لا تستطيع أن تتخلى عن أدوات ومفاهيم التمرس بالدرس »[1] . بادئا بذلك سلسلة من المؤلفات لا تزال حلقاتها متصلة حتى الآن وفي مختلف اللغات.

يعرف فان تيجم الأدب المقارن قائلا :

" الأدب المقارن بالمعنى الأصلي للكلمة يدرس في الغالب علاقات ثنائية ، أي علاقات بين عنصرين فحسب ، سواء أكان هذان العنصران كتابين أم كاتبين أم طائفتين من الكتب أو الكتاب ، أم أدبين كاملين، وسواء أكانت هذه العلاقات تتصل بمادة الأثر الفني أم بصورته ."[2]

كما يعرف جيار الأدب المقارن بأنه:

" تاريخ العلائق الأدبية الدولية ، فالباحث المقارن يقف على الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب ،من ثم فإن منهجه في البحث يجب أن يتطابق مع تباين بحوثه "[3]

[1] - سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي ، سوشبريس ، الدار البيضاء ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي ، 1987 ص 46

[2] – – فان تييغم ، الأدب المقارن ، ترجمة د سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ، ص148.

[3] - فرانسوا غويار ، الأدب المقارن ، ترجمة محمد غلاب و عبد الحكم محمود ، لجنة البيان العربي 1956 ،ص 5.

تتضح في هذين التعريفين، أفكار جان ماري كاري J.M.Carré ، وبالدنسبرجر F.Baldensperger ، خصوصا في مجال العلاقات الدولية، فالأدب المقارن، انطلاقا من هذا المفهوم الفرنسي، يكون فرعا لتاريخ الأدب، لأن العلائق الأدبية الدولية التي ركز عليها جيار هي في جوهرها علائق تاريخية، وهو بذلك يشترك في تعريفه مع ما أقره أستاذه جان ماري كاري في تقديمه لكتابه إذ قال بأنه «**فرع من التاريخ الأدبي لأنه دراسة العلائق الروحية والدولية** »[1]

إن هذه التعاريف تعكس بجلاء انحياز أصحابها من رواد المدرسة الفرنسية إلى تاريخ الأدب بدلا من النقد الأدبي، فالأدب المقارن لديهم يدرس تاريخ الآداب المقارنة، و جعلوا من مقولة ضرورة توفر" **التأثير و التأثر** " شرطا للمقارنة.

أما تحديد جيار GUYARD للأدب المقارن فإنه يعكس ميل المفهوم الفرنسي إلى النزعة القومية، هذا على الرغم من وصف العلائق " بالدولية" . إلا أن الأصل في المدرسة الفرنسية أنها تجعل دراسة الأدب القومي أساسا للدراسة في الأدب المقارن . فالأدب المقارن انطلاقا من هذا المفهوم لا يزيد عن كونه دراسة لتاريخ الأدب القومي في علاقته بالآداب الأخرى، و بذلك يكون منطلق الدراسة المقارنة قوميا مهما انتهت إلى آفاق عالمية.

و يضيف على وصف القومية الحد اللغوي، و يجعل من الحاجز اللغوي أساسا للمقارنة، فليس أدبا مقارنا كل موازنة تتم داخل الأدب القومي الواحد أو أي مقارنة

[1] ـ فرانسوا غويار .المرجع السابق. المقدمة.

تعقد بين آداب مكتوبة بنفس اللغة؛ لأن اللغة عنصر هام في تحديد هوية الأدب القومي، لأنها تعبير عن حياة الشعوب وحامل لثقافتها ومن ثم تجعل المدرسة الفرنسية من الاختلاف اللغوي شرطا للمقارنة و أولته أهمية بالغة، وإذا ما انتفى هذا الشرط خرجت الدراسة عن دائرة الأدب المقارن.

ومما سبق نحدد مفهوم المدرسة الفرنسية التقليدية للأدب المقارن في النقاط التالية:

أولا: التركيز على منهج الدراسة في التاريخ الأدبي بدلا من النقد الأدبي، فالأدب المقارن لديهم يدرس العلاقات التاريخية بين الآداب القومية المختلفة.

ثانيا: التركيز على توفر شرط التأثير و التأثر، بمعنى وجود علاقة تاريخية فعلية بين الآداب، وفي حالة انعدام هذه العلاقة رفضت المقارنة.

ثالثا: الحد اللغوي، ولا يعد أدبا مقارنا أي دراسة تتم داخل إطار اللغة الواحدة.

رابعا : المركزية الأوربية بدلا من العالمية .

و يمكننا إحصاء عاملين جوهريين كان لهما كبير الأثر في توجيه المفهوم الفرنسي هذا الاتجاه:

1- الفلسفة الوضعية

2- النزعة التاريخية

1- الفلسفة الوضعية: من أهم نتائج ظهور الفلسفة الوضعية على الأدب :

أ- تحول المذهب الواقعي إلى الطبيعية

ب- تطبيق مناهج البحث في العلوم الطبيعية في دراسة الأدب وتفسيره.

2- **النزعة التاريخية** : ومن نتائجها :

أ- الإسراف في استخدام منهج البحث في التاريخ

ب- تعميق الحقائق غير المترابطة مع حشد من الوقائع المنعزلة

ج- العناية بالتفاصيل الخارجية وإغفال النقد الداخلي.

اجتمع هذان العاملان « **ليجعلا من الدراسات الأدبية بعامة، دراسات علمية تنظر إلى ظواهر الأدب نظرتها إلى وقائع العلوم وتدرسها على أساس منهج البحث في العلوم**».[1] لذلك كثيرا ما رددت مقولة أن الأدب المقارن هو وليد الفلسفة الوضعية.

و بعدها ظهرت المدرسة الفرنسية الجديدة المنشقة عن المدرسة الفرنسية التقليدية، ومن أهم روادها " رينيه إيتيامبل René Etiemble " الملقب بالابن المشاكس للأدب المقارن.

غير أنه من الخطأ أن نعتقد أن اللغات وحدها تشكل حدودا فاصلة بين الآداب، فكم من آداب كتبت بنفس اللغة غير أنها تختلف بينها في الثقافة والدين والعرق... ، فالأدب الإنجليزي مثلا والأمريكي و الأسترالي كلها آداب مكتوبة بلغة واحدة، إلا أنها لا تنتمي إلى أدب واحد لأن الخصائص الثقافية لكل منها مختلفة اختلافا كبيرا عن الأخرى.

2- المدرسة الأمريكية للأدب المقارن :

[1] - فيرنر ب. فريدريك و ديفيد هنري مالون ، المرجع السابق، ص12

يبدأ تاريخ الأدب المقارن في الولايات المتحدة الأمريكية في الربع الثاني من القرن التسع عشر، وذلك منذ أن استطاع هذا العلم أن يوجد لنفسه مكانة خاصة في منابر الجامعات الأمريكية المختلفة على يد فريق من العلماء لهم شأنهم من أمثال : القس شارل شانسي شاكفورد CHARLES CHANCY SHACKFORD والأستاذ أرتورو ريشماند مارش ARTHUR RICHMOND MARSH و الأستاذ هاري ليفين HARRY LEVIN ، و غيرهم ... و الذين أصدروا فيما بعد عددا لا بأس به من المجلات المتخصصة في الأدب المقارن .

إن بروز هذا الاتجاه الأمريكي الجديد للأدب المقارن جاء استجابة للمتغيرات الفكرية والمنهجية التي تطورت خلال النصف الأول من القرن العشرين، و التي وجهت سهام النقد ضد المنهج السائد في القرن 19، المتمثل في سيطرة المنهج التاريخي و فلسفته الوضعية.

ونقصد بالمتغيرات الفكرية و المنهجية المذهب الشكلي الروسي، و ما آل إليه من فكر بنيوي، ففي سنة 1914 ظهرت حلقة لسانية تدعى"حلقة موسكو اللسانية"، اهتمت بالدراسات اللغوية لاسيما اللغة السلافية، انضمت هذه الحلقة إلى " حلقة الأبوياز"، وهي الجماعة التي تدرس اللغة الشعرية (دراسة الأصوات، التركيب، الإيقاع، الصورة الشعرية، التيمة ...) فشكلتا " مدرسة الشكلانيين الروس" Le formalisme russe في روسيا سنة 1916، و كانت في أساسها حركة معارضة للنزعة التعليمية في النقد الأدبي و للمناهج التاريخية و النفسية السائدة آنذاك، تركز هذه

المدرسة على بنية العمل الأدبي، الأمر الذي يدعو إلى رفض الطروحات السياقية في مجال النقد الأدبي (قطيعة مع المؤثرات الخارجية).

و في سنه 1926 أنشئت " حلقة براغ " اللغوية و التي تعتبر امتدادا طبيعيا للمدرسة الشكلانية، و ذلك بعد هجرة بعض الشكلانيين إلى تشيكوسلوفاكيا. وفي "حلقة براغ " حل مصطلح "البنية " محل "الشكلية"، و أخذت البنيوية تتطور في تلك الفترة في كل من أوروبا و أمريكا، و يعتبر " بوسي" أول من طور الأفكار البنيوية في الأنتوبولوجيا الثقافية في أمريكا .

و من ناحية أخرى، جاء المفهوم الأمريكي سعيا إلى إحداث مفهوم جديد ومتطور للأدب المقارن من شأنه أن يتلافى أوجه القصور في المدرسة الفرنسية التقليدية، و إدانتها سببا في ظهور ما أُطلق عليه تسمية "أزمة الأدب المقارن " La crise de la littérature comparée، و ذلك مع أعمال "رينيه ويليك" RENE WELLEKمنذ سنة 1946 ، الذي استفاد بدوره من الإنجازات الأوروبية، الأمر الذي دفعه إلى التفكير في استقلالية المفاهيم، لكن أعماله بقيت مجرد محاولات إلى غاية سنة 1958 عندما انعقد " المؤتمر الثاني للجمعية العالمية للأدب المقارن" في " تشابل هيل " CHAPEL HILL في الولايات المتحدة الأمريكية – و الذي يعد بمثابة الإعلان الرسمي عن مولد مفهوم جديد للأدب المقارن هو " المفهوم الأمريكي "- ألقى خلاله " رينيه ويلك " بحثا بعنوان " أزمة الأدب المقارن " The crisis of comparative literature ، والذي بيت فيه أوجه القصور في المدرسة الفرنسية و التي حددها في النقاط التالية :

« 1- عدم التحديد في مصطلح الأدب المقارن ومناهجه.

2- الاندفاع بعوامل قومية وهي خدمة الأدب الفرنسي .

3- عدم التركيز على العمل الأدبي في الدراسة .

4- محاولة التفرقة بين الأدب العام و الأدب المقارن ، الأمر الذي أدى إلى التضييق من مجال الأدب المقارن.» [1]

يرى " ويليك" WELLEKأن البرامج التي وضعها رواد المدرسة الفرنسية أمثال " فان تيجم "VAN TIEGHEM، و" جان ماري كاريه " J.M.Carréلم تستطع أن تقدم موضوعا واضحا ولا منهجا محددا للدرس المقارن فيقول في مقالته الشهيرة " أزمة الأدب المقارن " :

« **إن أخطر دلالة على الوضع المهتز الذي تمر به دراساتنا هي أنها لم تتمكن لحد الآن من تحديد دائرة عملها ومنهجيتها. و أنا أعتقد أن برامج العمل التي نشرها بالدنسبرغر ، و فان تيغو ، وكاريه ، وغيّار قد فشلت في هذه المهمة الأساسية. فقد أثقلوا الأدب المقارن بمنهجية عفا عليها الزمن ، ووضعوا عليه أحمال القرن التاسع عشر الميتة من ولع بالحقائق و العلوم والنسبية التاريخية .**»[2]

فمحاولة " فان تيجم" التفرقة بين الأدب المقارن والأدب العام لم تنجح، لأنها لم تسهم إلا في إضافة نوع من الغموض و عدم التحديد لمفهوم الأدب المقارن، كما ضيقت من مجاله بحيث قصرته على ما هو أجنبي في الأدب، لأن « **الأدب المقارن،**

---

[1] – لمزيد من المعلومات ينظر رينيه ويليك ، مفاهيم نقدية ، ترجمة محمد عصفور. الكويت. 1987.

[2] - نفسه ، ص 362

في رأي فان تيغم ، تنحصر مهمته في دراسة العلاقة المتبادلة بين أدبين ، بينما يهتم الأدب العام بالحركات و الأنماط السائدة التي تنسحب على عدّة آداب. »[3]

من الواضح، إذن، أن النزعة القومية هي السائدة في جميع أبحاث المدرسة الفرنسية، وأن الهدف من هذه البحوث هو « **إقامة أهرام من الفضل لأمة عن طريق إثبات أكبر عدد من مظاهر التأثير من جانبها في أمة أو أمم أخرى، أو بإثبات أن الأمة التي ينتمي إليها المؤلف قد تمثلت كاتبا أجنبيا عظيما أحسن مما فعلت أية أمة أخرى.»**[1]

و أخيرا يرى أن استخدام المنهج التاريخي أدى إلى نتيجتين كلتاهما ضارة بالدراسة الأدبية الصحيحة :

الأولى: إحلال العمل الأدبي، وهو موضوع الدراسة، المرتبة الثانية من الاهتمام، بينما تعود المرتبة الأولى إلى الظروف و العوامل المحيطة بالأدب.

الثانية : تجزئة العمل الأدبي بحيث أصبحت دراسته على انه كل متكامل أمرا مستحيلا.

و بالمقابل، يلح "ويليك" على ضرورة الاعتراف بالدور الجوهري للنقد الأدبي في كل دراسة للأدب، و يؤكد على دعم مفهوم بنية العلاقة و المعنى اللذين يحددان العمل في حد ذاته، بمعنى أن نطبق المنهج البنيوي في دراستنا للنصوص، و الذي

[3] – نفسه ، ص 363
[1] – عبد الحكيم حسان / الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي و الأمريكي، مجلة فصول ، م 3 ، ع3 ، ، ص 1983

يهدف إلى تجزئة العمل الأدبي إلى عناصره المكونة له و لما كانت هذه العناصر وسائل لتحقيق نوع معين من التأثير الجمالي، كان لا بد من إعادة تركيبها لاكتشاف بنية العمل الأدبي ككل. مثلما يرى أنه علينا أن نستبدل علاقات الأسباب بالمسببات، بعلاقات القيم، لكي نصدر أحكاما قيمة تساهم في خلق قيم تكون أقل اعتباطية من القيم التي نتمسك بها أو التي يهددنا الهلاك بسببها.[1]

و لا يعد مقال " رينيه ويليك " المقال الوحيد الذي رسم معالم المدرسة الأمريكية، بل ظهرت مقالات كثيرة بعده اتسمت في غالبيتها بروح الوساطة والدعوة إلى المصالحة بين المدرسة الفرنسية و المدرسة الأمريكية ، و أهم رواد هذه النزعة التوفيقية هو" هنري رماك " HENRY REMAK الذي يعد ثاني المنظرين الأمريكان لنظرية الدرس المقارن و " أ.أون.أولدردج " A.OWEN ALDRIDGE ونستطيع حصر آراء هنري ريماك فيما يلي:

1- عدم التركيز على ما هو نظري و الخوض في ما هو تطبيقي، لأنه أكثر أهمية، بما أنه يمثل المظهر الوظيفي للأدب المقارن.

2- توضيح العلاقة بين عدة آداب مختلفة، وكذا العلاقة بين الأدب و ميادين المعرفة و الإبداع الإنساني الأخرى خصوصا الميدان الفني و الإيديولوجي.[2]

ونستطيع تلخيص آراء المدرسة الأمريكية في العناصر الآتية :

[1] - لمزيد من المعلومات ، ينظر رينيه ويلك، المرجع السابق.
[2] - لمزيد من التفاصيل ، ينظر عبد الحكيم حسان، المرجع السابق.

1- تعتمد المدرسة الأمريكية على مكونين أساسيين هما المبدأ الأخلاقي و المبدأ الثقافي. أما الأخلاقي، فيعكس موقف الحضارة الأمريكية التي تحاول الانفتاح على العالم والثقافات الأجنبية، مع المحافظة دائما على جذورها الغربية. أما المبدأ الثقافي فيسمح بأخذ بعد من هذه البانوراما العالمية والبحث عن هوية ثقافية تمكنها من الاحتفاظ بالقيم الجمالية والإنسانية للأدب.

2- على نقيض المدرسة الفرنسية المتشددة للنظرة التاريخية لإثبات عملية التأثير والتأثر أو ما أسمته السببية التاريخية La causalité historique ، فإن المدرسة الأمريكية تكتفي بمجرد وجود التشابه لعقد المقارنة بما أن هدفها الأساسي ليس إثبات التأثير و التأثر بقدر ما هو بلوغ البنية الجمالية و التشكيلية للنص المقارن .

3- وسعت من مجال الأدب المقارن عن طريق التوسيع من نطاق المقارنة لتشمل العلاقة بين الأدب ومختلف مجالات التعبير الإنساني الأخرى بما فيها الرسم، النحت الموسيقى، الفلسفة، العلوم الاجتماعية و النفسية، الأديان و الملل... و هي مزاوجة كثيرا ما تفرض تداخلا في الاختصاصات و الثقافات، فعلاقة الأدب بهذه الفنون والعلوم علاقة لا سبيل إلى تجاهلها.

4- لا تفرق بين الأدب المقارن و الأدب العام، بل ترفض حصر دراسة الأدب المقارن في نطاق أدبين لا غير.

5- ترى أنه من الضروري الاستفادة من المناهج المختلفة لدراسة النصوص الأدبية أثناء المقارنة مثل المنهج الماركسي و النفسي و الاجتماعي...

6- تهتم أولا بالعنصر النقدي الجمالي في النص ثم تلتفت إلى العوامل الأخرى.

7- تبنى المقارنة عند المدرسة الأمريكية على أساس الاهتمام بدراسة الأدب في صلاته التي تتعدى الحدود القومية.

8- منهجها في المقارنة أقرب إلى النقد وذلك لاعتمادها على البنيوية.*

و من خلال استعراضنا لأهم خصائص المدرسة الأمريكية آثرنا إقامة مقارنة بينها و بين المدرسة الفرنسية بوصفهما قطبي الدراسات المقارنة في العالم، و من تمّ نميز أهم نقاط الاختلاف بينهما في النقاط التالية :

1- إن الاختلاف الأساسي بين المدرسة الأمريكية و المدرسة الفرنسية يكمن في الضغط و الارتكاز الذي ترتكز عليه كل مدرسة على أحد العنصريين التاليين :

الأول : دراسة كيفية قيم العلاقات بين أدبين أو أكثر ، وهو ما يسميه " جون ماري كاريه " علاقات بالوقائع.

الثاني : دراسة أوجه الشبه بين عملين ينتميان إلى أدبين قوميين أو أكثر.

2- لم تهتم المدرسة الفرنسية بوضع نظريات للأدب المقارن بقدر اهتمامها المباشر في الخوض في الآداب القومية، فحصرت مهمة الأدب المقارن في رصد الظواهر الأدبية في إطار من التاريخ الأدبي ، بينما عملت المدرسة الأمريكية على كسر هذه الحدود الإقليمية الضيقة ورفضت أن تقتصر دراسات الأدب المقارن على نتاج دولة ما دون غيرها، ووسعت من مجاله حيث جعلته شاملا لجميع مجالات التعبير الإنساني المختلفة.

* ـ لمزيد من المعلومات ، ينظر ، عبد الحكيم حسان، المرجع السابق.

3- ما يمثل الهدف بالنسبة للمدرسة الفرنسية، لا يعني بالنسبة للمدرسة الأمريكية إلا الوسيلة ، لأن هدفها الأساسي يكمن في بلوغ البنية الجمالية للنص الأدبي - في حين أن المدرسة الفرنسية لم تتعرض قط لعملية التقييم الأدبي الذي يرتكز أساسا على تذوق نواحي الجمال في العمل الفني، وتبريرها و الوقوف على أسبابها، إلا بعد احتكاك لأقطاب هذه المدرسة بأنداد لهم من شتى الجنسيات.

وقد نعلل أسباب الاختلاف هذه إلى طبيعة الأمة الأمريكية ذاتها في تفتحها على العالم والثقافات الأجنبية وإلى عقلية أدبائها الذين يعدون الأدب كنزا فكريا مليئا بالقيم الإنسانية و الجمالية ، التي يجب المحافظة عليها و العناية بها ، و إلى مقارنيها ذوي الجنسيات المختلفة كالتشيكي رينيه ويلك والسويسري فرنسوا جوست والروسي فليب ستروف وغيرهم .

3- المدرسة السلافية للأدب المقارن:

تزامن ظهور الأدب المقارن في أوروبا الشرقية مع التغيرات السياسية التي عرفتها أقطار أوروبا الشرقية في النصف الأول من القرن19، فلم يمارس هذا العلم، ولم يعترف به في الجامعات الروسية وباقي أقطار أروبا الشرقية إلا بعد المرحلة اللينية و الستالينية التي جعلت من الأدب المقارن علما ممنوعا من الظهور لأنه « **أعتبر أحد العلوم البورجوازية التي لا يجوز ممارستها في بلد يسود فيه نظام اشتراكي** »[1].

[1] – عبده عبود- الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة ، مجلة عالم الفكر ، ص 281

و بعد سقوط هذه الأنظمة ظهر مقارنون على درجة عالية من الكفاءة، ساهموا في ميلاد المدرسة السلافية للأدب المقارن. و حري بنا أن نذّكر هنا أن هؤلاء المقارنين قد قاموا بأبحاثهم ودراساتهم المقارنة قبل هذا التاريخ بكثير، أمثال الروسي " فيكتور جيرمونسكي" VICTORE GERMONSKYرائد المدرسة السلافية والذي اهتم بدراسة "الملاحم البطولية الشعبية " خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن 19.*

و كانت هذه الدراسات المقارنية تبشر بميلاد عن ميلاد توجه جديد للأدب المقارن يختلف في منحاه ومناهجه عن المدرسة الفرنسية التقليدية السائدة في أروبا آنذاك، أسفر عن ظهور مدرسة جديدة تزامن ظهورها مع طهور المدرسة الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن 19، أطلق عليها تسمية المدرسة السلافية، و هي مدرسة متميزة بمواقفها النظرية و ممارساتها التطبيقية.

وكان من أبرز توجهاتها أنها لم تنح في دراساتها منحى دراسات التأثير والتأثر الفرنسية، بل كانت تنحو منحى آخر يتوافق في جوهره مع الفلسفة الماركسية والتوجه المادي الجدلي ، وهذا ما يعلل تسمية هذه المدرسة أيضا بالمدرسة المادية الجدلية أو المدرسة الماركسية أو المدرسة الأوروبية الشرقية.

من أبرز ممثلي هذه المدرسة " ديونيزدويزين"D.DIONYS، " هنري ماركييفيتش"M.HENRY، "إستيفان زويتر" ZOUITER، " " روبرت فايمان" R.FAYMAN، " فينغريد شرودر" ، "ألكسندر ديما"A.DUMAS ، والروماني

* - لمزيد من المعلومات ، ينظر عبده عبود، المرجع السابق.

"أدريان مارينو"ADRIAN MARINO...و آخرون . انطلق هؤلاء جميعا من المقولة الماركسية الشهيرة " الوجود يحدد الوعي "، و هي المقولة التي تشكل جوهر وأساس الفلسفة الماركسية التي لطالما انتقدت الفلسفة الوضعية ورفضتها بشدة وعدّتها اتجاها فلسفيا بورجوازيا.

ترى الفلسفة الماركسية أن الأدب جزء من " البناء الفوقي " أو " البناء الإيديولوجي" لأي مجتمع، يقابله " بناء تحتي " اقتصادي – اجتماعي، يرتبط به ويتأثر ويؤثر فيه، بل يتحكم في النتاج الأدبي ككل و يحدد شكله ومضامينه. فهو يتطور بتطوره ويتفاعل معه ويعبر عنه أيضا لأنه يزوده بمادته ومواضيعه.

إنه مرآة تعكس كل أشكال الوعي الإنساني التي يشهدها الوجود الاجتماعي المادي للناس، لذلك فلا دراسة للأدب بمعزل عن دراسة التطورات الاجتماعية والاقتصادية، أي دراسة مختلف الظروف والمسببات الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بنشوء الأدب و تطوره، و لا تتوقف على عوامل التأثير و التأثر.

ترى هذه الفلسفة كذلك أن هناك قوانين عامة تتحكم في حركة الأدب وتاريخه، و غالبا ما تكون هذه القوانين سارية على الآداب كلها، « **أما الفروق بينها فهي ترجع إلى فروق في درجات التطور الاجتماعي، وهي لا تلغي القوانين العامة لتطور الآداب و المجتمعات** »[1]، بمعنى أن ظهور أي جنس أدبي مثلا أو اتجاه فني، أو تيار أدبي في أي مجتمع يعود بالضرورة إلى تطور المجتمع الذي يحتضنه، وستحتضنه حتما

[1] – عبده عبود – المرجع السابق – ص 282.

مجتمعات أخرى في فترات لاحقة ، عندما تتوفر لها نفس الشروط الاجتماعية التي سمحت بظهوره في بداية عهده ليس على ظاهرة التأثير و التأثر التقليدية.

مثلما كانت طموحات رواد هذه المدرسة أوسع من حدود الآداب القومية التي تمسكت بها المدرسة الفرنسية التقليدية، إذ حاول هؤلاء التبشير بأدب عالمي يجمع كل آداب العالم الصغيرة قبل الكبيرة، ويشمل مساحة أكبر و أوسع، لكي يتمكن الأدب المقارن من تحقيق الهدف الأمثل و الأسمى ألا و هو " توحيد الآداب القومية وخلق العالم الروحي للإنسانية جمعاء " ، وهذا " ألكسندر ديما" من أقطاب المدرسة الفرنسية يقول :

« صحيح أن كل قومية هي جزء من الإنسانية، تعكس خصائص الكل، ولكن يمكن الحصول على الصورة الكاملة و الشاملة فقط في حالة ضمّ كل الخصائص القومية إلى بعضها. و كلما أخذت بعين الاعتبار مساهمة كل قومية بدقة كلما كانت اللوحة الشاملة أكثر أصالة. إن دراسة مختلف أشكال علاقات التماس بين الآداب وكذلك التشابهات المنظمة و الصفات الخصوصية لبعض الآداب تؤدي نصيبها في رسم الصورة العالمية للعالم الروحي للإنسانية جمعاء»[1].

يوسع هذا المفهوم من مجال الأدب المقارن إلى الأدب العالمي الذي نادى به جوته من ألمانيا، وكذا يلغي الحدود الفاصلة بين الآداب القومية، و يفتح المجال للآداب الصغيرة، و يمنحها مكانتها المناسبة التي لا تقل عن الآداب القومية، لأنها جزء من الذخيرة العالمية؛ فالمسالة لا تتعلق بالكمية بل بالمساهمة النوعية في مجال تطور الفن

[1] – ألكسندر ديما . المرجع السابق ،ص 187

و الأدب، « **فمن يجرؤ حاليا أن يحرم الثقافة العالمية من إبداعات الأدب البروفنسالي في شخص ميسترال والأدب باللغة العامية في شخص ريترو أدب لومباريا في شخص بورتا و أدب روما في شخص باسكاريللي؟** »[2] و غيرهم.

التفت رواد هذه المدرسة إلى تصحيح المفهوم الخاطئ للأدب المقارن السائد في المدرسة التقليدية و ذلك من خلال " إعادة النظر في الأدب المقارن" أوما أطلق عليها المقارن الروماني أدريان مارينو " Repenser la littérature comparée" ، والذي كان يهدف من خلال مسعاه هذا أن يحدد الحدود الفاصلة بين مختلف علوم الأدب و يخلصها من التداخل بينها مثل الأدب المقارن والنقد والتاريخ الأدبي و نظرية الأدب.

كما يلتفت رواد هذه المدرسة إلى بنية النصوص الأدبية ويولون الجوانب الذوقية والجمالية حقها من النقد والمقارنة، أي دراسة شعرية و أدبية الأدب وهذا الروماني " أدريان مارينو" يناقش فكرة " الشعرية المقارنة" في مقاله الشهير "الشعرية و الأدبية" La poétique et la littérarité قائلا « **أن الأدبية تنتمي إلى الأدب العالمي كله، دون تمييز، و هكذا دعم بعضهم فكرة الأدبية العالمية WELTLITERARITÄT بينما اقترحنا نحن مصطلح الأدبية المقارنية، في إطار نظرية للأدب ذات أساس مقارني، غير أنه مهما يكن الاصطلاح المقترح للأدبية، فإن**

[2]- نفسه، . ص 187

هذا الطرح يبدو لنا غير قابل للطعن. فالأدبية توجد في كل مكان، و في كل النصوص التي تمتلك هذه الخاصية كما تنتمي إلى كل آداب العالم » [1].

ويمكننا تلخيص أهم خصائص المدرسة السلافية التي تتميز بها عن باقي المدارس الأخرى في النقاط التالية :

1- تفسير مظاهر التشابه و الاختلاف انطلاقا من الخلفيات المادية المتمثلة في الواقع الاقتصادي الاجتماعي لشعبين أو أمتين لأنه عندما يكون مجتمعان على درجة متقاربة من التطور ذلك يؤدي إلى ظهور أوجه تشابه كبيرة بينهما حتى وإن لم تقم بينهما علاقة تأثير وتأثر.

2- مهاجمة المركزية الأوربية و توسيع مجال الدراسة ليشمل بلدان أروبا الشرقية وبلاد الشرق والعالم بأسره.

3- توسيع الحدود الزمنية والمكانية للأدب المقارن بالخروج من حدود الآداب القومية إلى دراسة العلاقات الدولية العالمية و الأممية عكس المدرسة الفرنسية التقليدية التي لم تهتم إلا بأن تكمل تاريخ أدبها القومي .

4- تجاوز الحدود اللغوية

5- الاهتمام بالجوانب الذوقية والجمالية للأدب.

6- صياغة مفهوم الأدب العالمي .*

---

[1] – أدريان مارينو . مراجعة الأدب العالمي ، ترجمة وتقديم عبد النبي ذاكر ، وهران ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، منشورات مخبر تعليمية الترجمة و تعدد الألسن، ط 1 ، 2005 ، ص126

* - لمزيد من المعلومات ، ينظر الكسندر ديما ، المرجع السابق.

4-المدرسة الإنجليزية للأدب المقارن :

عرفت انجلترا تغيرات ظاهرة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية على حد سواء خلال القرن 19 ، ساهمت إلى حد كبير في تشكيل نظرة متفردة خاصة بالأدب المقارن. فقد تغيرت تلك النظرة الأحادية المجردة التي لطالما ضيقت من مجال الدراسات الأدبية خلال القرون الماضية، وظهرت دراسات متخصصة حاولت أن تقدم للقارئ نظرة منهجية جديدة، فبدلا من تناول أعمال ومؤلفين ينتمون إلى فترات أدبية متباعدة ودراستهم بصورة منفردة، اتجهت هذه الدراسات إلى معالجة قضايا وأشكال أدبية من مختلف العصور وعلى فترات أدبية متداخلة.*

و لمعت أسماء رائدة، عُقدت عليها الآمال لتمكين القارئ من اكتساب مفهوم جديد عن الأدب و النقد، و أدرك النقاد والباحثون أن اكتشاف آداب أجنبية ضرورة حتمية لوجودهم حتى و إن كانت مختلفة جدريا عن أدبهم. لقد تطور الوعي لديهم وبات لا يرضيهم إلا أفق عالمي.

ولم يكن الأدب المقارن في منأى عن هذه التغيرات التي ساهمت بشكل ملموس في تحديد نظرة منهجية خاصة لهذا العلم، و ظهر ما اصطلح عليه "المدرسة الإنجليزية المقارنة"، وكان من أبرز روادها "ماتيو أرنولد" Mathieu ARNAULD ، و هنري جيفورد Henry GIFFORD و برور BREUR.

* - لمزيد من المعلومات، ينظر سوزان باسنيت ، الأدب المقارن – مقدمة نقدية- ، ترجمة : أميرة حسن نويرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999.

ولقد اتخذت المدرسة الإنجليزية موقفا وسطا بين المدرسة الفرنسية التي كانت لا تزال تصر على أهمية المعايير اللغوية في الدرس المقارن، والمدرسة الأمريكية التي كانت تبني صرحها ، وتضيف لقوائمها رصيدا جديدا من الأعمال العظيمة للأدب العالمي فاتجهت الدراسات المقارنة الصادرة عن أقسام اللغات الحديثة نحو المفهوم الفرنسي، أما تلك الصادرة عن أقسام الأدب الإنجليزي فكانت تميل نحو المفهوم الأمريكي [1].

وفي الوقت نفسه عمل التأثير المستمر للنقد الماركسي الألماني على إضعاف تأثير المدخل الوضعي الفرنسي على الدراسات المقارنة، وتحدد مفهوم خاص عن الأدب المقارن ببريطانيا ينطلق من فكرة " وضع النصوص ومقابلتها " ، بمعنى وضع النصوص جنبا إلى جنب ومقارنتها من اجل خلق قراءات جديدة عبر الثقافات المختلفة.

وتعود أصول هذه الفكرة إلى المقارن ماتيو أرنولد MATHIEU ARNAULDالذي يرى « **أن في كل مكان يوجد ارتباط وتوجد علاقة، وأن النصوص ما هي إلا جزء من لوحة هائلة مكونة من النصوص المتداخلة** ».[1]

ومعنى ذلك أن الأدب المقارن الإنجليزي يعمل على دراسة نصوص متنوعة لأدباء مختلفين من ثقافات وأعراف متباينة من أجل الوصول إلى فهم أدق وأعمق.

ويعود بنا هذا التوجه إلى أفكار غوته عن الأدب العالمي ولا بأس أن نذكر أن أرنولد كان تلميذا لغوته، و تأثر بأفكاره عن الأدب العالمي أيما تأثير، وكان ينادي أنه

[1] - ينظر سوزان باسنيت ، المرجع نفسه، ص 48
[1] - سوزان باسنيت ، المرجع السابق . ص 48

على كل « **ناقد أن يحاول امتلاك أدب عظيم واحد على الأقل بالإضافة إلى أدبه وكلما اختلف هذا الأدب عن أدبه كان ذلك أفضل** »[2] وهو أحد قوانين المخيلة الإبداعية.

ويعرف هنري جيفورد ، أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة بريستول ، وصاحب الكتاب النظري المنهجي "الأدب المقارن "COMPARATIVE LITERATURE 1965- الأدب المقارن قائلا :

« **لا يمكن للأدب المقارن أن يدعي بأنه نظام قائم بحد ذاته ، سأعرفه بأنه(مجال اهتمام) أدب نادى به غوته عندما تنبأ بالأدب العالمي حيث سيكون لجميع الأمم حدث فيه... إن ذكاء غوته الحر الشره غير المقيد يضع التصور المثالي لدراسة مقارنة** »[1].

ويتحدد مفهوم هنري جيفورد للأدب المقارن في النظر إلى الأعمال الأدبية بوصفها الناتج الطبيعي لأعمال أدبية كتبت بلغات مختلفة وعبر قرون عديدة، و على الباحث أن يعتمد في الدراسة المقارنة على استخدام جميع المصادر والإطلاع على الثقافات المختلفة واللجوء إلى أعمال متناظرة من الماضي، « **وإعمال الغريزة لاستكشاف العلاقات الحميمة والصلات الأعمق** »[2]، فالتفسير الصحيح للأعمال الأدبية يتطلب معرفة بالآداب التي تتصل بها والحركات الأدبية المعاصرة.

ويضيف هنري جيفورد أن « **أكثر المقارنات فائدة هي تلك المقارنات التي يقبلها أدباء أنفسهم أو تلك التي يتحدون قراءهم للقيام بها، تلك المقارنات التي تنبع من "صدمة التعرف " حين يصبح كاتب ما على وعي بأن ثمة علاقة بينه وبين كاتب**

[2] - هنري غيفورد. الأدب المقارن ، ترجمة : د فؤاد عبد المطلب ، سورية ، دار التوحيدي للنشر ، ط 1 ، 2001 ، ص 15
[1] - هنري غيفورد. المرجع السابق ، ص15
[2] – نفسه ، ص 132

آخر، وهذا ما شعر به هنري جيمس نحو تورجنييف، وما أحس به باوند نحو بروبرتيوس ، و بوشكين تجاه بايرون »[3].

كما شهد القرن 19 عاملا مهما كان له أكبر الأثر على مسار تطور الدراسات الأدبية المقارنة، ويتمثل هذا العامل في تراجع اللغات الكلاسيكية، وهيمنت اللغة الإنجليزية وانتشارها في ربوع أروبا.

فبينما كانت معرفة الآداب الكلاسيكية واللغات اليونانية القديمة و اللاتينية ركنا رئيسيا في النظام التعليمي لأي مثقف غربي طوال قرون من الزمن، تراجعت هذه المكانة وأصبحت معرفة اللغات الكلاسيكية مقصورة على مجموعة صغيرة من المتخصصين، فاتجه المجال للآداب واللغات الأوربية الأخرى، وبدأ الاهتمام بدراسة الآداب القومية التي كانت تبدوا أنسب بديل للأدب الكلاسيكيى، و قفزت اللغات الأوربية الحديثة إلى مركز الصدارة، وأصبح تعلم لغات عديدة دليلا على تعليم متميز في القرن20، وتبدلت مكانة اللغات الحديثة، وظهر تحول تدريجي ينحو نحو استعمال لغة واحدة في أروبا، فتراجعت اللغة الفرنسية التي كانت تعتبر من أهم لغات أروبا، لتصبح اللغة الإنجليزية اللغة العالمية الجديدة للتجارة و السوق.

5-الأدب المقارن في إيطاليا :

ظهر الأدب المقارن في إيطاليا مع بدايات القرن19 ، وأنشئ أول كرسي له بجامعة نابولي سنة 1863، ومنذ ذلك الوقت تقلب هذا العلم بين تيارات مختلفة، وبين

[3] – سوزان باسنيت ، المرجع السابق ، ص 47-48

مؤيد ومناهض له تنازعته آراء و تعاريف متباينة، وظهرت جهود جادة عملت على استمراره وتطويره مثل جهود "ي.مادالينا " Y.Madalina المكرسة لإبراز العلاقات الإبداعية المتبادلة بين ليسنغ وغولدوني سنة 1906[*] ، وكذا جهود "أرتورو فارنيللي ARTOUROU VARNILYLI الباحث الأكثر بروزا في مجال الدراسات الأدبية المقارنة بإيطاليا و الاسم الذي عرفت إسهاماته صدى واسعا في أروبا بأسرها.

وحددت هذه الجهود مفهوما خاصا عن الأدب المقارن بإيطاليا يتمثل في أنه «**النقد القائم على الموازنات الأدبية بين الظواهر الأدبية المشتركة** »[1]، والملاحظ أن هذا التحديد لا يفرق بين الأدب المقارن والنقد الأدبي ، ولا يتخذ من الحد اللغوي شرطا للمقارنة بعكس المدرسة الفرنسية التاريخية، بل لجأ أصحابه إلى استخدام التاريخ والمنهج العلمي، والتركيز على الآداب الحديثة في المقارنة وكذا البحث على الروائع الأدبية في ذلك العصر عن طريق الكشف عن مظاهر الاتفاق والاختلاف بين الظواهر الأدبية المشتركة والمتشابهة .

غير أن هذه الجهود كانت موجهة أكثر لمحاولة بناء نقد علمي، كما يذكر ذلك الباحث عطية عامر في كتابه " دراسات في الأدب المقارن " قائلا :

« نشأ الأدب المقارن – على كل حال – في إيطاليا نتيجة لمحاولة بناء نقد أدبي علمي منهجي تلعب فيه الموازنات الأدبية دورا رئيسا . »[2]

وسرعان ما ظهرت آراء "أرتورو "المناهضة للأدب المقارن في أوج تفتح هذا العلم، واتخذ الموقف نفسه في تلك الفترة أيضا، الناقد الأدبي والمؤرخ والفيلسوف

[*] - لمزيد من المعلومات ينظر ألكسندر ديما ، المرجع السابق ، ص 40-41
[1] - عطية عامر ، دراسات في الأدب المقارن ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،1989 ، ص 34
[2] – نفسه ، ص 34

الايطالي الشهير " بندتو كروتشه" Benedetto Croce ، على الرغم من أنه اشتغل في بدايات حياته الأدبية في الأدب المقارن وتحديدا في مجال العلاقات الأدبية الإيطالية الاسبانية في القرن 17.

لقد أكد كروتشيه في مقال نشره في مجلة " النقد" La Critique (1930)، التي كان يرأس هيئة تحريرها، على أن « **علم الأدب المقارن غير مدعو إطلاقا لحل مشاكل الفن الأدبي الأساسية ، وما هو إلا مجرد وسيلة بسيطة من وسائل البحث التاريخي لوضع النتاجات الجديدة داخل الأطر التقليدية، وأن النقد هو الذي يدرس العلاقات المتبادلة والاختلافات، و هو الذي يستطيع أن يثير الانطباعات الحادة**»[1].

يحيلنا هذا التعريف إلى التحديد الجديد الذي استحدثه كروتشيه للأدب المقارن و الذي غير منحى الدراسات المقارنة بايطاليا في تلك الفترة، والمتمثل في كون العمل الأدبي ما هو إلا لحمة فنية متكاملة، لذلك فمهمة النقد الأدبي ليست البحث عن التأثير الأجنبي فيها، « **فالروائع – كما يرى كروتشيه – مجهود عبقرية فردية، لا دخل للتأثيرات الأجنبية فيها**»[2]، و إنما تكمن مهمته في دراسة مولد النص الأدبي وخصوصيته، وتحديد الأصالة فيه .

و بموجب ما تقدم يعرف كروتشيه الأدب المقارن بأنه « **وسيلة بسيطة للكشف عن تاريخ مصادر النص الأدبي** »[3] ، أي أنه وسيلة بسيطة من وسائل تاريخ المصادر و تتحدد وظيفته في الكشف عن المصادر الأجنبية في العمل الأدبي وكذا القيم الفردية فيه و ليس في البحث عن التأثير الأجنبي فيه.

[1] - الكسندر ديما ، المرجع السابق ، ص 41
[2] - عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 35
[3] – نفسه ، ص35

و يضيف كروتشيه مهاجما أيضا الأدب المقارن بأنه « **لو اعتبرنا الأدب المقارن وسيلة للبحث عن الأفكار و النماذج الأدبية، فإنه لمن المستبعد أن يتمكن هذا الأدب وحده من استغلال كل ميادين النقد الأدبي، وذلك لأن هذا الأدب لا يهتم إلا بالتاريخ الخارجي للمؤلفات الأدبية، ولهذا رأى أن الأدب المقارن لا يمكنه أن يقدم لنا التاريخ العالمي للآداب، وإنما يستطيع أن يمهد الطريق لهذا التاريخ العالمي».**[1]

وقد أثرت هذه الآراء في عدد لا بأس به من الباحثين أمثال فرديناندو نيري FEDINANDO NERI ، الذي يؤكد عدم شرعية هذا العلم، وعملت على توقف مسيرة تطوره بايطاليا مدة من الزمن، ولكن سرعان ما عادت إلى الظهور أبحاث مثل بحث ج. بيليغريني G.BELIGHRINI حول " شعر المواعظ الإنكليزي في ايطاليا في القرن 17" سنة 1958 ، كما أن تحديدا جديدا للأدب المقارن ظهر على يد الباحث الإيطالي " براز "PRAZ الذي يرى أن « **الأدب المقارن هو تاريخ مدعم بالوثائق للمجهودات الوطنية في تطوير الأذواق والأفكار الشعرية»**[2] .

و يعود بنا هذا التحديد من جديد إلى التاريخية، غير أن المنهج التاريخي المعتمد يختلف عن ذاك الذي حددته المدرسة الفرنسية التقليدية، و إنما هو تاريخ أدبي وطني أكثر سعة وعمقا.

6- المدرسة الألمانية :

[1] – عطية عامر ، المرجع السابق ، ص 35
[2] – نفسه، ص 36

عرف الأدب المقارن بألمانيا بدايات محتشمة على يد " ليسنغ " LESING و"هيردر" HIRDERخلال النصف الثاني من القرن18 ، غير أنه في الثلاثينات من القرن 19 خطا إلى الأمام خطوات فعلية مع جهود الأديب الألماني الشهير " جوته " GOETHE حول الأدب العالمي WELT LITERATURE ، و الكثيرين من بعده ممن ساروا على هديه داخل ألمانيا و خارجها.

بشر جوته بميلاد أدب جديد أطلق عليه صفة العالمية التي تلغي صفة "الحدود"، "المحلية " ، " الانعزال "، " التقوقع "...ليحل محلها صفة"التواصل " ، "التبادل "و " التلاقح " ليتخلص الأدب من صفة القومية إلى العالمية التي تنصهر فيها كل الآداب القومية .

لقد كان جوته يؤمن بأن التبادل ليس حكرا على المجالات الاقتصادية أو التجارية فقط ، فالآداب أيضا بإمكانها أن تتواصل و تتلاقح بفضل جهود مبدعيها، لتتجاوز نطاق القومية وذلك بتبني المؤلفين لمفهوم العالمية في كتاباتهم، من خلال التوجه بأعمالهم إلى جمهور عالمي، بمعنى أن يكتب وهو يضع في الحسبان أن تلك الأعمال ستستقبل أيضا خارج حدود أدبه القومي، لا أن يكتب إلى جمهوره المحلي فقط. فقد كان جوته يطمح إلى إزالة الحواجز و لقاء الثقافات غير أن اصطلاح الأدب العالمي بهذا المفهوم أثار الكثير من النقد وعرف تطورات بعده.

عرف الأدب المقارن في الجامعات الألمانية بوصفه فرعا من فروع التاريخ الأدبي، إلى أن جاء الأستاذ " كاسبر دانيال مورهوف " K.MORHOF ، و أدرجه تحت اسم الأدب العام.

ويعود الفضل في إرساء هذا العلم إلى الأخوين " شليغل " اللذين بذلا جهدا يفوق الآخرين في تعزيز فكرة تأريخ الأدب العالمي، ووضعا سويا الأسس النظرية للمدرسة الرومنتيكية، تليها جهود ماكس كوخkah الذي أوجد أول مجلة متخصصة للأدب المقارن سنة 1887 في ألمانيا، قدم من خلالها أبحاثا ودراسات أضافت الصبغة الأكاديمية على دراسات الأدب المقارن في مختلف الميادين لا سيما في « **دراسة الخرافات و الأساطير والحوادث والأمثال الشعبية الشائعة ليس فقط في اروبا، ولكن خارجها أيضا بما في ذلك الهند وإفريقيا والصين، وهو الذي تناول مع تاريخ الأدب التاريخ الديني والسياسي»**[1] ، فتمكن من استحداث حقول جديدة للأدب المقارن نجملها في الحقول التالية:

« 1- فن الترجمة

2- تاريخ الأشكال و الموضوعات الأدبية

3- تاريخ الأفكار السائدة في العصر

4- العلاقة بين تاريخ الأدب و التاريخ السياسي

5- الروابط بين الأدب والفنون التشكيلية ، وبينه وبين التطورات الفلسفية

6- علم الفولكلور الذي وصل إلى مرحلة النضج وأصبح يجبر على الاحترام بعد أن كان مهملا منبوذا من الجامعيين »[2].

وتواصلت الجهود لتطوير الأدب المقارن ،و ظهرت محاولات لإنشاء كراسي لهذا العلم في الجامعات الألمانية، لكن بظهور النازية عرف الأدب المقارن تراجعا

[1] - عز الدين مناصرة ، مقدمة في نظرية المقارنة ، عمان ، دار الكرمل للنشر ، 1987 ، ص 105
[2] - نفسه ، ص 105

ملحوظا بسبب منع قراءة المؤلفات الأجنبية مثل أعمال شكسبير وموليير وبوشكين، لأنها صادرة عن الدول الأعداء إلى أن انتهى الأمر إلى منع الأدب المقارن بألمانيا.

استرجع الأدب المقارن مكانته شيئا فشيئا بعد الحرب العالمية الثانية ، وتحددت اتجاهاته وأنشئت كراسي في مختلف الجامعات الألمانية، وكان الاهتمام منصبا على آداب أقطار أوروبا الغربية والأساليب العامة لتطورها.

كما انصرفت الدراسات الألمانية إلى الاهتمام بنظرية تاريخ الموضوعات نظرا لتطور الأدب الشعبي والأساطير « **على اعتبار أن المبدأ الأساسي في الإبداع هو العودة إلى جذور البراءة الإنسانية أو طفولة العالم لأن الصفاء البشري يتمثل فيها، ولأنها تحمل صفات وحدوية.»**[1]

صدر سنة 1968 كتاب للناقد الألماني المعروف، وأستاذ اللغة الألمانية والأدب المقارن بجامعة أنديانا الأمريكية " فايسشتاين " WEISSTEIN بعنوان:"مدخل إلى علم الأدب المقارن " ترجمه إلى الإنجليزية " وليام ريغان " عام 1973 ، وتولت ذات الجامعة نشره بعنوان " الأدب المقارن والنظرية الأدبية " COMPARATIVE LITERATURE AND LITERARY THEORY" . يركز فليسشتاين على أهمية التركيز على تذوق جوانب الجمال في العمل الأدبي مع تبريره، وكذلك مع تهيئة كل الظروف للمقارنة بين التعبير الأدبي و صور التعبير الأخرى، لا سيما بين الموسيقى والرسم، و يرجع الفضل في ذلك إلى "هنري ريماك" موسعا دائرة المقارنة منذ عام **.19612**

[1] - عز الدين المناصرة . المرجع السابق ، ص 108

كما حاول تحديد الفرق بين التأثير و التقليد موضحا أن التأثير هو تقليد لا شعوري و أن التقليد هو تأثير شعوري،« **فكل العصور ترفض التقليد الذي يتخذ صورة السرقة، و يحيط الشك بالسرقة : أين تنتهي ...و بالاقتباس الخلاق أين يبدأ . فالمؤلف -كما يقول شو -في حالة التقليد ينزل عن شخصيته الخلاقة ، قدر ما يستطيع لشخصية مؤلف آخر أو عمل بعينه. والمؤلف في حالة الاقتباس عن عمل بلغة أجنبية يعمل انطلاقا من ترجمة حرفية من اجل تحوير تقاربي أو محاولة للتكييف مع ذوق جمهور مختلف** »[1] .

وخلاصة القول يتبيّن، بعد هذه الالتفاتة السريعة إلى خريطة الأدب المقارن في أروبا وخارجها، أن تضاريس الصورة المقارنية تتفاوت تفاوتا كبيرا عبر الزمان والمكان . فقد عرف هذا العلم منذ بداياته المحتشمة تفاعلا كبيرا مع مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية ، مستمدا منها أسسه النظرية و توجهاته التطبيقية .

أفرزت هذه التفاعلات ظهور اتجاهات متنوعة ومتعددة شهدها الأدب المقارن مفهوما ومنهجا، فظهرت مدارس متخصصة في كل أصقاع العالم، أولها المدرسة الفرنسية ذات الاتجاه الوضعي التاريخي، التي أقامت أسسها على علاقة التأثير والتأثر بين الآداب وحصرت ميدان المقارنة في دراسة العلاقة بين أدب قومي معين و بين أدب قومي آخر أو مجموعة من الآداب، و جعلت من الأدب المقارن العلم الذي يؤرخ للعلاقات الخارجية بين الآداب أما الجوانب الجمالية و الفنية و الذوقية أي البنية الداخلية للعمل الفني فلم تكن ضمن اهتماماتها، إلا نادرا، وهو عيب سلط أسهم النقد

[1] – عز الدين المناصرة . المرجع السابق ، ص 109

الحديث إلى هذا التوجه الفرنسي ووجدت منه المدرسة الأمريكية مادة غضة أسست عليها مفهومها الخاص عن الأدب المقارن و الذي نصفه بأنه ثمرة تلاقح بين هذا العلم و بين التوجهات الجديدة للنقد الجديد التي شهدتها مطالع القرن العشرين.

فقد ظهر الاتجاه الأمريكي استجابة للمتغيرات الفكرية و المنهجية التي تطورت خلال النصف الأول من القرن العشرين، و سعى بدوره إلى تلافي أوجه القصور للمفهوم الفرنسي بوجه خاص، و حولت مجال اهتمام الدراسات المقارنة من العناصر الخارجية المحيطة بالأثر الفني، إلى الولوج إلى دواخل الآثار نفسها وتلمس مواطن الجمال فيها، أي إحلال العمل الأدبي موضوع الدراسة المرتبة الأولى من اهتمام الدرس المقارني، و أحدث هذا التوجه تغييرا كبيرا في حقل الدراسات الأدبية، حيث أعاد لها طابعها الأدبي الذي يهتم أولا بالعنصر النقدي الجمالي في الأدب.

ومن النقائص الأخرى التي أخذها الاتجاه الأمريكي على نظيره الفرنسي، محاولة المدرسة الفرنسية التفرقة بين الأدب المقارن و الأدب العام، وهو فرق قائم على قضية شكلية بحث، تتمثل في كون أن الأدب العام هو الأدب الذي يدرس العلاقات المشتركة بين أكثر من أدبين، أما الأدب المقارن فهو لا يتعدى العلاقة الثنائية بين أدبين أو بين أديبين أو... غير أن المدرسة الأمريكية نفسها لم تكن في منأى عن هذا الخلط بين المفهومين وما تدريس الأدب العام بجامعاتها إلى يومنا على هذا النحو إلا دليل على أنها لم تتوصل إلى تحديد فرق واضح بين الأدب العام والأدب المقارن.

كما عابت المدرسة الأمريكية على المدرسة الفرنسية نزعتها القومية إلا أنها سقطت في نفس النزعة من حيث لم تكن تعلم، انطلاقا من رفضها أن ينظر للأدب

الأمريكي على أنه جزء من الأدب الإنجليزي، مؤكدة على خصوصية الأدب الأمريكي وتميّزه .

و من المعايير التي فرضتها المدرسة الفرنسية أيضا هو اعتمادها الحد اللغوي فاصلا بين الآداب المقارنة، بينما ترى المدرسة الأمريكية أن هذا الحد بالذات قاصر أكثر من كل المعايير الأخرى لأنه يضعنا أمام مشكل خطير يتمثل في تحديد الهوية الأدبية و الحضارية و الثقافية لبلد ما، انطلاقا من مبدأ أن الحدود اللغوية لا تنطبق دائما على الحدود السياسية، لأنه يمكن للغة الواحدة أن تمارس خارج الحدود السياسية للبلد الواحد وهو حال اللغة الإنجليزية التي تستعمل في أمريكا و بريطانيا .

و إلى جانب المنهج التاريخي و المنهج النقدي تبرز المدرسة السلافية الروسية معتمدة نظرية الأدب المادية الجدلية، متخذة موقفها الخاص من التطورات الفكرية، معتمدة المنهج الماركسي القاضي بوجود علاقة جدلية بين القاعدة المادية والبناء التحتي للمجتمع، وبين البناء الفوقي الذي تشكل الثقافة والأدب أهم مكوناته. وتعلل التشابه و الاختلاف الموجود بين الآداب لا بفعل علاقة التأثير و التأثر وإنما نتيجة لتوفر الشروط و المقدمات الاجتماعية ذاتها بين المجتمعات. والظاهر أن المنهج المادي من أكثر معارضي المنهج التاريخي فكان من الطبيعي إذن أن يحصل تناقض جذري بين الأدب المقارن الفرنسي التاريخي و بين الأدب المقارن الروسي المادي، ولعل التعارض الشديد بينهما راجع إلى أن النظرية الأدبية الماركسية تسعى إلى توجهات عالمية و أممية في حين أن الاتجاه الفرنسي، كما أسلفنا، كان ذا نزعة قومية، و لا يطمح في أكثر من أن يكمل تاريخ ذلك الأدب.

و يأتي الاتجاه الألماني موجها الأنظار إلى نتائج نظرية التلقي الأدبي ونشوء دراسات التلقي الإبداعي و النقدي وما أحدثته من أصداء على الدراسات المقارنة، لاسيما على مفهوم التأثير إذ يعتبر أن عملية التأثير هي عملية لاحقة لفعل التلقي، و أن أي تأثير لم يسبقه تلق فهو تأثير سلبي، فالتلقي إذن هو طرف فاعل وديناميكي وإيجابي، و حلقة سابقة للتأثير و التأثر.

لقد وجد هذا الاتجاه أصداء واسعة و إقبالا طيبا و تحولت ميادينه ميادين أساسية من مادين الأدب المقارن، لأنه وسع من أفاق الدراسات المقارنة، وطورها نتيجة التفاعل المنتج الذي حصل بين الأدب المقارن و بين نظرية التلقي الأدبي، كما زودها بأدوات نظرية معاصرة، وأغنى حقول الأدب المقارن، وحرره من عبء المفاهيم البالية وفي مقدمتها " التأثير و التأثر " ودراسته.

لم يتوقف الأدب المقارن لدى هذه النظريات فحسب، فقد اتسعت مساحته ليستوعب أكثر فأكثر اتجاهات حديثة أخرى و معاصرة، مثل البنيوية و السيميائية والتفكيكية ونظرية التناص و غيرها ... هذه العلاقات التي من شأنها أن تثري الأدب المقارن أكثر وتغني اتجاهاته أكثر، لاسيما وأننا نعيش في هذا العصر تحولات سريعة في كل العلوم، ومنها علوم الأدب والعلاقات الأدبية الدولية اليوم تنعم بأسباب الاتصال والتواصل والتلاقح أكثر من أي يوم، و بالتالي فالأدب المقارن يستطيع أن يستفيد أيما استفادة من تحولات العصر، وليواكب مستجداته، غير أن مصير الأدب المقارن متوقف على المقارنين أنفسهم .

و إن كان هذا هو حال الأدب المقارن الغربي ، مزيج من التضارب والتنافس والتطور، فما هو واقع الأدب المقارن العربي ، وهل نستطيع اليوم الحديث عن توجه عربي للأدب المقارن؟؟؟

سؤال لن نزعم الإجابة عنه في العنصر اللاحق، وإنما هي مساهمة في تشخيص واقع الأدب المقارن في البلاد العربية، من خلال جهود روّاده الأوائل، وتطوره، على مدار سنوات عمره اليانعة في الوطن العربي.

الفصل الثاني

الأدب المقارن عربيا

- الأدب المقارن عربيا

تقديم:

وفد إلينا من الغرب، أين نما و ترعرع في تربة غربية خصبة، كفلته بالرعاية والاهتمام اللازمين ليستوي على عوده و يشتد ساعده، وتسرب إلى البلاد العربية، فاكتسى أهمية تدريجية، اتسمت بالإعجاب به أولا، و الالتفات إليه ثانيا، و الترويج له أخيرا، بمواصفاته الغربية وحقوله و موضوعاته ومناهجه التي تواضع عليها الغرب، وما يتناسب وواقعهم الاجتماعي و السياسي و الثقافي، وتبناها الدارسون العرب دون أن يحيدوا عنها قيد أنملة، في قائمة بيبليوغرافية طويلة ظلت قاصرة إلى يومنا عن تحقيق الهدف المأمول و المرتجى، و المتمثل في بلوغ " أدب مقارن عربي "، أو لنقل مدرسة عربية للأدب المقارن لها خصائصها و مميزاتها التي تنفي عنها تهمة التبعية والاستلاب إلى الغرب.

و نحن من خلال هذا التقديم، لسنا معنيين بتقديم سرد تاريخي لنشأة وتطور الأدب المقارن في البلاد العربية، على مدى سنوات عمره اليانعة، زهاء ما يقارب القرن من الزمن، فهذا ليس هدف الدراسة. لقد سبقتنا إلى هذا الطرح أقلام خصبة تصدت لهذه المهمة، وكانت شاهدا حقيقيا على سنوات تألق الأدب المقارن في الوطن العربي، و لنا في حسام الخطيب و البيبليوغرافيا التي قدمها للأدب المقارن سراجا منيرا، على الرغم من إغفالها لجهود المقارنين بالمغرب العربي الذين نحسب أن لهم

باعا كبيرا في هذا المجال، وجهود "سعيد علوش" في ما اصطلح عليه تفاؤلا تسمية "مدرسة عربية للأدب المقارن " لم ينجل ليلها بعد، و غيرهم.

غير أن طبيعة هذا التقديم تبعثنا على الدخول المنهجي السليم لتمثل مسار تطور الأدب المقارن في الوطن العربي، الذي نجده يسير وفق خط تصاعدي من حيث القصدية و النضج و التكامل، نستظهر من خلاله ثلاث محطات أساس من رحلة الأدب المقارن عبر خريطة الأقطار العربية، وهي :

1 -الإرهاصات

2 -التأسيس

3 -الترويج

1- الإرهاصات :

نقصد بها تلك المحاولات المبكرة للأدب المقارن التي سبقت المفهوم الناضج المتكامل على يد أساتذة متخصصين . إنها دراسات مبثوثة في تراثنا العربي تعوزها القصدية والدقة، إلا أنها ثمرة إيمان بأن أدبنا العربي لم يكن يوما بمنأى عن آداب الأمم الأخرى، و لنا في نصوص هذا الأدب عبر مسار تاريخه الطويل من الشواهد ما يدل على قيام هذه الصلات. لا سيما في عصرين من هذه العصور، نعتبرهما الأكثر تمثيلا لمعادلة التفاعلات الأدبية بحديها، تأثرا وتأثيرا. أما العصر الأول فهو العصر العباسي، أو العصر الذهبي للأدب العربي، و أما الثاني فهو العصر الحديث.

و قد تصدت لهذه الصلات المتبادلة أقلام واعية تتمتع بنظرات متقاطعة، متفحصة، راحت تتحسس الروافد الداخلة و الخارجة عن أدبنا العربي، أمثال الجاحظ وابن النديم و ابن كثير ... ثم خلفهم رجال تشبعوا بالثقافات العربية، فتدرجت جهود هؤلاء شيئا فشيئا إلى القصدية و النضج إلى أن استكمل هذا المفهوم علي يد غنيمي هلال.

فهذا "ابن نديم" في كتابه " الفهرست"، يقدم لنا نماذج تأثير و تأثر صريحة بين البابليين والمصريين و الفرس و اليونان و الهند و الصين و العرب، وكيف كان تبادل العلوم على مدار التاريخ.*

و" ابن كثير" الذي أخذ على عاتقه مهمة إثبات تحريف التوراة وفسادها، فراح يقارن بينها و بين النص القرآني منطلقا في منهجه من مسلمة تطابق الحقيقة الدينية بين القرآن و أسفار التوراة القديمة، وأن مصدر الاختلاف مرده إلى التحريف الذي أصاب التوراة[1]، أو سوء ترجمتها إلى العربية، و يلقي باللائمة على المترجمين وعلماء اليهود الذين أساؤوا إلى التوراة، متخذا من القرآن الكريم معيارا لما عهده به الله من الحفظ من التحريف، مصداقا لقوله تعالى **" إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذكرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُون"**[2] ، و السنة النبوية الشريفة .[3]

* - ينظر ، ابن نديم ، "الفهرست".

1 - لمزيد من المعلومات ، ينظر داود سلوم، الأدب المقارن ، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ، 2003.

2 - سورة الحجر . الآية 09.

3 –. لمزيد من المعلومات ، ينظر داود سلوم. المرجع نفسه.

ومع تغير الظروف الحياتية، عرف العالم أوضاعا مختلفة تمثلت في الاكتشافات الجغرافية والرحلات و الحروب، أتاحت الاتصال المبكر بين الحضارة العربية و الحضارات الغربية، وقد أخذت هذه العلاقة أشكالا مختلفة متمثلة في الإستشراق و البعثات العلمية و الرحلات والترجمة و الحروب الاستعمارية، مما سمح بالانفتاح على الآخر، و الإطلاع على نمط جديد من الحياة الثقافية؛ انجر عن ذلك ميلاد رؤية متفحصة مزدوجة حول الذات والآخر، تزعمها كل من رفاعة الطهطاوي و الحمصي و ناصيف اليازجي و أحمد فارس الشدياق و سليمان البستاني وأديب إسحاق و عبد الرحمن الكواكبي و محمد عبده و قاسم أمين و جورجي زيدان وغيرهم، وأصبحت أكثر نضجا في كتابات الجيل التالي. وإن كان المقام لا يتسع لتناول كل جهود الرعيل الأول، فإننا اخترنا نماذج بعينها للتمثيل لتلك الفترة المبكرة من تاريخ الأدب المقارن في العالم العربي.

1.1- رفاعة الطهطاوي :

منحته مصر فرصة لاكتشاف الآخر، باعتماده مشرفا دينيا في بعثة إلى باريس سنة 1926، دامت 6 سنوات، وهو ابن بيئة فلاحة صميمة، مما جعله أقدر الناس على الإحساس بالتناقض الكبير بين بيئته و باريس، و هو الفلاح و الأزهري الذي امتاز عن أقرانه من شيوخ الأزهر بعقليته المتفتحة و المؤمنة بالتطور، فراح ينهل من علومها، ويتعلم لغتها، و يتأمل حياة شعبها .

ومن ثمّ أخذت روح المقارنة تبرز من خلال معالجته لبعض مسائل اللغة والأدب **« فلا يتحدث في قضية من قضايا الأدب العربي و اللغة العربية إلا بوضعها داخل إطار النسبية التي تربطها بقضية مماثلة أو مخالفة موجودة في الأدب الفرنسي أو اللغة الفرنسية »** [1].

وقد تعرض في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص **باريز** " إلى بعض الأنواع الأدبية من بينها الشعر بين الأدبين العربي و الفرنسي، مركزا على خصائص النظام الشعري في كل لغة. كما تعرض إلى الأغراض الشعرية في الأدبين، معلنا في الأخير إصراره على أن ترجمة الشعر تذهب بكل جمال شعري، وهي قضايا جلبت اهتمام رواد الأدب المقارن فيما بعد. كما التفت إلى الخصائص الأسلوبية في كلا اللغتين العربية والفرنسية منتهيا إلى أنه لكل لغة أسلوبها الخاص.[*]

و لأنه كان من زعماء الإصلاح، فهو لم يتوقف عند موازنة الظواهر الأدبية واللغوية فحسب، و إنما حمل على عاتقه أيضا مهمة النهوض بالحضارة العربية من خلال تصحيح العلاقة الحضارية العربية الأوربية، محاولا استخراج ما يصلح من بيئته راجعا في ذلك إلى رحمها التراثي القديم مع التشبث بروح العصر و ما يمليه النموذج الغربي بتقنياته المتحضرة المتفوقة في شتى مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية أو الأخلاقية أو السياسية و حتى الصحية، وهذا ما عبر عنه الأستاذ "عطية عامر" بقوله :

---

[1] - عطية عامر ، تاريخ الأدب المقارن في مصر ، أعمال الملتقى الدولي حول – الأدب المقارن عند العرب- عنابة 14-19مايو 1983، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، . ص 14

[*] - لمزيد من المعلومات، ينظر عطية عامر، المرجع السابق.

« و لم يكن من الغريب أن يسلك زعماء هذه المرحلة ذلك المسلك، وذلك لأنهم كانوا زعماء إصلاح قبل أن يكونوا دارسي أدب، و لهذا صارت دراسة الظواهر الأدبية و اللغوية، والكشف عن أوجه الاتفاق و الاختلاف بين أدبين أو لغتين، أو إبراز السمات المشتركة للأدب و للغة بصفة عامة، صار كل هذا وسيلة لتجسيم مظاهر القوة و الضعف في المجتمع الذي يتحدث عنه المصلح و يسعى لإصلاحه وتطويره »[1] .

و معنى ذلك أن الهدف النهائي من تلك المقارنات الواردة في أعمال زعماء الإصلاح لم يكن دراسة الظواهر الأدبية واللغوية في حد ذاتها ومقارنتها، وإنما كان هدفا حضاريا.

2.1- سليمان البستاني:

قدم البستاني للأدب العربي ترجمة معربة لإلياذة هوميروس نظما يرقى للذوق السائد في مطلع القرن 20، استغرقت هذه الترجمة 8سنوات (1887- 1895)، وصدرت سنة 1904 ، غير أن ما يهم الأدب المقارن من هذا الجهد هو مقدمة الإلياذة التي ضمنها شرحا و تعليقا عن هذا الجنس الأدبي و مقابلته بالشعر العربي .

في هذه المقدمة التي جاءت في مائتين صفحة، قدم سليمان البستاني مقارنة تطبيقية بين الإلياذة والشعر العربي، انطلاقا من رصد أوجه التشابه و الاختلاف بينهما، و يعلل ذلك إلى تشابه حاصل بين مراحل تطور المجتمع العربي و اليوناني،

---

[1] – عطية عامر، المرجع السابق ، ص 19

لا إلى تبادل حاصل أو تأثير وتأثر بينهما، و في هذا دليل قاطع أن أفكار سليمان البستاني كانت تتجاوز منطلقات المدرسة الفرنسية بكثير وتقترب من الاتجاهات التي اعتمدتها المدرسة السلافية و المدرسة الأمريكية.[1]

وينتهي البستاني إلى أن العرب لم يعرفوا فن الملاحم في أدبهم بالشروط اليونانية للملحمة، متخذا من الإلياذة نموذجا تطبيقيا. غير أنهم نظموا الملاحم على طريقتهم الخاصة، وأسماها " الملاحم العربية القصيرة " * ، وهو يقصد نوعا من الشعر القصصي يجمع بين سرد الحوادث وتمثيل المشاهد وتفصيل الوقائع، وعقد البستاني بينهما مقارنة مفصلة، مركزا على شرح و تعليل الفوارق الجمالية بينهما وينتهي دائما بالحكم لصالح الشعب العربي.

و إلى جانب مقابلته بين الأنواع الأدبية قدم أيضا مقابلات بين اللغتين العربية واليونانية، و أبدا اهتماما خاصا بموضوع الترجمة بوصفها وسيطا بين الثقافات والحضارات المختلفة.

3.1- روحي الخادي:

وفي محاولة أكثر نضجا، و أكثر منهجية في مجال الأدب المقارن التطبيقي يأتي مؤلف روحي الخالدي **" تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب "**1904 ، محاولة رائدة لتتويج جهود الرجل في مجال الدراسات النقدية و المقارنية، ويكفل له لقب

[1] - لمزيد من المعلومات ،ينظر عز الدين المناصرة ، المرجع السابق .
* - لمزيد من المعلومات ،ينظر المرجع نفسه .

الرائد التاريخي الأول لعلم الأدب المقارن في الوطن العربي حسب البيان الختامي للملتقى التمهيدي للرابطة العربية للأدب المقارن – لأعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب- في عنابة وهذا نص البيان :

« و قرر المشاركون في الملتقى توجيه تحية تقدير إلى الرواد الأوائل للدراسات المقارنة في الأدب العربي الحديث، و في مقدمتهم روحي الخالدي، رائد الأدب العربي المقارن، والدكتور محمد غنيمي هلال، مؤسس الأدب العربي المقارن و حجته»[1].

صدر الكتاب عن دار الهلال سنة 1904 ، وهو في الأصل مجموعة من المقالات نشرت متسلسلة في 19 حلقة بمجلة الهلال في الفترة الممتدة من 1902/04/15 إلى 1904/07/01، وتناول الموضوعات التالية :

« 1- فيكتور هوجو، حياته وآثاره و آراءه.

2- أدب العرب ، و آراء متفرقة في النقد .

3- أدب الفرنجة والفتح العربي في أوربا و الحروب الصليبية و أثر ذلك في أدب أوربا (في الشعر و القصة و العلوم).

4- الطريقة المدرسية و الطريقة الرومانية في أدب الفرنجة، وما أخذوه من ذلك عن العرب» [2]

[1] – أعمال الملتقى الدولي حول – الأدب المقارن عند العرب- عنابة 14-19مايو 1983، ص 372

[2] – خالد الكركي ، المنهج و المصطلح في المحاولات العربية الأولى في الأدب المقارن ، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب- المصطلح والمنهج ، عنابة من 08 إلى 12 جويلية 1984 ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 84.

لقد اتسمت جهود الخالدي بالقصدية والدقة والمنهجية، لأن نية المقارنة المبنية على التأثير و التأثر كانت موجودة، ونلمسها من خلال تصدير الغلاف و هذا متنه :

« ... و هو يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الأدب عند الإفرنج وما يقابله من ذلك عند العرب إبان تمدنهم إلى عصورهم الوسطى، وما اقتبسه الإفرنج من الآداب و الشعر في نهضتهم الأخيرة، و خصوصا على يد فكتور هوكو، ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف، و وصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته وغير ذلك »[1].

و كان منهجه في الدراسة يسير وفق المنهج الفرنسي التاريخي للأدب المقارن الذي كان عارفا به، و استفاد منه في ربطه الأدب بالأحداث التاريخية والاجتماعية والسياسية و الثقافية التي سمحت بتسرب الأفكار و الأساليب العربية إلى الغرب من خلال الفتوحات العربية بأوروبا، و العلاقات السياسية الدبلوماسية والحربية بين سفراء شارلمان إلى هارون الرشيد، معلنا أن الأندلس شكلت نقطة عبور والمسرب الرئيسي للأدب العربي إلى أوروبا، بالإضافة إلى دور الحروب الصليبية بحملاتها ونتائجها.

و كان الخالدي يتمتع بعدة الباحث المقارني الضرورية، و مستوفيا لكل الشروط الواجب توفرها في أي مقارن، و نجملها فيما يلي :

[1] – عز الدين المناصرة . المرجع السابق ، ص 126

1- المعرفة اللغوية: إذ كان يتقن اللغات التالية: العربية – الفرنسية – الإنجليزية- الفارسية – التركية.

2- المعرفة الشاملة بالآداب العربية والآداب الأجنبية، وقد استعمل في المقارنة الآداب التالية: اليونانية – الرومانية – العربية – الفرنسية – السويسرية – الألمانية – الإنجليزية – التركية – الفارسية – الإيطالية – الروسية.

3- المعرفة الموسوعية بالتواريخ العامة للعصر.

4- المعايشة الشخصية للأحداث الثقافية، ومعرفة المثقفين و المستشرقين، لاسيما الفرنسيين منهم لإقامته بفرنسا.

ومن المواضيع التي ميزت كتابه و التي تصدى لها بالإثبات و التاريخ تارة ، و غير مشفعة بالتأكيد تارة أخرى:

1 -تقديم ملاحظات حول علم العروض المقارن مبينا تأثر الإفرنج بالعروض العربي – التروبادور-

2 -تأثر فقراء الإفرنج بالأناشيد و المدائح العربية .

3 - تأثر الإفرنج بالمنثور القصصي و الملح و ضروب الأمثال.

4 -تقديم مقارنات في أدب الرحلات ، بالإضافة إلى المقارنات اللغوية .

5 -تقديم آراء نقدية كثيرة حول فلسفة الإبداع و المذاهب الأدبية و الأنواع الأدبية والفنية و أساليب الكلام ، و التي من شأنها أن تلفت نظر الباحث في حركة النقد العربي المعاصر.

6 -ركز على دور الترجمة في الإيصال بين الشعوب ، واجتهد في ترجمة نصوص الاستشهاد كي تكون المقارنة دقيقة ، كما أورد مصطلحات نقدية جديدة غير معروفة آنذاك ، تارة بلفظها الأجنبي وتارة أخرى يجتهد في إيجاد المقابل العربي، في زمن لم تتضح فيه القضية النقدية ، مثل مصطلحات " الانتقاد العربي" ، "الطريقة المدرسية " ....

7 -استخدام مصطلح " علم الأدب".

8 -لم يكتف بمقارنة الآداب ببعضها البعض، بل تجاوزها إلى مقارنة الآداب بالفنون، وهذا ما يحيلنا إلى منهج المقارنة لدى المدرسة الأمريكية للأدب المقارن .

9 -قارن بين الخطابة العربية و الخطابة الألمانية.

و ما من شك أن هذا الكتاب الدقيق في استنتاجاته المنهجية، ذو أهمية بالغة في مجال الدرس العربي المقارن بالنسبة للقارئ العربي المعاصر المطل بفكره وتراثه وحضارته على فكر و تراث و حضارة العالم ، و يتيح له التقدم إلى مطالعات أخرى استرشادا بما أدرجه الخالدي من تحليل دقيق ومقارنه منهجية محكمة، ونماذج تطبيقية ثرية.

4.1 - خليل الهنداوي:

عرف البحث المقارني بعد الخالدي تطورا ملموسا في جانبه التطبيقي، حيث ازداد الاهتمام بالمقارنة بين الأدب العربي و الآداب الأخرى، و يركز "حسام الخطيب" على الجهود الرائدة " لخليل الهنداوي" في مقالاته التي نشرها على صفحات مجلة الرسالة بالقاهرة والتي تنم عن وعي عميق بطبيعة مصطلح الأدب المقارن ومعناه و ما يمزه عن الموازنات التي كانت تعقد في صميم الأدب الواحد، مما جعل الخطيب يعيد الريادة في استخدام مصطلح الأدب المقارن في الوطن العربي إلى الأديب السوري " خليل هنداوي"، بدلا من " فخري أبو السعود". مثلما كان " خليل هنداوي" أيضا يتمتع بفكر نير، متفتح و واع، وكان مبشرا بالرسالة الإنسانية الكبرى للأدب المقارن الذي يعمل على تحطيم الحدود المزيفة الفاصلة بين آداب الشعوب، لأن الأدب ملك شائع و منبع مباح يستقي منه كل الناس، و ليس له حدود فاصلة كتلك التي ترسمها السياسة.

و قد كان الهنداوي بأفكاره تلك يتجاوز المفهوم الفرنسي القائم على مبدأ التأثير والتأثر، و يتحدث عن نوع من الأدب العالمي لا يعرف حدودا، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه النظرة الشاملة، و هذا الفكر الذي يسمو إلى أفق إنساني لا تحده حدود، و لا يسعى إلى مركزية إقليمية أو قومية ضيقة.

2- مرحلة التأسيس : - مرحلة التخصص

1.2- غنيمي هلال:

يأتي الرائد " محمد غنيمي هلال" في طليعة الأساتذة المتخصصين في علم الأدب المقارن، حاملا شهادة دكتوراه دولة في الأدب المقارن من جامعة السربون بفرنسا، و مؤسسا لعلم الأدب في الجامعات المصرية، والعالم العربي كله .

عُرف " هلال " بمعرفته الموسوعية في الأدب العربي و الآداب الأجنبية، وإتقانه اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى أن دراسته في السربون على يد Jean-Marie CARRE، و معاصرته لـ Paul V-TIEGHEM، GUYRD ، جعلته عارفا بالمنهج التاريخي التقليدي للمدرسة الفرنسية بكل شروطه التاريخية، و الحواجز اللغوية وعلاقة التأثير و التأثير المؤكدة، وكذا بحقوله التي تعارفت عليها هذه المدرسة، وبذلك كان هلال مستوفيا لكل شروط الباحث المقارن التي تجعل منه بحق رائد علم الأدب المقارن في الوطن العربي .

و عليه يمكننا القول إن "غنيمي هلال" حاول استنبات المفاهيم الغربية للأدب المقارن في بيئة عربية، ناقلا إياها بكل أمانة، و لم يحد عنها نظريا وحتى تطبيقيا، في سلسلة من المحاضرات ألقاها بكلية دار العلوم بالقاهرة، ثم جمعها في كتابه الموسوم "الأدب المقارن " الذي صدرت طبعته الأولى سنة1953، مشيرا في مقدمتها إلى أن **«كتابنا هذا يجوز أن نسميه: "المدخل لدراسات الأدب المقارن " أو "الأدب**

المقارن ومناهج البحث فيه " لأني لم أقصد فيه دراسة مسألة خاصة من مسائل الأدب المقارن ، بل أردت عرض موضوعه إجمالا»[1].

وينقسم الكتاب إلى قسمين : قسم خاص بالنشأة؛ طرق فيه الثوابت النظرية للمدرسة الفرنسة كما استقرت لدى Jean-Marie CARRE ، GUYAD، Paul V- TIEGHEM، دون أن يتخذ منها موقفا نقديا، و لم يخصص إلى هذا الجانب إلا جزءا بسيطا من كتابه محددا تعريف الأدب المقارن قائلا **« وبذا يكون الأدب المقارن هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القومية التي كتب بها »** [2].

أما في جزئه الثاني فقد تناول حقول الأدب المقارن ، وميادين البحث فيه مقسما إياها إلى سبعة فصول هي :

1 -عالمية الأدب وعواملها

2 -الأجناس الأدبية

3 -المواقف أو النماذج البشرية

4 -تأثير كاتب ما في أدب أمة أخرى

5 -دراسات المصادر

6 -المذاهب الأدبية

7 -تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب الأخرى

---

1 – غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، بيروت ، دار العودة ، 1987 ، ص 08

2 – نفسه. ص 06

مذيلا الدراسة بخاتمة تناول فيها الفرق بين الأدب المقارن و الأدب العام.

وهكذا فإن غنيمي هلال لم يسع من خلال كتابه إلى إثارة قضية بعينها من قضايا الأدب المقارن و إنما حاول أن يقدم للقارئ العربي نظرة شاملة عن هذا العلم، و قد كان تعليميا في كثير من طروحاته، ويكفينا أن كتابه كان أول محاولة منهجية منظمة للتأليف في هذا المجال، وظل منذ الخمسينيات مصدرا أساسيا للأدب المقارن في الجامعات العربية، و الوحيد الذي تدرس به هذه الجامعات، و أثر في العديد من الباحثين بعده، الذين لم يفعلوا إلا النهل من كتابه، و منذ ظهوره طبع عدة طبعات وقد توسع "غنيمي هلال" في الطبعة الثانية الصادرة سنة 1961، و الطبعة الثالثة سنة 1962، وشمل التوسيع دراسة الأجناس الأدبية، و المذاهب الأدبية في محاولة لربط الأدب المقارن بالنقد الأدبي و النقد المقارن.

و على الرغم من تزامن هذا التوسيع مع ظهور اتجاه مقارني جديد في الغرب متمثلا في المدرسة الأمريكية، التي تبنت الاتجاه النقدي، إلا أن هلال ظل وفيا لانتمائه الأول و لم يحد عنه، و هو ما سُجل سلبا عليه، إلا أن هذا لن يغير حقيقة أن "هلال" يعد بحق مؤسس الأدب المقارن في الوطن العربي، و قد أثرت جهوده في الفكر العربي الحديث أيما تأثير على مدار أربعة عقود كاملة، و لا تزال إلى يومنا حاضرة في عناوين متلونة من الدراسات المقارنة نذكر منها:

- "دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي"، 1956.
- " النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة" 1957.

- " الرومنتيكية"، 1973.

3- الترويج:

1.3- الأدب المقارن بعد غنيمي هلال :

إن المتتبع لحركة التأليف العربي في مجال الأدب المقارن بعد كتاب " الأدب المقارن" لمحمد غنيمي هلال المنهجي ، يقف أمام قائمة طويلة لعناوين تكاد لا تختلف إلا اختلافا يسيرا من حيث الإطار العام أو من حيث المضمون، إلا مستثنيات قليلة وقليلة جدا.*

إن رفوف المكتبات العربية بعد مؤلف " غنيمي هلال" أصبحت ترزخ تحت ثقل الإصدارات المتواترة التي راحت تألف في هذا المجال، فالكل أصبح يكتب في الأدب المقارن بعد أن سطع نجمه، و راح يستهوي أقلام المتخصصين و غير المتخصصين، وكانت نتيجة هذا الاهتمام المتنامي مؤلفات تدين في بنيتها التأسيسية إلى جهود " غنيمي هلال"، وشاهد على تأثر السواد الأعظم منهم وأغلبهم ينتمون إلى المؤسسة الأكاديمية، بأفكاره و طروحاته التي تستمد نواتها من المدرسة الفرنسية التقليدية، فلا " غنيمي هلال" ابتعد عن هذا الطرح، و لا المؤلفات التي عقبته نجحت في ذلك، إلا القلة القليلة منهم التي استطاعت أن تخترق الحضر الذي فرضه المقارنون العرب على أنفسهم، على الرغم من أن المدرسة الفرنسية نفسها تراجعت

* - ينظر ملحق1 حول بيبليوغرافيا الأدب المقارن في الوطن العربي.

عن ثوابتها التقليدية و راحت تراجع أوراقها لتتدارك عيوبها بعد سهام النقد التي لم تثن من عزيمتها.

ونستطيع تحديد الأسباب الأساسية التي جعلت للمدرسة الفرنسية سيطرة باللغة على أغلب المؤلفات العربية الصادرة آنذاك في نقاط عديدة أهمها :

1 -ظهور جيل من الأساتذة من خريجي المدرسة الفرنسية أمثال " غنيمي هلال".

2 -ترجمة أهم المراجع الفرنسية إلى اللغة العربية.*

3 -الاكتفاء بالجهود المتواضعة للرعيل الأول وتمجيدها، و عدم الانفتاح على مستجدات الدرس المقارن في الغرب، إما عن جهل، أم كانت تنقصهم الجدة وحس الاجتهاد الذي ينبغي أن يتحلى به الباحث المتخصص، أم أنهم لم يرو في هذا العلم إلا مجرد ترف ذهني ليس إلا.

و بالمقابل يمكننا القول إن إخفاق الجانب التنظيري للأدب المقارن عند العرب كان لصالح ازدهار الجانب التطبيقي الذي كان بإمكانه التفرد بتجميع خيوط " نظرية عربية في الأدب المقارن" في ضوء الممارسات النقدية و الرؤى السائدة لو أن هؤلاء المقارنين العرب لم يعكفوا على مواضيع و نماذج تطبيقية بعينها، و راحوا يدورون في حلقتها، مواضيع على شاكلة : أثر ألف ليلة و ليلة في الآداب الأجنبية، المعري ودانتي، الموشحات و التروبادور، و غيرها من المواضيع التي جعلت الأدب المقارن

* - ينظر ملحق1 بيبليوغرافيا الأدب المقارن في الوطن العربي.

يسقط مرة أخرى في ضيق من دائرة نشاطه التطبيقي، وكأن مقارنينا العرب قاصرين على الانتصاف للأدب العربي القديم، و الدفاع عن كنوزه المهملة ومحاولة الوصول ببعضها إلى مصاف الآداب العالمية الكبرى.

و إن كانت المدرسة الفرنسية – كما أسلفنا – قد استطاعت أن تتجاوز عثراتها، وتتخلى عن بعض أفكارها الضيقة، فكيف كان رد فعل الوطن العربي إزاء كل تلك التحولات في الغرب؟

للأسف الشديد ، لم تقو كل المؤلفات على تخطي المرحلة الغنيمية من قريب أو من بعيد، و نعرض الآن بعضا منها عرضا سريعا :

2.3- صفاء خلوصي : يكشف صفاء خلوصي في كتابه " **دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية** " 1957عن وعي بوجود اتجاه آخر في الدراسات المقارنة من غير المدرسة الفرنسية من خلال عرضه لبعض مفاهيم المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن في آراء سريعة لكنه يتبنى المفهومات الفرنسية التقليدية تبني شبه كامل . مركزا على دور الأدب المقارن في فهم و دراسة الأدب العربي ونهضته. و يقدم مجموعة من الدراسات التطبيقية منطلقا من فكرة أن التراث العربي يقدم مادة خصبة للدراسة المقارنة ، ويختم الكتاب بقسم عن " المدارس الأدبية " ناهيك عن التركيز على الترجمة و دورها في الأدب المقارن.

3.3- عبد المنعم خفاجة : بعد عشر سنوات من ظهور كتاب غنيمي هلال أصدر عبد المنعم خفاجة كتابه **"دراسة الأدب المقارن"** (1966) في 159 صفحة ، و تناول دراسات عامة في الأدب المقارن ودراسة تطبيقية لمدرسة أبولو.

ونلاحظ أن كتاب عبد المنعم خفاجة تضمن تصديره فقرة كاملة لتقييم غنيمي هلال ، وتبدو أفكاره تلخيصا لبعض ما فهمه من كتابات " غويار " أو" فان تيجم " ومقتطفات لمحمد غنيمي هلال.

4.3- حسن جاد: إن كتاب حسن جاد " **الأدب المقارن** " الصادر سنة 1967 ، ينحو منهج غنيمي هلال، ويتأثر به. ويكشف" سعيد علوش" عن 28 إحالة في هذا الكتاب إلى كتاب غنيمي هلال، ثم يقدم جدولا للاقتباسات دون إحالة – وهو الشيء نفسه الذي ينطبق على عبد المنعم خفاجة – إذن يرى أن الدرس المقارن هو دراسة صلات التأثير و التـأثر.

و نخلص مما سبق أن كتابات الجيل الثاني ممثلة في عبد المنعم خفاجة وحسن جاد لم تأت بجديد في تاريخ الدرس الأدبي المقارن ، و إنما جاءت اجترارا لكتاب غنيمي هلال.

5.3- عبد السلام كفافي : يقدم عبد السلام كفافي كتابا ضخما في 555 صفحة في إطار نظري و تطبيقي يعبر عن إحساس بوجود مدرسة أمريكية غير المدرسة الفرنسية، بعنوان **" في الأدب المقارن –دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي"** (1972). ويحول مسار الدرس التطبيقي المقارن باتجاه الآداب الشرقية خاصة الأدب الفارسي مركزا على العلاقة التاريخية متمسكا بالمنطلقات الفرنسية الأصلية في إطار نظرة توفيقية مرنة معرضا في علاقة الأدب بالفنون و تاريخ دراسة هذه العلاقة.

6.3- طه ندا : تبنى "طه ندا" في كتابه " **الأدب المقارن** " (1975) المدرسة الفرنسية القائمة على التـأثير والتأثر لتوجيه الدراسات المقارنة لاتجاه الشرق الإسلامي و الأدب الفارسي والأدب التركي بوجه خاص مع بيان تأثير اللغة و الأدب العربي على هاته الآداب ويؤكد ذلك " طريقنا مغاير لطريق الأوربيين تختلف فيه مادة الدراسة وبواعثها وأهدافها " .

7.3- عبد المنعم إسماعيل : كتاب " **نظرية الأدب و مناهج البحث الأدبي** " (1977) لا يحمل عنوانا مقارنيا و لكن مادته شديدة الالتصاق بالمنهج المقارن مقتصرا على أفقية طرح المعلومات وجاهزيتها مستعيدا لقوالب غنيمي هلال . يطغى عليه لطابع التقييمي مساقا وراء بيداغوجية تبسيطية لا تجنح إلى التعمق في الجرس. و لا يظهر

أن عبد المنعم إسماعيل قد استفاد من أخطاء سابقيه في إلغاء السابق و الانطلاق من نقطة الصفر والاعتماد على الجاهز.

<u>8.3- ريمون طحان :</u> كتاب الباحث اللبناني " **الأدب المقارن و الأدب العام** " الذي صدر عام 1972 يستقي مادته من المصادر الأجنبية دون الرجوع إلى الوسطاء من مصادر عربية أو الترجمات العربية.

حصر حدود الدرس في المدرسة الفرنسية إلا أن هذا لا يعني جهله لنقاشات عصره في هذا المجال فأن في الكتاب ما يشي بإطلاعه على الآراء المتضاربة مع الاتجاه التاريخي للدرس. كحملة إيتيامبل والمدرسة الأمريكية.

ونستنج أيضا أن الكتاب لم يتجاوز المرحلة التأسيسية و لم يقدم عملا يمكن أن نحسبه إضافة نوعية في مجال الدرس فهو يذكرنا دائما بالتفصيلات الحية التي يقدمها باستمرار الدكتور غنيمي هلال.

<u>9.3- إبراهيم عبد الرحمن :</u> كتاب " **النظرية و التطبيق في الأدب المقارن** " **(1982)** يجمع الأدب والنقد مؤكدا على أن الأدب المقارن " ليس سوى وسيلة من وسائل نقد النصوص والأعمال الأدبية وتقويمها : ومن هنا يبدو أن يد "غنيمي هلال" تمتد فوق طروحات براهيم عبد الرحمن من خلال المطابقة بين الأدب المقارن و النقد و التأكيد على العملية التاريخية للأدب المقارن وحتمية التأثير .

و يظهر الجهل التام للخلافات النظرية حول الموضوع التي سادت تلك الفترة ولا يتعرض للمدرسة الأمريكية و لا للضجة التي أثرها الاتجاه الجديد في المدرسة الفرنسة من أمثال " إيتيامبل " ETIEMBLE، " بيشوا "PICHOIS ، " روسو "ROUSSEAU ، " و برونيل "BRUNEL .

و في القسم الثاني و نعني به القسم التطبيقي اختار ثلاث موضوعات "الغزل العذري" و "مأساة أديب " و " أسطورة بيجماليون " ولكن رغم الأهمية الشديدة للموضوعات الثلاث التي اختارها يخلص إلى استنتاجات متسرعة متنقلا بين الأحكام النقدية و بين دراسة العلاقات . فطبيعة الكتاب التلقينية حالت دون العمق المطلوب فيعيد طبع كتابه دون تغيير عامي 1982 و 1984 في كل من بيروت و لبنان.

10.3- محمد بديع جمعة : تناول كتاب بديع جمعة " **دراسات في الأدب العربي المقارن** " (1978)الجانب النظري والتطبيقي في العلاقات الشرقية الإسلامية في الأدب العربي و من الجانب النظري ينبأ بفهم و استيعاب الدرس المقارن و مدارسه الأمريكية و الفرنسية و في الأخير ينتهي إلى تبني الاتجاه التاريخي الفرنسي متبنيا معه تعريف غنيمي هلال الذي أورده بنصه. متفاديا الرجوع إلى أي مصدر أجنبي حتى أنه يعتمد عل عبد السلام كفافي وطه ندا في فهم المدرسة الأمريكية .

11.3- عبد المطلب صالح :يدين عبد المطلب صالح في كتابه " **مباحث في الأدب المقارن** " (1987)بالولاء المطبق للمدرسة الفرنسية و لغنيمي هلال هذا ما يتجلى في المظاهر التالية :

1 -إهداء الكتاب إلى الدكتور غنيمي هلال مع إيراد مقال كمال لمجيده و الإشادة بدور.

2 -التبرؤ من أستاذه " إيتامبل" لخروجه من مقولة التأثير و التأثر فيقول : " إن الباحثين الذين فضلوا مسألة التشابه والاختلاف على قضية التأثير و التأثر في دراستهم المقارنة كانوا في رأينا قد اقتربوا من بحوث الأدب العام و لو أن قسما منهم كان من أنصر مدرسة التأثير والتأثر فعدل عنها في إطار التشابه والاختلاف مثل أستاذنا " رينيه إتيامبل ".

3 -مصادر الكتاب هي حصر مصادر المدرسة الفرنسية التقليدية وقد تصدرنها مؤلفات غنيمي هلال.

12.3- حسام الخطيب : أول كتاب دمشقي في الأدب المقارن هو كتاب حسام الخطيب "**الأدب المقارن " (1982)**متوسط الحجم يقع الجزء الأول في 200 صفحة و الجزء الثاني في 150 صفحة يستوفي النظرية و التطبيق . ثم التركيز في الجزء النظري منه على المصطلح الماهية والدلالة و البدايات و المؤثر و طبيعته و القسم

التطبيقي فيه القصة السورية والمؤثرات الأجنبية كما يتعرض لطبيعة المشكلة المنهجية في الأدب المقارن.

و يتناول الكتاب أيضا تاريخ المقارنة العربي و التعريف بالرابطة الدولية للأدب المقارن و يعتمد الكتاب شرحا لمفهوم الأدب المقارن عند المدرسة الأمريكية وخاصة عند " هنري ريماك " .

13.3- سعيد علوش : له كتابان في المغرب حول الأدب المقارن أولهما " **مكونات الأدب المقارن في العالم العربي** " الذي صدر سنة 1986 و ثانيهما " **مدارس الأدب المقارن** " صدر سنة 1987 . و يقدم في كتابه "المدارس" شرحا لمفهومات الأدب المقارن واتجاهاته و يعرض أيضا لمدارس الأدب المقارن – الفرنسية – الأمريكية – السلافية و يقف عند ما يسميه بالمدرسة العربية – التي لم تر النور بعد. هذا ما يؤكده في مقدمة الكتاب " ويتوخى هذا الكتاب إنجاز مقاربة منهجية و اصطلاحية تحدد حقول كل مدرسة وتداخلاتها و اختراقاتها مع إلحاق كل مدرسة بملاحق تمثل أهم نصوص ممثليها لأن فكرة الكتاب في نهاية المطاف تنشد الخروج من السراديب المعتمة لتضارب المزايدات و الخلط ".

14.3- الطاهر مكي : يعد كتاب " **الأدب المقارن** " للطاهر مكي الذي صدر في 1987 موسوعة مقارنية بلغت صفحاتها 692 صفحة تقدم مختلف الأفكار و التيارات و الآراء دون تمييز أو إقصاء على مسار التاريخ الذي طرفه الماضي و الحاضر و هي تجربة رائدة في مجال الأدب المقارن العربي من خلال أفق موسوعي في موضوع الأدب المقارن مع الحرص على الموازاة في الأمثلة بين الآداب العالمية و الأدب العربي في محاولة لعرض تطورات الأدب العربي المقارن موازنة مع المرحلة الغنيمية – مرحلة التأسيس- فها هو يقدم لكتابه على النحو التالي " كان وراء تأليفه الرغبة في أن يتقدم خطوة بعمل عظيم قام به المرحوم الدكتور "غنيمي هلال" منذ أكثر من 35 عاما لتقدم تصورا جديدا متكاملا لعلم الأدب المقارن في ضوء المتغيرات التي أصابت عصرنا".

و إجمالا يمكن القول بأن المرحلة الترويجية لم تقدم للدرس الأدبي المقارن كثيرا لارتباطها الشديد بمرحلة التأسيس عند "غنيمي هلال" إذ لم تحد عنها إلا قليلا.

و بعد هذا التأخير الكبير حاول الدارسون تدارك هذا النقص ، بتعهد الأدب المقارن بالرعاية و الاهتمام اللازمين، وذلك عن طريق تسطير خطط مستقبلية تكفل له التطور و الارتقاء إلى مصاف الأدب المقارن في الغرب الذي كان يعرف كل فجر ميلاد اتجاهات جديدة للأدب المقارن، لاسيما في العقود الأخيرة، حيث اتسع الأدب المقارن ليستوعب منطلقات ومناحي نظرية جديدة، من مثل البنيوية و السيميائية ونظرية التناص و نظرية الاستقبال الأدبي و غيرها .

و قامت الجامعات العربية بإيفاد أساتذة للتخصص في الأدب المقارن من أجل توسيع آفاق الدراسات المقارنة؛ فظهر جيل جديد على درجة من الوعي و المسؤولية كان همه الانفتاح على مختلف مدارس الأدب المقارن الجديدة، ولنا في جهود سعيد علوش في كتابه "مدارس الأدب المقارن"، وعز الدين المناصرة في مؤلفه " مقدمة في نظرية المقارنة"1988 شاهدا على إستيقاض المقارنين العرب وتفتحهم على مستجدات الدس المقارن غربا.

و يأتي مؤلف " عبده عبود" " الأدب المقارن" الصادر عن جامعة البعث عام1999، مصدرا مهما بالنسبة لأولئك الذين استوعبوا مدارس الأدب المقارن غربا واتجاهاته العربية، بعد أن عاد من بعثة إلى ألمانيا، مكنته من الانفتاح على اتجاهات جديدة للأدب المقارن في جانبيه النظري و التطبيقي، و قد ساعده في ذلك إتقانه للغة الألمانية و إلمامه بالأدب الألماني. و كان الكتاب يحوي مواضيع جديدة كل الجدة على القارئ العربي، و من أهم المنطلقات النظرية التي شكلت صلب هذه الرؤية التجديدية، و كان لها بالغ الأثر على تطور الأدب الأدبي و بحوثه هو نظرية الاستقبال الأدبي، ومن أخطر الإشكاليات التي أثارها عبده عبود في كتابه نذكر:

1- أهمية الترجمة التعجيمية في الوطن العربي ، من أجل تعديل الميزان الثقافي الخارجي ، و تعريف الآخر على النتاج الأدبي العربي

2- التوسيط النقدي للآداب الأجنبية، لامتلاك خلفية معلوماتية تمكن القارئ من الولوج إلى أسرار النص.

3- التلقي المنتج الذي يؤدي إلى التأثير الإبداعي و أشكاله.

4- التعريف بحقل الصورلوجيا، ومناهج البحث فيه.

هذا إلى جانب ظهور مجلات متخصصة في الأدب المقارن مثل مجلة "دفاتر جزائرية" للأدب المقارن، كما خصصت بعض المجلات آنذاك أعدادا خاصة حول الدراسات الأدبية المقارنية مثلما فعلت مجلة "المعرفة" و "الموقف الأدبي" و"الآداب الأجنبية" التي ساهمت في إضاءة جوانب مظلمة من هذا العلم، وساعدت على رؤية الأدب العري من خلال المقارنة و المقابلة بالآداب الأخرى، لنا عودة إلى صفحات هذه المجلات لاحقا، و لكنها دليل على المكانة الهامة و الاهتمام المتزايد الذي أولاه الدارسون و الباحثون لهذا الفرع المعرفي الذي ساهم في فهم الأدب العربي في علاقته مع الآداب الأجنبية.

و تبقى إنشاء الرابطة الوطنية للأدب المقارن أكبر إنجاز عرفه الأدب المقارن في الوطن العربي بعد اعتماده في الجامعات العربية، و قد جاءت فكرة الرابطة تكليلا لجهود أيام علمية جمعت باقة من الأساتذة و الباحثين ممن جمعهم هم واحد و انشغال واحد، ألا وهو واقع الأدب المقارن في الوطن العربي، و ضرورة النهوض بهذا العلم و سد الهوة العميقة التي تفصله عن نظيره في الغرب .

4 -الملتقيات :

لم يكن سهلا الحديث عن عقد مؤتمر للأدب المقارن في أية عاصمة عربية في الثمانينات من القرن 20 ، لقد كان مجرد أمل يراود المقارنين العرب على الرغم من توفر الإمكانيات العلمية والمادية. كانت أمنية يساورها الكثير من الإحجام والإقدام إلى أن تحولت إلى حقيقة ملموسة في 14-19مايو 1983تاريخ انعقاد الملتقى الدولي حول "الأدب المقارن عند العرب" الجزائر بمدينة عنابة و على المستوى الذي عقد عليه .

إن الاهتمام الذي حاز عليه الأدب المقارن في الوطن العربي حالما وطأ الأراضي العربية، و الإقبال الكبير الذي عرفه على الساحة الأدبية والنقدية جعل المقارنين العرب يفكرون في جمع شتاتهم و التنسيق بينهم علّ هذه المبادرة تشكل منطلقا جديدا في المسيرة التاريخية لتطور الأدب المقارن عربيا و هو الذي شهد نقاط انطلاق كثيرة لم تعرف المتابعة المرجوة.

كان من الضروري بمكان أن لا تبقى هذه الجهود مجرد آراء و افتراضات ومدارسات مبعثرة، فراح الدارسون العرب يجتمعون حتى يتسنى لهم وضع لبنة تكفي الحاجة و تلبي المبتغى و تؤسس نظرة شاملة، و بعدا عالميا صحيحا وفقا لنهج صحيح يؤسس مقارنة أدبية يقينية، فكان العزم و الحزم مطية ركبها هؤلاء للم الشمل خيفة الشتات.

و كان مرد هذا الإصرار و الاهتمام إلى تجاوب أهداف هذا العلم مع المساعي التي يطمح إليها العرب والمتمثلة في توسيع آفاق أبنائها و الخروج بهم من عزلة الإقليمية الضيقة و السمو بها إلى المعاني الإنسانية الكبرى.

و في وسط جو من الرقي العلمي و الفكري كان الملتقى الأول مناسبة لالتقاء نخبة من أعلام الأدب المقارن في الوطن العربي جاءوا من أكثر من جامعة عربية وبعض الضيوف من ذوي المكانة الرفيعة في البحث المقارني دوليا للاحتكاك وصقل المواهب و الأفكار، فراحوا يتذاكرون جديد الدرس الأدبي المقارن، ويناقشون قضاياه المستجدة محاولين الخروج بتصور مشترك لمعطيات هذا الدرس في الجامعات العربية، والخروج به من نطاق الأدب القومي الضيق، و التصدي لهاجس الإقليمية والانفتاح على عالم الآداب العالمية الرحب، و إحلال القيمة الإنسانية هدفا بدلا من النزعات الذاتية.

ونورد هنا كلمة ممثل السيد وزير التعليم العالي و البحث العلمي بالجزائر ومستشاره، السيد "محمد الصالح جون" مركزا فيها على الآمال المعقودة على هذا الملتقى:

« فلا شك أن هذا الملتقى سيكون فرصة لتبادل وجهات النظر بين الأساتذة المتخصصين حول ما أحرزه هذا " الفن " من تقدم في الجامعات العربية ، كما سيساعدهم على التفكير في خلق هيآت دائمة لهم ، على المستويين القومي والعالمي، تساعدهم على توفير الوسائل اللازمة لتحسين هذه الدراسات ، و إرساء

قواعدها على أسس سليمة ، بعيدة عن التعصب والتمويه ، لعلهم يصححون بذلك ، بعض الصور الخاطئة التي وردت مثلا عن العرب في الآداب الأجنبية ». [1]

لقد جاء انعقاد هذا الملتقى – كما أسلفنا- بدافع الحاجة الملحة لإبراز دور هذا العلم وتأسيس رؤية صحيحة تميط اللثام عن حقيقته و أبعاده ومن ثمّ تتبع الدرس المقارن في الجامعات العربية التي تفطنت لميزة هذا العلم ، فأدرجته في مناهجها الرسمية ، و شجعت الباحثين على دراسته ، فنوقشت فيه رسائل جامعية قيمة وبدأت تظهر له بعض الدوريات المتخصصة في أنحاء العالم ، و هذا ما ركز عليه ريمون طحان بمداخلته " **تاريخ الأدب المقارن في جامعات لبنان الوطنية و الخاصة** " وعطية عامر " **تاريخ الأدب المقارن في مصر** "، و حسام الخطيب " **الأدب العربي المقارن** " التي ركزت مداخلاتهم على نشأة وتطور الأدب المقارن في الوطن العربي واعتماده مادة رسمية في البرنامج الرسمي للأدب المقارن، و هي أهم خطوة عرفها الأدب المقارن آنذاك ، كما اهتم المحاضرون أيضا في هذا المؤتمر ببعض الحقول المقارنة وصور تلاقي الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية من خلال بعض الأجناس الأدبية ممثلة في بحث نسيمة عيلان **حول " صور من التشابه بين القصص الشعبي والقصص اليوناني"** ، ودار النقاش بين المتداخلين حول الموضوعات الآتية:

«1- تاريخ الأدب العربي في الجامعات العربية

---

[1] –أعمال الملتقى الدولي حول – الأدب المقارن عند العرب- عنابة 14-19ماي 1983 . ص 10.

2- الأدب المقارن في الصحافة ووسائل الإعلام العربية

3- قضايا بين الأدب العربي و الآداب الأجنبية

4- صور شعوب أجنبية في الأدب العربي الحديث

5- صور العرب في الآداب الأجنبية» [1]

أما عن المشاركة الأجنبية فكانت غنية كما وكيفا، نذكر من بينها مشاركة "بيير برينال" PIERRE BRUNEL حول POSITIONS ET PROPOSITIONS COMPARATISTES "مواقف واقتراحات مقارنية" ، و مشاركة ميشالباربو Michel Barbot حول LES CONTRAINTES DE LANGAGE EN MATIERE DE COMPARATISME" العقبات اللغوية في ميدان المقارنات الأدبية".

و استطاع الملتقى أن يحقق ما كان مأمولا منه ، بل و أكثر من ذلك حوا أنه أسفر عن نتائج كبيرة و هامة أهمها التوصيات ونورد هنا نصها :

« **<u>أولا :</u>** انطلاقا مما كشفت عنه مداولات الملتقى من الحاجة إلى استمرار الالتقاء بين الباحثين في الأدب العربي المقارن يدعو الملتقى إلى:

أ - عقد مؤتمر دوري للأدب العربي المقارن في كل عام، على أن يكون موضوع المؤتمر القادم : **الأدب المقارن :المصطلح والمنهج.**

ب إنشاء رابطة عربية للأدب المقارن .

[1] – المرجع السابق. ص 369

جـ - إنشاء مركز لدراسات الأدب العربي المقترن و مجلة بحث تابعة له .

و يدعو الملتقى جامعة عنابة إلى النظر في عقد هذه الأنشطة في رحابها.

ثانيا : انطلاقا من دور الجامعات الطبيعي في تشجيع دراسة الأدب المقارن يدعو الملتقى جامعات الوطن العربي إلى :

أ - تشجيع تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية و تطوير دراسته.

ب -تسهيل التبادل بين الجامعات العربية في جميع الأمور المتعلقة بالأدب المقارن ولا سيما من ناحية الكتب و الدوريات.

جـ - تسهيل التعاون بين الجامعات العربية من جهة و الجامعات الأجنبية من جهة أخرى في حقل تحديد المناهج و غير ذلك من السياسات المتعلقة بالأدب المقارن.

د- تشجيع إيفاد أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعان العربية للمشاركة في مؤتمرات الرابط الدولية للأدب المقارن A.I.L.C و المؤتمرات الدولية الأخرى التي لها صلة بهذا الحقل.

ثالثا : في مجال المشروعات العلمية رأى الملتقى إعطاء أولوية للأمور التالية :

أ - إعداد مسح بيبليوغرافي للكتابات المتعلقة بالأدب المقارن وتطبيقاته في البلاد العربية.

ب -تشجيع ترجمة الأعمال العالمية المهمة في مجال الأدب المقارن إلى اللغة العربية.

جـ -تشجيع تنظيم برنامج لترجمة مختارات مناسبة من الأدب العربي الحديث إلى اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية.

رابعا : في مجال البحوث و الدراسات رأى الملتقى ضرورة إعطاء أفضلية للدراسات التالية ومثيلاتها:

- العلاقة العالمية للأدب العربي الحديث.
- تأثير الأدب الغربي القديم في الآداب الأخرى
- صورة العرب في العالم من خلال الآداب الحديثة
- صورة العالم في الأدب العربي الحديث » [1]

وانفض الشمل على أن يلتقوا العام المقبل بجامعة عنابة، لعقد الملتقى الأول حول موضوع "**الأدب المقارن عند العرب- المصطلح و المنهج-**"، من 08 إلى 12 جويلية 1984، وقد عرف هذا الملتقى بدوره نجاحا باهرا، و أسفر عن إنشاء الرابطة العربية للأدب المقارن، وكان مقرها الدائم بجامعة عنابة، وانتخب الأستاذ "عبد المجيد حنون" أمينا عاما لها.

وبعد سنتين، عقدت الرابطة العربية للأدب المقارن المؤتمر الثاني لها بجامعة دمشق، من 06 إلى 09 جويلية 1986، شارك فيه نخبة من الأساتذة العرب والأجانب، من بينهم "دوي فوكيما" و" جون ريسكون"، وفي سنة1989 تمّ انعقاد

[1] – المرجع السابق ، ص 371-372

المؤتمر الثالث للأدب المقارن بمدينة "مراكش" حول "الأجناس الأدبية"، واحتضنت القاهرة آخر مؤتمر عقدته الرابطة قبيل موتها بسبب الصعوبات التي عانت منها، من انعدام التمويل و صعوبة الاتصالات، وسوء التنظيم، وكان ذلك أيام 20-21-22 ديسمبر 1995 حول " قضايا الأدب المقارن في الوطن العربي".

II- الأدب المقارن في المغرب العربي:

منذ بداياتها، ارتبطت الدراسات المقارنة لدى العرب بالمؤسسات الأكاديمية، حيث اعتمدت مقررا في الجامعات العربية في منهاج الليسانس لطلبة الآداب واللغات، وهو الأمر الذي يقودنا إلى القول أن الأدب المقارن العربي نما و ترعرع بين أحضان الجامعات العربية التي منحته المكانة اللائقة وأعدّت العدّة لاحتضانه، وتوجيه طلبتها إلى هذا التخصص، و تكريس الجدية والصرامة العلمية الواجبة لتدريسه، كما أظهرت ميلا إلى تشجيع البحث والتأليف و عقد الملتقيات، وإصدار الدوريات المتخصصة في الأدب المقارن، هذا التخصص الذي تكمن الصعوبة بين ثناياه، لما يتطلبه من معرفة باللغات و العلوم والفنون، و لم تتوان عن إرسال البعثات العلمية إلى العالم الغربي لتحضير رسائل الماجستير و الدكتوراه المتخصصة في الأدب المقارن، فماذا أعدّت الجامعات المغاربية لاستقبال هذا الوافد الغربي؟ وما هي النتائج التي حققها إلى يومنا هذا في هذا الصدد؟

لقد عرف الأدب المقارن بالمغرب العربي الاهتمام نفسه من قبل الجامعات المغاربية، فمنذ بداياته، ارتبط بالدراسات الجامعية، وتمّ اعتماده مقررا جامعيا بها، مثلما هو الشأن بالجزائر حيث تمّ اعتماده بالجامعات الجزائرية منذ العشرينيات بحكم التبعية لجامعة باريس آنذاك، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، وفي سنة 1968 تمّ تعريب شهادة الأدب المقارن بعد أن كانت تدرّس باللغة الفرنسية. ومنذ ذلك التاريخ تمّ تدريس مقياس الأدب المقارن في شهادة ليسانس اللغة والأدب العربي في السنة الثالثة، و ابتداء

من سنة 1975 امتدّ تدريس الأدب المقارن إلى السداسيات السادس والسابع والثامن بعد أن تمّ تمديد شهادة الليسانس إلى أربع سنوات بدلا من ثلاثة، أما حاليا فيدرج مقياس الأدب المقارن في السداسي السابع و الثامن من الليسانس فقط.[1]

أما بالمغرب، « فقد أنشأت أول جامعة بالرباط سنة 1959، غير أن دراسات الأدب المقارن لم تدخل حيز التنفيد بأقسام اللغة العربية إلا سنة1963، وكان الأستاذ "أمجد طرابلسي" أوّل من درّس المادة بها، وبحكم تكوينه على يد أساتذة من المشرق العربي، لاسيما الأستاذ "غنيمي هلال"، كان يولي أهمية بالغة إلى دراسة التاريخ الأدبي والتأثيرات الأدبية. وابتداء من سنة 1966 تحدد برنامج الأدب المقارن نسبيا، ووجه نحو الدراسات الأدبية واللسانية و المقارنة.

ومن سنة 1967 إلى 1973تمّ تعليق تدريس الأدب المقارن بسبب تحويل قسم اللغة العربية من الرباط إلى الجامعة الجديدة بفاس التي لم تسمح منشآتها، ولا ظروفها بمتابعة هذا التكوين مثلما كان عليه بالرباط.

و في سنة 1973 سمح ظهور نظام الإصلاح بإنشاء شهادة تكميلية لمتابعة دراسات الدكتوراه III تدعى "دبلوم الدراسات العليا" (DES). وأسست شهادة الأدب المقارن بفاس خلال الموسم الجامعي 1975-1976 ، وبالرباط خلال 1976-1977، غير أنه تمّ إلغاء هذه الشهادة في سنة1980.»[2]

---

[1] – ينظر البرنامج الوطني لأقسام اللغة العربية و آدابها المعتمد في الجامعة الجزائرية .

[2] – لمزيدمن المعلومات ينظر عبد الله مدغري العلوي.Littérature Maghrébine et Comparée : généalogie d' une revue، مجلة الأدب المغاربي والمقارن، المغرب، منشورات زاوية للفن و الثقافة، ع1 ، 2005 ، ص 7-8 .

وانطلاقا من سنة 1990، عرف الأدب المقارن انتعاشا جديدا حيث انتشر وتوسّع بجامعات وأقسام أخرى، لاسيما مع جهود "معهد للدراسات الإفريقية"* الذي ركزّ جهوده على دراسة الموروث الإفريقي والمغربي المشترك، ودراسة لغات ولهجات إفريقيا السوداء. وإنشاء "مركز الدراسات في الأدب المقارن والتعليمية" Centre d'Etudes et Littératures Comparées et de Didactiques (CELCD)، من قبل فريق الدراسات المغاربية Groupe d'Etudes Maghrébines (GEM)، وشارك في تكوين بعض الباحثين أمثال "عبد الله حاموني"[1] ، بغية الابتعاد عن النموذج الأكاديمي الفرنسي السائد بحكم تكوين الأساتذة على يد أساتذة من المشرق العربي.[2]

وابتداء من سنة 1990 عمّم تدريس الأدب المقارن في أكثر من14 كلية بالمغرب، وأنجز الكثير من الطلبة أطروحاتهم في دراسة الآداب المغاربية وعلاقتها بالآداب الأخرى. وأنشأ "فريق الدراسات المغاربية"(GEM) شهادة التأهيل في السلك الثالث الذي يطلق عليها تسمية " وحدات تكوين البحث" Unités de Formation de Recherche (UFR) في الآداب و الثقافة المغاربية والمقارنة.[3]

«واستمر نشاط "فريق الدراسات المغاربية"(GEM) الذي تحوّل فيما بعد إلى "تنسيقية الباحثين في الآداب المغاربية و المقارنة" Coordination des

* ـ أنشأ المعهد من قبل جامعة محمد الخامس سنة 1987، لكنه لم يباشر نشاطه إلا سنة 1990

[1] ـ أستاذ متخصص في الأدب الإفريقي بكلية الآداب بوجدة.

[2] ـ لمزيد من المعلومات ، ينظر عبدالله مدغري العلوي ، المرجع السابق، ص 8-9-10 .

[3] ـ وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة العليا بمكناس L'école normal supérieure de Meknès، أنشأت بالشراكة بين فرنسا والمغرب، في إطار التحضير لشهادة التبريز Agrégation جمعية للأدب العام والمقارن، وحققت ملتقيات هامة بالشراكة مع السفارة الفرنسية و بعض كليات الآداب بالمغرب.

Chercheurs sur les Littératures Maghrébines et Comparées (CCLMC) الذي استوعب أهمية المقارنة في الدراسات الأدبية، وعقد عدّة ملتقيات من بينها:

- الملتقى الوطني الأول حول "مقاربة علمية للنص المغاربي" Approche scientifique du texte maghrébin

- الملتقى الدولي حول " الآداب المقارنة وتعليمية النص الفرنسي" Littérature comparée et didactique du texte francophone

- مؤتمر تثاقف الدراسات الفرنكفونية" Séminaire Interculturel des Etudes Francophones[1].

وعقدت طبعات أخرى من هذا المؤتمر بالولايات المتحدة سنة1999، وتونس سنة 2000، والسنغال سنة 2001. »[2]

وفي سنة 2003، وبعد أن تمّ اعتماد نظام الإصلاح LMD بالجامعات المغربية، تمّ إدراج مادة الأدب المقارن في البرنامج الجديد خلال السداسي الرابع من الليسانس بوصفها وحدة تفتح، و تدرج حاليا ضمن الوحدة رقم16

عنوان الوحدة: الأدب 4(96 ساعة)

---

[1] - نظم هذا المؤتمر بمساهمة كلية الآداب بالدار البيضاء، بن مسيك، والمعهد الجامعي للبحوث العلمية URS بالرباط، بمشاركة مركز الآداب المقارنة CLC ، وسمح بإبراز أهمية العامل الثقافي و المقارني في الدراسات الأدبية الجامعية.

[2] - لمزيد من المعلومات ، ينظر عبدالله مدغري العلوي ، المرجع السابق،

تركيبة الوحدة: 1- الشعر العباسي (24 ساعة)

2- السرد العباسي (24 ساعة)

3- المكتبة العباسية (24 ساعة)

4- مدخل إلى الأدب المقارن (24 ساعة)[1]

أما بالنسبة إلى الجامعات التونسية، فقد تبنّت بدورها هذا الوافد الجديد، وتمّ إدراجه بأقسام اللغة الفرنسية، وعند معاينة برنامج أقسام اللغة العربية، لم نعثر على مادة مخصصة لتدريس مقياس الأدب المقارن، و إنمّا يتم تدريسه بأقسام اللغة الفرنسية في السنة الثانية من الليسانس، حيث تخصص حصة أسبوعية لتدريس مادة " مدخل إلى الأدب المقارن"Initiation à la Littérature Comparée .

ومن ثمّ أولينا عنايتنا إلى معاينة برنامج الأدب المقارن المعتمد في كل من قسمي اللغة العربية بالجامعة الجزائرية و الجامعة المغربية :

[1] - ينظر الملف الوصفي لمسلك " الدراسات العربية – جامعة الحسن الثاني ، عين الشق ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء.

برنامج الأدب المقارن المعتمد بالجامعات الجزائرية	برنامج الأدب المقارن المعتمد بالجامعة المغربية
الأدب المقارن: 1 - تاريخ نشأة الأدب المقارن و تطوره. I - بعض مظاهر المقارنة قديما. مظاهر من المقارنة عند العرب. II - نشأة علم الأدب المقارن. البدايات و أسباب النشوء. الرواد. المنابر الدراسية. المجلات . الأعمال البيبليوغرافية. الجمعيات الوطنية. V - الأدب المقارن في البلاد العربية. 2 - إشكالية المصطلح. 3 - مدارس الأدب المقارن و بعض قضاياه النظرية من خلال النقاشات التي دارت بين: - المدرسة التاريخانية (الفرنسية) - المدرسة النصية (الأمريكية) - المدرسة السوسيولوجية. 4 - الأدب المقارن و الأدب العالمي و نظرية الأدب . 5 - مجالات الدراسة. - العلاقات و التأثيرات و المنابع و الإشتهار. - الوسائط. - المقارنات البحتة . الموضوعات الأدبية والنماذج البشرية . - الصورة و السراب. - الأجناس الأدبية. - التصورات. - دراسة الأساليب و التيارات الأدبية. - التماثلات التاريخية و النموذجية. - المجموعات الأدبية الكبرى. - دراسة العصور الأدبية. - الثوابت. - الأدب المقارن و تاريخ الأفكار . - الأدب و الفنون الأخرى. - الترجمة الأدبية و قضاياها النظرية. - جمالية الاستقبال أو نظرية الاستقبال الأدبي. • الأدب العربي و علاقاته الأخرى مؤثرا ومتأثرا. **I - تأثير الأدب العربي في الآداب الأخرى مؤثرا (يمكن للأستاذ أن يختار أي موضوع يصلح لمثل هذه الدراسة و الأمثلة التي نقدمها هي أمثلة فقط وليست ذات طابع تحديدي).** - أثر الموشحات في الشعراء التروبادور. - أثر الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية - حي بن يقظان و روبنسن كروزي. - ألف ليلة و ليلة و اثرها في الآداب الغربية وغيرها. - مجنون ليلى في شعر أرغونالج Le Fou d Elsa **ب- تاثر الأدب العربي بآداب أجنبية (القائمة التي يقدمها هنا أيضا ليست ذات طابع تحديدي).** - مظاهر الاحتكاك بالغرب و قنوات الاتصال في العصر الحديث. - صورة الغرب في كتب الرحالة الأوائل (الطهطاوي ، علي مبارك ...).	مدخل إلى الأدب المقارن: مدخل: تعريف الأدب المقارن (1.5 ساعة) المحور الأول: تاريخ الأدب المقارن (3ساعات) نشأة وتطور الأدب المقارن- علم الأدب المقارن المحور الثاني: الأدب المقارن و الاتجاهات النقدية (3ساعات) موقف الاتجاه التاريخي الفرنسي – موقف الاتجاه النقدي الأمريكي المحور الثالث: التواصل الأدبي العالمي (4.5 ساعات) المجالات والدراسات والنصوص الأدبية – الرحالة والرحلات – الترجمات المحور الرابع: التقاء الأدب العربي بالآداب المختلفة (3ساعات) المؤثرات الغربية في الأدب العربي الحديث – مظاهر التأثر بالآداب الغربية المحور الخامس: نظرية الأدب المقارن ومنهجه(6 ساعات) أهمية الأدب المقارن- مفهوم الأدب العالمي – الأدب المقارن ونظرية التناص – الأدب المقارن و نظرية التلقي ديداكتيك الوحدة(تعيين الطرق الديداكتيكية والوسائل البيداغوجية المرتقبة) الأدب المقارن: تقدم المادة على شكل دروس نظرية ومحاضرات مع إمكانية تكليف الطلبة بانجاز عروض.

- ظهور التيارات و الأساليب الأدبية و أثر الاحتكاك بالغرب في ذلك. - ظهور أجناس أدبية جديدة (الأقصوصة ، الرواية ، المسرحية ...) والتأثيرات الغربية. - القصة العربية الحديثة بين الأصول التراثية والتأثيرات الأجنبية . - حركة الشعر الحديث في استجاباتها لواقع جديد و تأثرها بنماذج غربية. - صورة الآخر في الأدب العربي الحديث (ويمكن التركيز على صورة الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث و العكس). - مقارنات بين الأدب العربي و الفارسي: - المقامات بين الأدبين. - ليلى و المجنون في الأدبين. - القصة العربية الحديثة بين الأصول التراثية والتأثيرات الأجنبية. - حركة الشعر الحديث في استجاباتها لواقع جديد وتأثرها بنماذج غربية. - صورة الآخر أ.ع.ح (ويمكن التركيز على صورة الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث والعكس). - مقارنات بين الأدب العربي والفارسي. - المقامات في الأدبين. - ليلى والمجنون في الأدبين.	

ما يلاحظ على هذين البرنامجين هو ضيق الوقت المخصص لتدريس مادة الأدب المقارن في الجدول الدراسي مقارنة بكثافة البرنامج المخصص للمادة -لاسيما بالنسبة للجامعات المغربية التي لا تخصص لتدريسه إلا فصلا واحدا فقط- ومتطلبات الدرس وصعوبته، وغلبة الطابع النظري على المحاضرات،حيث يكتفي الأستاذ بتقديم المادة في شكل دروس نظرية ومحاضرات تعنى بمتابعة التطور التاريخي العام الذي رافق نشأة الأدب المقارن بأوربا وتطوره انطلاقا من النصف الثاني من القرن19، مع تكليف الطلبة بانجاز العروض التي غالبا ما تكون ذات طابع تاريخي من أجل ملأ فراغ الحصص التطبيقية.

وعدم الاستفادة من نتائج مقياس الآداب الأجنبية والنقد الأدبي اللّذين من شأنهما إعداد الطالب وتزويده بالعدّة اللاّزمة التي تساعده على استيعاب مقياس الأدب المقارن، إذ يتم تدريس هذين المقياسين بالموازاة مع مقياس الأب المقارن مثلما هو

الحال بالجامعة الجزائرية ،أوفي السداسيات اللاحقة ، مثلما هو الحال بجامعات المغرب.

أما على مستوى الدراسات العليا، فتعرف دراسات الأدب المقارن انتعاشا كبيرا من خلال فتح المشاريع المتخصصة في الأدب المقارن،وقد سجّلت جامعة وهران تأسيس أول مشروع ماجستير في الأدب المقارن عام 1998 برئاسة الدكتور "شريفي عبد الواحد"، بينما سجلّت جامعة عنابة فتح أوّل مدرسة دكتوراه في الأدب العام و المقارن سنة2008، برئاسة الدكتور "عبد المجيد حنون" رئيس الرابطة العربية للمقارنين العرب.

ولم يتوقف دور الجامعات المغاربية عند هذا الحد، لأن كل المقارنين المغاربة هم أساتذة جامعيون، أخذوا على عاتقهم مهمة تطوير الدرس المقارن العربي، و النهوض به، وتباينت أعمالهم ما بين:

1 -الدراسات الأكاديمية (رسائل ماجستير و دكتوراه)

2 -الكتب التعليمية التي تهدف إلى تبسيط المادة إلى الطالب

3 - كتب الاختصاص المترجمة من مختلف اللغات الأجنبية الفرنسية و الانجليزية والألمانية، قصد توسيع آفاق الدراسات المقارنة العربية، والوقوف على مستجدات هذا الدرس في الغرب، سعيا إلى اختزال المسافات الفاصلة بيننا وبين الغرب في هذا المجال.

4 -المقالات والدوريات المتخصصة، و نذكر منها مجلتين متخصصتين في الأدب المقارن هما :

أ - **"دفاتر جزائرية في الأدب المقارن":** و هي مجلة متخصصة في الأدب المقارن صدرت باللغة الفرنسية في ثلاثة أعداد فقط، من الفترة الممتدة مابين سنة 1966 إلى 1968، تهتم بعلاقة الأدب العربي بالأدب الأوربي، و قد غلب عليها الجانب التطبيقي، و من أهم دراساتها :

- المصادر العربية لنص ج.ل.بورجس
- عنتر وبيرس عاشقان خائبان
- الجاحظ و الأدب المقارن
- قضية المصادر الإسلامية في الكوميديا الإلهية
- أصالة الخرافة الإيطالية حول صلاح الدين

وكانت المجلة تحت إدارة الأستاذ "جمال الدين بن شيخ"[1]، أحد رواد الأدب المقارن بالجزائر، والذي اقترن اسمه باسم "غنيمي هلال" في الموسوعة العالمية للتأريخ لعلم الأدب المقارن في الوطن العربي. *

ب – "الأدب المغاربي و المقارن": و هي مجلة متخصصة في الأدب المغربي، صادرة باللغتين العربية و الفرنسية، من قبل "تنسيقية الباحثين في الآداب المغاربية

---

[1] - جمال الدين بن شيخ (1930-2005)، أستاذ وباحث و شاعر و مترجم جزائري، انتقل إلى فرنسا حيث درّس "الأدب العربي في القرون الوسطى" و "الأدب المقارن" بجامعة السربون، له عدّة دراسات و أعمال أدبية من بينها ترجمة "ألف ليلة و ليلة" إلى اللغة الفرنسية بمعية صديقه الفرنسي أندريه ميكيل، وصدرت أول طبعة للكتاب عن دار غاليمار سنة2005، بعد ما يقارب ثلاثة قرون من صدور أول ترجمة فرنسية لليالي من قبل أنطوان جالون.

* - ينظر الموسوعة العالمية.

المقارنة" Coordination des Chercheurs sur les Littératures Maghrébines Comparées(CCLMC) . ظهرت في عددين خلال سنة2005، اهتمت بدراسة علاقة الأدب المغربي بالأدب الأوربي والأدب الإفريقي، وكانت هي الأخرى ذات طابع تطبيقي، حيث خصصت عددها الأول لدراسة صورة "المغرب في الأدب الأوربي" من خلال مجموعة من الدراسات المقارنة لباحثين مغاربة سوف نعرض إليها في دراستنا اللاحقة، أما الدراسات العربية في هذا العدد فقد اهتمت بتقديم دراسات نقدية حول الأدب المغربي.

أما عددها الثاني، الصادر في السداسي الثاني من سنة2005، فجاء بعيدا عن المقارنة وإنما تناول مجموعة من الدراسات حول " **الشعر: من الجذور الثقافية إلى العالمية**" وحوى في شقيه العربي والفرنسي دراسات متنوعة في محاولة للتأكيد على التنوع والاختلاف، و أصالة الإبداع في آن واحد.

وما يميز هذا النتاج الفكري على مستوى الدراسات المقارنة، أنه كان يتأرجح بين الجانب النظري و التطبيقي، غير أن الدراسات التطبيقية بالمغرب العربي، حظيت بحصة الأسد من الاهتمام والرعاية، أما الدراسات التنظيرية فهزيلة، تجتر مقولات

المدرسة الفرنسية والأمريكية للأدب المقارن، و لا تعدو أن تختزل في مقدمة أو افتتاحية لدراسة تطبيقيا ما، أو تكون مادة للكتب التعليمية. *

و ما يميّز هذا النتاج الفكري، كذلك، هو تمازجه وتباين اتجاهاته، ونعزو ذلك إلى مختلف المشارب التي نهل منها المقارنون المغاربة، الذين منهم من درس بالجامعات الغربية، ومنهم من درس على أيدي أساتذة متخصصين من المشرق العربي (سوريا، لبنان، مصر)، فاستفادوا من مختلف التوجهات العالمية، وتنوعت دراساتهم على نحو سنتعرف عليه في دراساتنا اللاّحقة.

و الواقع، أن ازدهار الدراسات المقارنة بالمغرب العربي وانتعاشها، ما هو إلا مظهر من مظاهر النهضة العلمية و الثقافية التي عرفها المغرب العربي في الثمانينات، في جميع جوانبها الأدبية و النقدية، وهذا ما ذهب إليه الناقد و المقارن السوري عبده عبود، أحد أهم أقطاب الأدب المقارن في الوطن العربي وأعمدته، ذاكرا أنه « **لم يبق الأدب المقارن، وهو فرع خاص من علوم الأدب، في منأى عن النهضة الثقافية والعلمية المغاربية هذه، فقد قدمت الساحة المغاربية إبان الثمانينات عدداً جيداً من المقارنين، نذكر منهم على سبيل المثال أيضاً الأساتذة : محمود طرشونة من تونس، وعبد المجيد حنون من الجزائر، وسعيد علوش من المغرب. وعندما عقدت "الرابطة العربية للأدب المقارن "مؤتمرها الثالث في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط وذلك في أواخر عام 1989 فقد جاء ذلك منسجماً مع حقيقة قائمة على أرض الواقع،**

* - ينظر الملحق II

ألا وهي أن المغاربة قد انتزعوا دفة القيادة والريادة على صعيد الأدب المقارن أيضاً، بعد أن كانت الريادة فيه للمصريين إبان الخمسينات والستينات والسبعينات»[1].

وتعد كلمة الدكتور عبده عبود، هذه، شهادة على جدية الجهود المغاربية المقارنة من أجل النهوض بعلم الأدب المقارن، ودورها في تأسيس مدرسة عربية للأدب المقارن.

فإثر معاينة الأعمال الأدبية المنضوية تحت اختصاص الأدب المقارن بالمغرب العربي، نجد أن العديد منها يتجه نحو الدراسات المقارنة التطبيقية، وما يميز هذه الدراسات هو محاولة الدارسين المغاربة النهوض بهذا الفرع من العلوم الإنسانية، والإفلات من روتين دراسات "التأثير الأدبي" التي طبعت النتاج المقارني العربي وذلك من خلال الالتفات إلى حقول أخرى مثل حقلي "الصورة" و"الموضوعاتية" .

أما الجانب النظري، فهو لا يحتل إلا حيّزا محتشما من الدراسة، و هو لا يكاد يبتعد عمّا ذهب إليه المنظرون العرب بالمشرق العربي أمثال "محمد غنيمي هلال"، و"الطاهر مكي"، و"حسام الخطيب" و غيرهم..، كما لم تبتعد هذه الدراسات التنظيرية عن مقولات المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية للأدب المقارن، وهذا ما جاء على لسان الناقد والمقارن الجزائري "عبد المجيد حنون" في المقدمة التي خصصها لتقييم

[1] - عبده عبود. "هل بلغ الأدب المقارن سن الرشد؟" مجلة الموقف الأدبي، دمشق،إتحاد الكتاب العرب، ع 249،كانون الثاني 1992 www.awu-dam.org/mokifadaby/249/mokf249-017.htm

أعمال أول ملتقى للمقارنين العرب الذي عقد بجامعة عنابة سنة 1984 قائلا:**« ما قيل لم يخرج بصفة عامة عن مصطلح الأدب المقارن بمفهوميه الفرنسي والأمريكي .»**[1]

و من أبرز المراجع التنظيرية للأدب المقارن في المغرب العربي نذكر الأعمال الآتية معتمدين التوزيع الجغرافي :

1 المغرب :

نذكر بالمغرب، دراسة الباحث المغربي الضخمة "سعيد علوش" حول **"مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي "1986**، وهو بحث علمي رائد، استقصى فيه الدكتور "علوش" تاريخ الأدب المقارن العربي وواقعه تأليفاً وتدريساً، و قدم اتجاهاته النظرية بعمق وشمول يعكس جهدا تجميعيا و تحليليا كبيرا في مجال الدراسات المقارنة العربية بوجهيها النظري والتطبيقي، ناهيك عن القائمة البيبليوغرافية المحكمة التي استوفت جميع المراجع العربية التي شاركت في صناعة علم الأدب المقارن في الوطن العربي آنذاك.

و الدراسة في الأصل هي أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب المقارن، نوقشت بالسربون سنة 1982، اعتنت هذه الدراسة بالجوانب النظرية للأدب المقارن، انطلاقا من التسمية والمنهج "المقارنة" اعتمادا على مقولات المدرسة الفرنسية والأمريكية، والاحتكام إلى آراء أفذاذها أمثال "فان تيجم"P.V.TIEGHEM P.

[1] - عبد المجيد حنون،أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول الأدب المقارن عند العرب- المصطلح و المنهج- عنابة. 1984. ص 6،

و"جيار"GUYARD و'بيشوا"PICHOIS و "ايتيامبل"ETIEMBLE و"هاري ليفين"HARRY LEVIN و"رينيه ويليك" RENE WELLEK وآخرين ممن شاركوا في النقاش الحاد لصناعة الأدب المقارن ومناهجه، ليخلص في النهاية إلى أن «**الأدب المقارن قديم قدم الأدب ذاته، ويظهر طابعه المؤسساتي السريع،وتجسيده الرسمي، كفرع للدراسات الإنسانية، الأهمية الخاصة التي يكتسيها في عصرنا، إلاّ أن علينا أن لا نحصر الأدب المقارن في اهتمامات أكاديمية محضة، لأن أهدافه و مهامه الحالية تندرج أساسا في سياق أبحاث أدبية تخص الدراسات الجامعية، ويكشف هذا الارتباط بالدراسات العليا عن نوعية النزوع، و شبه نخبوية المتعاطين للدرس، و ليس هذا عائقا بل علامة على ارتباطه بمستوى من التأمل الفكري، لذلك ارتبط الدرس كذلك بالوطنيات، فكانت تسمياته متكيفة مع لغات هاته الوطنيات الأدبية.**»[1]

ينتقل بعدها إلى الإرهاصات الأولى للأدب العام والعالمي، ويشير إلى تطور مفهوميهما لدى الأجيال المختلفة المشغلة بهذا العلم بدءا من "فان تيجم" P.V.TIEGHEM التي يحتكم في تمييزه بينهما إلى عنصرين اثنين هما "التأثيرات المتنقلة" التي تمثل الأدب المقارن و"الاتجاهات المشتركة" أي المشابهات الأكيدة في بلدان مختلفة بفعل عوامل مشتركة حتى في انعدام وجود تأثيرات مثبتة والتي تمثل الأدب العام.

[1] ـ سعيد علوش . المرجع السابق . ص 38

و ينتهي برأي "رينيه اتيامبل" ETIEMBLE الذي يبدو أنه استفاد من آراء المدرسة الأمريكية للأدب المقارن قائلا:« **الأدب العالمي لا يدرك إلا في شكل تاريخ عالمي ، بينما يخلص الأدب العام من التاريخ العالمي للآداب.**»[1]

ينتقل بعدها إلى قضية " الترجمات الأدبية بين المثاقفة والمقارنة"، و يتناول في هذا العنصر "الترجمة" ودورها في تلاقي الشعوب و تلاقح الحضارات وتمازج الثقافات، ويركز على خصوصية نقل الخطاب الأدبي من لغة إلى أخرى، انطلاقا من خصوصية اللغة نفسها التي تتباين و تختلف باختلاف الشعوب، ممّا يجعل من "الأمانة" في الترجمة غاية المترجم و مطلبه، غير أن شبح "الخيانة " ما فتئ يلازم الترجمة الأدبية بسبب الاختلافات الحضارية و الثقافية بين اللغات، ويفضل استبدال مصطلحات "الأمانة " و "الدقة " و"الإخلاص" بمصطلح "المعادل" أي "الترجمة الحرّة" التي تخضع للتأويل، في مقابل "الترجمة الحرفية" التي تخضع لمطابقة النص المترجم للأصل.

ويسوق لنا "سعيد علوش"، آراء المنظرين الألسنيين أمثال "جوزي لامبير" و"جورج مونان" و " إدوارد بالسيزان" مركزا على آراء الأمريكي "أوجين نيدا " في تحديد مفهوم مصطلح " المعادل" في الترجمة ، و الذي يصنفه وظيفيا إلى:

«أ- معادل ديناميكي

ب-معادل طبيعي

[1] - سعيد علوش . المرجع السابق. ص 64

جـ - معادل أكثر قربا

د- معادل لحقيقة المعنى

ط- معادل لأهمية الأسلوب»[1]

والتي تتحقق من خلال عدّة مناهج تسمح بتحليل الترجمات الأدبية ونقدها و هي:

«أ- المنهج التركيبي

ب- المنهج التحويلي

جـ - المنهج الاشتقاقي

د- المنهج التناقضي.»[2]

فالترجمة الأدبية ،إذن، ليست عملية آلية قائمة على إعادة إنتاج كل عناصر النص الأصلي، و إنما عملية إبداعية قائمة على خلق المعادلة و التكييف بين عناصر النص الأصلي، و عناصر النص المترجم، و هذا ما عبّر عنه علوش قائلا : «**من ثمّة، يظهر أن الترجمة ليست مجرد إعادة – إنتاج، بل هي إعادة-إبداع، يعمل في نص الأدب المستقبل دورا هاما، في إثارة اشكالتي – المقارنة و المثاقفة، لان حضور الآخر الأجنبي، عن الأدب المحلي، في النص الأدبي، هو حضور للاختلاف و التنوع، حضور للأدب العام و الأدب الإنساني، و الترجمة من ثمّة، و عي باللّحظة التاريخية**

1 - سعيد علوش. المرجع السابق .ص 263
2 – نفسه .ص 263

التي تتعدى المهمة النهضوية للنص المترجم، كما تتجاوز حدوده، في ملء فراغ الإنتاج المحلي، إلى ربطه بتصور كيفي للعالم والإنسان.»[1]

و ينتهي "سعيد علوش" إلى الإشارة إلى أهمية الترجمة ودورها في تطور الشعوب وآدابها، واصفا إياها ببوابة القرن، داعيا العرب إلى طرق هذه البوابة من اجل ولوج عصر الحداثة، لينتقل بعد ذلك إلى "إشكالية التيارات الأدبية" مشيرا إلى الفراغ الرهيب الذي يعاني منه موضوع التيارات الأدبية في الأدب العربي من الناحية النظرية باستثناء دراسة نظرية استهل بها "عثمان موافى" مقدمة كتابه" التيارات الأجنبية في الشعر العربي"، وبعض الإشارات في كتاب " التيارات الأدبية بين الشرق و الغرب "لإبراهيم سلامة"، على الرغم من أهمية موضوع " التيارات الأدبية " بوصفه ظاهرة عالمية وقناة تعبيرية تعبر عن أحداث ووضعيات أدبية و ثقافية مختلفة.

و في هذا الصدد يقول "علوش"**:« و إذا تأملنا أدب الفترة المعاصرة – منذ بداية تكون المجتمع البرجوازي، لأدركنا عند مختلف الشعوب تلاحقا طبيعيا للتيارات الأدبية، فالتغييرات المتتابعة، و صراع الأساليب الأدبية الكبرى الخاصة بكل تيار، لا يمكن أن تكون تشابهاتها مجرد نتيجة صدفوية،و لكنها تتحدد تاريخيا بشروط**

[1] – سعيد علوش . المرجع السابق .ص 264

مشابهة للتطور الاجتماعي/النهضوي /الكلاسيكي /الرومانسي /الواقعي/الطبيعي/ الحداثي في الفضاءات التي شهدت تطورا تاريخيا مطردا و طبيعيا .»[1]

و يشير "علوش" إلى أن أدبنا العربي استقبل هذه التيارات الأدبية دفعة واحدة، لدلك من الصعب الحسم بهيمنة تيار معين في فترة معينة، داعيا المقارنين العرب إلى مقابلة أدبنا العربي بالآداب الأخرى لحصر أوجه الأخذ و العطاء، و التأثيرات المتبادلة ليستطيع الإلمام بالمكونات الأساسية للتيارات الأدبية العربية لأنها شديدة التحول ومتنوعة المصادر.

ينتقل بعد ذلك إلى "إشكالية التأثير و التأثر في المقارنات العربية"، و كيف أن هذا الحقل هو أكثر الحقول استقطابا للمقارنين العرب مقارنة بالحقول الأخرى، اعتقادا منهم أنه أسهل حقول الأدب المقارن، في حين أنه يؤيد رأي "بول كورنيا" عن «**عسر الإلمام بالتأثير والتأثر، رغم ركوب موجتيهما في أغلب الدراسات، التي تختزل الأدب المقارن إلى مجرد تأثير و تأثر، معتقدة في سهوله رصدهما حيث ينظر إليهما كزوائد و أعضاء إضافية يتعرف عليها بمجرد النظرة العابرة للنص الذي تخونه مظاهر شكلية أو مضمونية تفسر تلقائيا عند الدارس، بإحالتها على كتاب سابق، أو أدب أو تيار معروف .»**[2]

في حين، أن رصد مظاهر التأثير و التأثر بين الآداب المختلفة هو مسعى عسير، يتطلب الإلمام بمعارف موسوعية واسعة عن الثقافة المرسلة (المؤثر) و الثقافة

[1] - سعيد علوش. المرجع السابق ص 417
[2] – نفسه . ص 461

المرسل إليها (المتأثر) من أجل مراعاة معطيات الوضعيات الثقافية، و الكشف عن دواعي التأثير و التأثر «**الذي قد لا يكون رمزيا بالضرورة، بل يرتبط بأوجه الحياة المادية، التي تكون الإطار الحيوي للكاتب، من النواحي السياسية والفلسفية والاقتصادية و الاجتماعية، التي تمثل مقاييس غير مباشرة للتأثيرات** »[1]

ويقسم "سعيد علوش" دراسات التأثير و التأثر الأدب في ثلاثة اتجاهات هي:

1 -ما قبل التأثيرات : وهي مرحلة نمثلها كتب الرحلات التي مهدت بدورها إلى ولادة الصورلوجية المقارنة Imagologie، و يصرح علوش أن الاهتمام بدراسة الصورلوجية في الوطن العربي قد عرف ازدهارا كبيرا وهو «**يصادف تاريخيا يقظة وطنية عارمة شملت العالم العربي من المحيط إلى الخليج.**» [2]، حيث بدأ الاهتمام بالقوميات العربية، و البحث عن الهوية الشخصية، فظهرت دراسات أكاديمية تعكس هذا التوجه الجديد مثل دراسة "عبد الجليل الحجمري" حول "صورة الغرب في الأدب الفرنسي " و دراسة "عبد الجليل القروي" حول "تونس في الآداب الفرنسية للقرن 19" ، و غيرها. و يرى "علوش" أن هذا التطور تم «**بفضل مكوناتهم الثقافية الجامعية الفرنسية – لازدهار الصورلوجيا بها أولا – التي لعبت دورا حاسما في توجيههم،وكذا في اختيار كتبهم الغربيين.**»[3]

2 -التأثيرات المتبادلة : و هي نوعان : تأثيرات صغرى ، و تأثيرات كبرى.

---

[1] - سعيد علوش. المرجع السابق .ص 461
[2] - نفسه . ص 496
[3] - نفسه. ص 496

3 -ما بعد التأثيرات: ويقول أنها تنحو نحو نوع من الاستقلالية

ينتقل بعدها إلى مدارس الأدب المقارن، و فيها يعرض إلى كل مدارس الأدب المقارن العالمي و مناهجها، أعلامها و خصائصها. ويخصص قسما لمدرسة عربية مأمولة للأدب المقارن، يتطرق إلى نشأة الأدب المقارن في الوطن العربي وتطوره، وأشهر أعلامه.

أما الكتاب الثاني الذي أصدره الدكتور"علوش" فقد خصصه للبحث في إشكالية ظاهرتين هامتين في الأدب والنقد العربيين هما: التيارات الأدبية في العالم العربي، والتأثير والتأثر في المقارنات العربية بعنوان **"إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية"**1986. وأما الكتاب الثالث فعنوانه: **"مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية"1987**، وهما مؤلفان هامان استفادا من دراسة "سعيد علوش" الضخمة، ويمثلان صورة مصغرة ومبسطة عنها، و يستحقان أهمية خاصة من المقارنين العرب، لاسيما مؤلفه الأخير **"مداس الأدب المقارن- دراسة منهجية"**، الذي قدم فيه عرضا وافيا عن ماهية الأدب المقارن ومدارسه العالمية التي يحددها في ثلاث مدارس هي :

1 -المدرسة الفرنسية

2 -المدرسة الأمريكية

3 -المدرسة السلافية

قدّم "علوش" هذه المدارس الثلاث في عرض متكامل، متآلف، انطلاقا من أقدم مدرسة للأدب المقارن، وهي المدرسة الفرنسية الشهيرة بمنهجها التاريخي، واعتمادها على كشف مظاهر التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة، ثمّ المدرسة الأمريكية

التي تنطلق من نتائج النقد الأدبي ونظرية الأدب، و التي جاءت لتوسيع المفهوم الضيق للمدرسة الفرنسية، وتوسيع مجال المقارنة بين الآداب ومختلف مجالات التعبير الإنساني الأخرى مثل الرسم والموسيقى و غيرها، و المدرسة السلافية التي تعتمد النظرة الجدلية المادية للمجتمع، مستعينا بنصوص أبرز المقارنين العالميين، وهو الأمر الذي يجعل من كتاب "سعيد علوش" مرجعا نظريا شاملا، يوفر أفضل قراءة للأدب المقارن ومسائله النظرية و مدارسه الرئيسية.

أما الجزء الثاني من الدراسة، فقد خصصه الدكتور "سعيد علوش" إلى الأدب المقارن في الأدب العربي، مستعملا عبارة "المدرسة العربية" تفاؤلا، عني فيه بالتعريف بنشأة الأدب المقارن في الوطن العربي، وتطوره وأعلامه، بداية من أول مرحلة وهي مرحلة التأسيس(1948-1960)، ممثلة في الجهود التأسيسية لرائد الأدب المقارن في الوطن العربي وهو الدكتور "محمد غنيمي هلال"، ثم مرحلة الترويج (1960-1970)، و هي المرحلة التي عرف فيها الأدب المقارن تطورا ملحوظا في الساحة الثقافية و الأكاديمية، ثمّ مرحلة الرشد التي تمتد إلى يومنا هذا، و التي تعكس النضج التي وصلت إليه الدراسات العربية المقارنة.

إن دراسة "علوش" تشترك مع الدراسات السابقة التي سعت إلى التأريخ لنشأة الأدب المقارن في العالم الغربي و العربي على حد سواء، وتطوره، مثل دراسة "حسام الخطيب" و"عز الدين مناصرة"، إلا أنه « يمتاز على معظم المؤلفات العربية التي تعالج الموضوع نفسه من عدة نواح أبرزها تخصيص حيز واف لعرض الأدب

المقارن ومدارسه في الغرب. فالأدب المقارن علم غربي (أوربي) المنشأ، ظهر في أوربا، وفي فرنسا على وجه التحديد، وشهد هناك ظهور أهم مدارسه وتياراته المعروفة. وهذه مسألة يجب مراعاتها في التأليف المقارني العربي .أما الناحية الثانية فتتمثل في أن الدكتور علوش لم يكتف بعرض نشوء الأدب المقارن وتطوره في الغرب، بل اتبع ذلك بعرض واف تاريخياً وتحليلياً لنشوء هذا العلم وتطوره في الوطن العربي، مما جعل من هذا الكتاب منهلاً للمعلومات المتعلقة بالأدب المقارن في الغرب وفي العالم العربي على حد سواء. وهذه ناحية يشترك فيها الدكتور علوش مع زميله الفلسطيني الدكتور عز الدين المناصرة الذي ضمن كتابه "مقدمة في نظرية المقارنة" عرضاً مستفيضاً للأدب المقارن في الوطن العربي، وإن يكن المناصرة قد ركز عرضه على بدايات ظهور النظرة المقارنية في النقد العربي الحديث، وأبرز دور الناقد الفلسطيني روحي الخالدي على هذا الصعيد، بينما اكتفى الدكتور علوش بتقديم صورة بانورامية للأدب المقارن العربي في شكله الجامعي أو الأكاديمي، بحيث يمكن القول إن العرضين يكملان بعضهما بعضاً إلى حد بعيد». [1]

وفي المغرب دائما نذكر جهود الدكتور "عبد النبي ذاكر"[2] الذي وجهها إلى جنس أدب الرحلة **العربية والغربية دراسة وترجمة وتحقيقا**، وخدمة حقل الصورة العربية المقارنة وتطويره من خلال دراساته المتنوعة التي أثرت المكتبة العربية

---

[1] - عبده عبود . المرجع السابق. www.awu-dam.org/mokifadaby/249/mokf249-017.htm

[2] **-** عبد النبي ذاكر: أعد **شهادة استكمال الدروس في الأدب المقارن** سنة 1987، بدراسة مقارنة لكتاب: (*بنية اللغة الشعرية*) لجان كوهن، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. وبترجمة لدراسة أدريان مارينو: (*الشعري والأدبية*). وبالكلية نفسها، ناقش **دبلوم الدراسات العليا في الأدب المقارن** سنة 1990، برسالة تحمل عنوان: *الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوروبية إلى المغرب*، تحت إشراف د. سعيد علوش.وقد أحرز على **شهادة دكتوراه الدولة في الأدب المقارن** سنة 1998، بأطروحة تحمل عنوان: *المحتمل في الرحلة العربية إلى أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفياتي*، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير؛ تحت إشراف د. سعيد علوش.

بمجموعة من المراجع والمقالات المتخصصة لاسيما في الأدب المقارن و أدب الرحلة وحقل الصورة المقارنة نذكر منها:

1- **مراجعة الأدب العالمي**: مترجم عن أدريان مارينو؛ دار الغرب للنشر والتوزيع، منشورات مخبر "تعليمية الترجمة وتعدد الألسن"؛ جامعة وهران - الجزائر2005.

2 -**الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوروبية إلى المغرب**؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، مطبعة منشورات كوثر - الدار البيضاء 1997. صدرت طبعته الثانية مزيدة ومنقحة تحت عنوان: أوروبا والمغرب نظرات متقاطعة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكَادير ، مطبعة أنفو برانت، فاس 2007.

وقد صدر للناقد والمترجم د.عبد النبي ذاكر ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة ابن زهر بأقادير الطبعة الثانية من كتاب "المغرب وأوروبا: نظرات متقاطعة"، وهو كتاب يدعونا، من خلال رحلته الطويلة مع الرحلات الأوروبية والمغربية على حد سواء، إلى قراءة وإعادة قراءة تاريخ صورة المغربي فيما وراء البحار قراءة استكشافية علمية. كما ضمّن الباحث كتابه هذا بمدخل نظري، في محاولة للتعريف بحقل دراسات الصورة الأدبية المقارنة ومنهجية البحث فيه.

3 -الجزائر:

أما بالجزائر فإلى جانب الجهود الرائدة للباحث جمال الدين بن شيخ (1930-2005)، أستاذ "الأدب العربي في القرون الوسطى" و "الأدب المقارن" بجامعة السربون، ومؤسس مجلة "دفاتر جزائرية في الأدب المقارن" Cahiers algériens de littérature comparée المتخصصة في الأدب المقارن، نذكر الباحث الجزائري "سعد الدين بن شنب" (1907- 1968) ، وهو المقارن و الناقد الذي أثرى الأدب العربي بدراساته في علم اللغة والنقد و الفلكلور الجزائري و الأدب المقارن، اهتم في دراساته المقارنة بتأثير الأدبين الأوربي والأمريكي على الشعر والمسرح العربي المعاصر، وكان أول مقارن جزائري قارب بين المويلحي و إدموند أبوت Edmond ABOUT و بحث في أصول المصادر العربية لسرفنتس Cervantes.

و يطالعنا الباحث الجزائري "عبد المجيد حنون"، من جامعة عنابة، رئيس الرابطة العربية للأدب المقارن بمجموعة من الدراسات المتخصصة عن الأدب المقارن والمحاضرات التي لا تكاد تخلو من التدليل على تأثير الآداب الفرنسية على الأدب العربي ، نذكر من بين أعماله :

1983- محاضرة مطولة محورها " التأريخ للشيخ صالح بن العابد"(1875-1934)، حرص فيها على التدليل على أصول الأدب العربي بالحديث الجزائر، شعرا ونثرا،الذي لم يأت وليدا لحركة الإصلاح المشرقية وحسب، وإنما كان للأدب الفرنسي أثره البالغ على جل لأدباء الجزائريين أمثال "أحمد رضا حوحو"، و"أحمد بن عاشور"، و"الشاعر أمين العمودي" وغيرهم.

1984- محاضرة نظرية لتحديد مفهوم الأدب المقارن بعنوان، "محاولة لتحديد مفهوم الأدب المقارن".

1985- "تدخل بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة فيكتور هيجو"، ركز فيه على اهتمام أجيال مختلفة من الكتاب العرب بهذا الشاعر الكبير، من المشرق والمغرب العربيين، انطلاقا من "أديب اسحاق" و"ديمتري خلاط" و "الشيخ نجيب الحداد" و "روحي الخالدي" وغيرهم.

1990- "السياق التاريخي والثقافي في نشأة النقد الجامعي عند العرب – حالة احمد ضيف"

مركزا عل نظرية المنهج التاريخي الفرنسي في النقد الأدبي، ثم طبق عيها من خلال الموروث الثقافي.

1992- "اللانسونية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث"- أطروحة

1993- "أصداء النقد الفرنسي عند رواد النقد العربي الحديث"

1995- "المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي ونقده"

1995- "الأساطير الأدبية في الأدب المقارن بين الغربيين و العرب "- محاضرة-

1997-" ناصر الدين الأسد و المنهج التاريخي"

2003- " أدب الأطفال و الأدب المقارن"

2004-"لمحة عن المقارنة في التراث النقدي"

2004- "أبو العيد دودو والأدب المقارن في الجزائر"

2005- " النقد الأسطوري والأدب العربي الحديث".

أما بجامعة الجزائر فنذكر جهود المرحوم" أبو العيد دودو"الذي كرس حياته وقلمه لخدمة الأدب والترجمة في محاولة للمشاركة في الحوار الحضاري و الثقافي العربي، وذلك من خلال إنتاج ثقافة نوعية، أراد أن يشارك في النقاش الذي تعرفه الدراسات المقارنة المعاصرة في الوطن العربي ،والذي لا زال قائما إلى يومنا، وذلك من خلال تقديم مشهد عن أحد أهم الاتجاهات الحالية في الأدب المقارن ألا وهو الاتجاه السوسيولوجي الذي لا نكاد نعرف عنه الكثير .

وقد كان أول الأقلام العربية التي تناولت التعريف بهذا الاتجاه الذي تزعمه "تسيما"(1946) أستاذ الأدب المقارن في معهد الأدب العام والمقارن، الذي أنشأ عام1984 بجامعة "كك غنفورت" في النمسا، وذلك من خلال مقاربة مرجع على قدر من الأهمية غير متوفر في اللغة العربية يحمل عنوان "علم الأدب المقارن komparatistik" صدر بالنمسا سنة 1992، وهو يعبر عن اتجاه جديد في الأدب المقارن.

يقول "أبو العيد دودو" عن هذا المؤلف : « **أراد أن يقدم للقارئ صورة واضحة عن الأدب المقارن، ويقدم له في الوقت نفسه الأسس المنهجية والنظرية، وحاول فوق ذلك لأن يعيد صياغة بنية الأدب المقارن انطلاقا من النصوص**

الاجتماعية و يصف ميادينه الجوهرية من مقارنة تكوينية، ومقارنة نمطية ومقارنة احتفائية أو متصلة بالتلقي، ثم تحث عن الترجمة الأدبية والتقسيمات المرحلية وتاريخ الأجناس الأدبية، على أساس ما وصلت إليه الدراسات المقارنة في هذا الميدان» . [1]

من الواضح أن "أبا العيد دودو" لم يقبل على تقديم هذا الكتاب للمتلقي الغربي إلا لما لمسه من تعبير عن تجربة رائدة في مجال التنظير لهذا العلم تضاف إلى قائمة المؤلفات التي تسابقت أقلام الترجمة إلى نقلها إلى اللغة العربية والنهل منها، للتعريف بأسس ومناهج المدارس الأولى الأدب المقارن من المدرسة الفرنسية إلى المدرسة الأمريكية إلى المدرسة الألمانية ... بل إن هذا المؤلف ينطلق من هذه المدارس نفسها ويجعلها مرتكزا نظريا لعلم الأدب المقارن ، فيحتكم إليها تارة و ينشق عنها تارة أخرى، مقدما مفهوما تكامليا جديدا لعلم الأدب المقارن.

ويعبر "تسيما" عن مفهومه الجديد للأدب المقارن من خلال إطلاق صيحة أسف على إهمال الدراسات السابقة المسائل التأسيسية والنظرية للأدب المقارن و المتمثلة-في نظره- إلى العودة إلى النظرية النقدية القديمة المنحدرة من ربط الفلسفة بالعلم ، ذلك أن هذا العلم الذي ينظر إليه على أنه" دراسة علمية في مجال الفنون، لم يعالج في إطار صلته بفلسفة علم الجمال كما تصورها الفلاسفة أمثال هيغل(1770-1831 Hegel) و فريديريك فيشر (1807-1887)

[1] – أبو العيد دودو ، الأدب المقارن لبيتر.ف. تسيما" مجلة اللغة والأدب العربي ، ع 16، ديسمبر 2003، ص 32

و بهذا فإن "تسيما" يدعو إلى إقامة نظرية نقدية خاصة بالأدب المقارن قائمة على محاولة الجمع بين المنهج الاجتماعي والتفكير الفلسفي، بمعنى ربط الأدب بمناهج علم الدلالة وعلم الاجتماع و علم النفس في علاقة كل منها بالجماليات الفلسفية .

و لا يبتعد "تسيما " في مفهومه للأدب المقارن عن مفهوم المدرسة الأمريكية النقدية في توسيعه من مجال المقارنة إلى التعامل مع موضوعات تتجاوز الأدب إلى مقارنة الأدب بمختلف مجالات الفنون الأخرى مثل الموسيقى والرسم والفن .... بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، عندما يمكن الباحث المقارني من الاستعانة بالمنهج والنظرية المناسبين لدراسة الموضوع المطروح " و الهدف من وراء هذه الدراسات هو معرفة مدى مساهمة علم الاجتماع الأدبي، و علم النفس الأدبي و النظريات الدلالية والمنهجية اللسانية النصية في المقارنة الأدبية و إبراز سماته مما يؤدي إلى ظهور مفاهيم مختلفة."

و من جملة المصطلحات الجديدة التي أضافها "تسيما" إلى معجم المصطلحات المقارنة، مصطلحي "المقارنة النمطية" و "المقارنة التكوينية"، أما عن المقارنة التكوينية فتعنى بالمشابهات التي تنشأ عن الاتصالات المباشرة و غير المباشرة بين الأدباء ، ممثلة في المدرسة الفرنسية ، و أما المقارنة النمطية " فتنشأ عن التشابهات التي لا تنشأ الاتصالات، و إنما تنشأ على أساس من شروط الإنتاج و التلقي "، إلا أنه يقر في النهاية إلى أنهما متكاملتان " إذ لا تتم في معظم الأحيان إحداهما دون الأخرى، لاسيما عندما يتعلق الأمر بدراسة ظواهر تنتمي إل فترة واحدة "، غير أنه يؤكد لاحقا

على الفرق الحاصل بين دراسات "التأثير" من جهة و دراسات " التلقي" من جهة أخرى، و الذي يعود بالدرجة الأولى إلى اختلافات منهجية محضة :

فالتأثير يهتم بدراسة مظاهر التأثير والتأثر بين أعمال مفردة و أما التلقي «**فيهتم بدراسة عدد كبير من النقاد أو ردود فعل عند القراء على النصوص المفردة أو على عمل كامل. فيحكمون عليه بناء على معايير معينة و يصنفونه**»[1] .

كما يتحدث عن الترجمة الأدبية، مناهجها ونظرياتها، مشيدا بدور الترجمة الأدبية الاجتماعي المتمثل في « **دعم التطورات الثقافية و المذهبية في المجتمع**»[2]

و يسهب في الحديث عن الأجناس الأدبية ، ليفسح المجال في آخر المطاف من الكتاب إلى زميله "يوحان شتروس Johann Strutz "، لتقديم وجهة نظر الخاصة به، تختلف عن كل الدراسات التطبيقية التي نعرفها، و التي تتمثل في "المقارنة محليا"، فالطبيعة الجغرافية والثقافية والاديويلوجة التي تنفرد بها الإمبراطورية النمساوية جعلت من الآداب الممتدة بين جبال الألب ونهر أدرياس أرضا تلتقي فيها اللغات والثقافات السلافية والألمانية و الرومانة، بل أن الازدواجية و التعدد اللغوي هي السمة المميزة لمعظم المدن، و هذا « **يساعد على القيام بدراسات مقارنة تكون و ثيقة الصلة بالعلوم الاجتماعية**»[3] .

وعلى عكس المدرسة الأمريكية التي تلغي الحدود اللغوية في عملية المقارنة، بحيث تسمح بمقارنة الأدب الانجليزي و الأدب الأمريكي المكتوبين باللغة الإنجليزية،

---

[1] – أبو العيد دودو. المرجع السابق. ص58.
[2] – نفسه. ص65
[3] – نفسه. ص 74

يذهب إلى إلغاء الحدود الجغرافية بين آداب كتبت بلغات مختلفة، بحيث يسمح بعقد مقارنات بين نصوص كتبت بلغات مختلفة لكنها تنتمي إلى مساحة جغرافية واحدة، لأن الحدود الجغرافية لا تعني بالضرورة، ثقافة واحدة وإيديولوجيات واحدة، و إنما تتميز المنطقة الأوربية بأنها مركز الثقافات الأوربية. *

و إلى جانب "أبو العيد دودو" نذكر جهود الأستاذ "عبد القادر بوزيدة" في التأليف والترجمة في تخصص الأدب المقارن، و من بين أعماله النظرية مقاله حول "التأثير والتأثر" المنشور بمجلة "الثقافة" في عددها الثاني، و الذي يكشف فيه عن توجهه السوسيولوجي ،وتأثره بفيكتور جيرمونسكي Victor Girmonski و "بول كورنيا" Paul Cornéa اللذين يذهبان إلى أن التأثير الخارجي وحده لا يكفي لتفسر الظواهر الأدبية، وإنما ينبغي الاعتماد على مختلف العوامل الأخرى الداخلية والخارجية معا.

نذكر كذلك لنفس الباحث ترجمته لمقال "تيبور كلانيكزاي" حول **"العصور الأدبية: البنية الاجتماعية و الأسلوب" (1983)** [1] و ترجمة كتاب **" الوجيز في الأدب المقارن – نظريات و مناهج المقاربة المقارنة"**[2] تأليف فرانسيس كلودن وكارين حداد فولتنغ (2002)، و الذي تكمن أهميته في تخصيصه الجزء الأكبر من الدراسة لطريقة كتابة المقالة المقارنية نظريا وتطبيقيا،و كذا التحليل المقارني

* ـ لمزيد من المعلومات ينظر أبو العيد دودو المرجع نفسه.

[1] ـ مقال "تيبور كلانيكزاي" ، "العصور الأدبية: البنية الاجتماعية و الأسلوب" ترجمة عبد القادر بوزيدة، مجلة الرؤيا، الجزائر ، اتحاد الكتاب الجزائريين. ع 3،(1983).

[2] ـ كتاب لـ فرانسيس كلودن و كارينحداد فولتنغ ، "الوجيز في الأدب المقارن" ، ترجمة عبد القادر بوزيدة، الجزائر، دار الحكمة ، 2002

للنصوص مما يجعل منه مرجعا هاما في تكوين الطلبة الذين هم بأمس الحاجة إلى مثل هذه المراجع التعليمية .

ومن المراجع التعليمية في الأدب المقارن نذكر مؤلف "زبير دراقي"من جامعة تلمسان، الموسوم بـ**"محاضرات في الأدب المقارن"** وهو كتاب تعليمي ذو طابع مدرسي يحوي مجموعة من المحاضرات حول نشأة الأدب المقارن وتطوره، و عدّة الباحث المقارن، و ميادين البحث فيه، ومختلف اتجاهاته النقدية و نتائجه على المستوى العالمي.

أما بجامعة وهران فنذكر الأستاذ الدكتور بن عبد الله الأخضر، أستاذ الترجمة والأدب المقارن بجامعة وهران، و يعد أول أستاذ درّس هذه المادة بهذه الجامعة مباشرة بعد عودته من بعثة بفرنسا، وكرّس كل مجهوده في خدمة الأدب المقارن وتحملّ عبء تدريس المادة والإشراف وحده إلى غاية التحاق الأستاذ الدكتور شريفي عبد الواحد. و قد خصّ الدكتور بن عبد الله حقل الموضوعاتية باهتمام بالغ، وله دراسة قيمة حول **" تيمة جان دارك في الأدب العالمي"** استهل دراسته هذه بمقدمة نظرية وافية عن ماهية "حقل التيماتولوجيا" ومنهجية البحث فيه، محاولا سد الفراغ الذي تعاني منه الدراسات التيماتولوجية في الوطن العربي.

وإلى جانب الأستاذ "بن عبد الله"، و بعد التحاقه بجامعة وهران، تقاسم الدكتور "شريفي عبد الواحد" أعباء تدريس مقياس الأدب المقارن و الإشراف مع فتح مشروع ماجستير في تخصص الأدب المقارن، سنة 1998، أسفر عن تكوين ثلة من الباحثين

المقارنين الذين أسهموا في إثراء المكتبة العربية بدراسات جادة في مختلف حقول الأدب المقارن وهم :

1 -بلعثمان ميلود :"**صورة الصحراء الجزائرية بين إتيان دينيه وإيزابيل أبرهارت**"(ماجستير 2001)

2 -بلعثمان ميلود" " **صورة أولاد نايل في الأدب الاستعماري**"(دكتوراه-2008)

3 -صغور أحلام : "**الوجودية في روايات محمد زفزاف**" (ماجستير 2001)

4 -بلعالم محمد:" **تيمة يوسف في الأدب العالمي** " (ماجستير 2004)

5 -بلهوادية فاطمة : "**تأثير مجنون ليلى في مجنون أكسا**" (ماجستير2004)

6 -مغربي هوارية :" **صورة العربي بين فرانز كافكا و ألبير كامي** "، (ماجستير 2004)

7 -مقيدش سعيد : " **أثر فلوبير في روايات محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة بين مدام بوفاري وهكذا خلقت**" (ماجستير 2008)

هذا إلى جانب مشاركته الفاعلة في حوار الأدب المقارن من خلال مقالاته ودراساته المتخصصة، نذكر أهمها " **ألف ليلة و ليلة في الأدب الفرنسي**" مخصصا حيزا تطبيقيا واسعا إلى مقارنة ألف ليلة وليلة بأعمال كل من الكاتبين فولتير ومونتيسكيو.

وفي سنة 1987، التحق الدكتور خليل نصر الدين بجامعة وهران بعد عودته من بعثة بفرنسا أسفرت عن حصوله على شهادة دكتوراه من الدرجة الثالثة في تخصص

اللغة والأدب الفرنسي ببحث حول " Le rôle des Misérables dans la formation de Germinal" (1986) نوقشت بجامعة بول فاليري، مونبولي III، وهي دراسة تنهج منحى المدرسة الأمريكية التي تلغي الحدود اللغوية بين الآداب المختلفة، وتسمح بعقد مقارنات بين الآداب التي تنتمي إلى نفس المجموعة اللغوية .

4 تـونـس:

ومن تونس نذكر جهود الناقد و الروائي الدكتور محمد طرشونة، أستاذ التعليم العالي بالجامعة التونسية منذ سنة1971 فقد صدر له مرجعا تعليميا في الأدب المقارن بعنوان "مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقاته على ألف ليلة و ليلة" في ثلاث طبعات متتالية: ط1 بتونس سنة 1986، ط2 بغداد سنة 1988 و ط3 بتونس سنة 1997.

يقع الكتاب في 161 صفحة، وهو مقسم إلى قسمين، كتب له المؤلف مقدمة عنونها "بوابة الآفاق"، جال فيها بين مختلف تعاريف الأدب المقارن الغربية والعربية مشيرا إلى الاهتمام المتنامي الذي يعرفه هذا النوع من العلوم الإنسانية في العالم العربي، فخصص له المكانة الأكاديمية اللائقة، و الدوريات المتخصصة، خاتما هذه الافتتاحية بمقاصده و أهدافه من وراء هذه المساهمة في الأدب المقارن التي تحرص «**على الجمع بين التنظير والتطبيق، إيمانا بتلازمهما وتكاملهما .**»[1]

[1] - محمد طرشونة. "مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقاته على ألف ليلة و ليلة".تونس .1986 .ص 9

ويتكون الكتاب من قسمين، أولهما "مدخل إلى الأدب المقارن "، و هو مدخل نظري عن نشأة الأدب المقارن بأوربا في القرن التاسع عشر،وتطوره واتجاهاته المختلفة، و مجالات البحث فيه، و يختم الدراسة بتحديد الفرق بين الأدب العام والأدب الكوني(الأدب العالمي)، لينتقل في الفصل الثاني إلى الدراسة التطبيقية التي خصصها حول "ألف ليلة و ليلة" وتأثيرها في الأدب العالمي عنونها " ألف ليلة و ليلة أدبا كونيا". والكتاب في هذه الصورة التي قدّمها به "محمد طرشونة" يصلح لتلبية حاجات طلاب الجامعات، لما يحمله من عرض نظري تاريخي ودراسة تطبيقية تمثيلية لحقل التأثير و التأثر الأدبي.

كما صدر للأستاذ "منذر البشير الشفرة"، أستاذ الأدب بكلية الآداب بالقيروان، كتابا في الأدب المقارن بعنوان " **على عتبات الشرق و الغرب، في الأدب المقارن"2008**، وهو كتاب اشترك في تأليفه مع الباحث البحريني محمد الطاهر عبد القاهر العصفور، آثر مؤلفاه الاعتماد على أحدث ما توصل إليه النقد الأدبي من مقاربات سردية وسيميائية وتداولية، واتسّم، أيضا، بالدقة العلمية والمنهجية المحكمة بالإضافة إلى الاعتناء بوجوه من الأدب المعاصر. وإحالة لمباحث إدوارد سعيد والكيلاني وبن عياد والخطيبي وغيرهم ممن رسخوا الخطاب المثمر بين الشرق والغرب" على عتبات الشرق والغرب" ويقع الكتاب في 160 صفحة مع إيراد ثبت اصطلاحي به إشارات سيميائية وتداولية.

استنتاجات :

و في نهاية هذا العرض السريع حول "واقع الأدب المقارن في البلاد العربية"، نخلص إلى نتيجة جوهرية، و هي أنه على الرغم من الجهود المبذولة لكسب رهان المقارنين العرب على هذا الفرع المعرفي الثقافي، إلا أنها لم تكن في مستوى الطموح، ولم تحقق للأدب المقارن العربي تلك النقلة المأمولة التي تمكنه من تخطي سنوات التأخر الفاصلة بينه وبين نظيره في البلاد الغربية زهاء ما يقارب قرن من الزمن. و لم تنجح كل المساعي المبذولة من نقله من مجرد مقياس هامشي مقزم في الجامعات العربية، يسترعي اهتمام فئة محدودة من الأساتذة المتخصصين والطلبة إلى فرع معرفي من بين فروع المعرفة المختلفة.

و على الرغم من الإقبال الذي عرفه هذا العلم الذي ارتبط حال دخوله العالم العربي بالجامعات العربية، و على الرغم من تضاعف الجهود المبذولة إلا أنها لم تتعد حدود تطبيقه مثلما وصل إلينا مستوردا من الغرب، بكل ما يعتريه من تناقض وتضارب وجدال. و لم يستطع المقارنون العرب الخروج برؤية خاصة عربية الملامح و الروح، بل راحوا يبذلون الجهود المشتتة في الانتصار لهذه المدرسة الغربية عن الأخرى، بدل الاستفادة من تجارب المدارس العالمية دون أن يلزموا أنفسهم بمفاهيم مدرسة بعينها و لا يدفعهم إلا وازع واحد ألا وهو الاستجابة إلى حاجة الأدب العربي وتراثه العربي .

غير أن ما نلاحظه على المقارنين العرب هو غياب رؤية منهجية خاصة للأدب المقارن مؤسسة على التحليل والتمحيص والسعي وراء إعمال الفكر العربي في هذا المجال ، لتحل محلها نزعة ترويجية تجعل أصوات العرب تتجزأ، فهذا منتصر للمدرسة الفرنسية و فلسفتها الوضعية و ذاك منتصر للاتجاه الأمريكي النقدي المتفتح على المتغيرات الثقافية و الحضارية، و آخر يسعى إلى تحقيق نظرة توفيقية تكاملية بين الاتجاهين، و آخر يناصر التوجه الألماني وهكذا يغيب التوجه العربي في ظل الانقياد وراء سطوة الاتجاهات الغربية.

ولو راجع العرب تاريخ نشأة هذه المدارس الغربية لاكتشفوا أن كل مفهوم من مفاهيم الأدب المقارن نشأ من رحم العوامل المختلفة و معطيات العصر الذي ينتمي إليه، استجابة إلى حاجة الواقع الاجتماعي و السياسي و الثقافي الذي ينتمي إليه، فنشأة المدرسة الفرنسية مهدت لها عوامل مختلفة من بينها ظاهرة النسبية، و ظهور المنهج المقارن في عدة مجالات معرفية أخرى مثل علم التشريح المقارن، و علم الأديان المقارنة،واللغة والقانون المقارن... بالإضافة إلى الظروف السياسية والحروب الاستعمارية و ازدهار وسائل الاتصال و الطباعة وغيرها.... و في ظل تغير الظروف وقف المفهوم الفرنسي عاجزا عن التصدي لسهام النقد التي وجهت إليه، فلم يملك إلا أن أعاد مراجعة ثوابته التقليدية وما يتماشى و متطلبات العصر الحديث، وما أن تجدد المناخ الأدبي حتى برز الاتجاه الأمريكي عاكسا مفاهيم جديدة آخذا بمنطلقات حديثة تختلف تماما عن المفهوم التقليدي، تنم عن رؤية إيديولوجية

نقدية متميزة عن الرؤية الفرنسية في الكثير من جوانبها مثل النظرة إلى اللغات والتراث.

و لا نسعى هنا إلى العودة من جديد إلى حديث عن المدارس الغربية، و إنما هي إنارة نستدل في ضوئها على أن الجهود العربية غيبت قضية جوهرية، هي من أساسيات بناء أي علم من العلوم لأي امة من الأمم، ألا وهي الانطلاق من واقع المعطيات الفكرية والثقافية و الحضارية للأمة العربية، لبناء أدب مقارن عربي يخدم هذا الأدب العربي بكل ما يتميز به عن غيره من الآداب، دون إغفال الخصوصية التاريخية للأدب في هذا القطر العربي أو ذاك، و أن لا تقتصر الجهود على استيراد المناهج الغربية واستهلاكها فقط، لأنه لا يوجد تطابق بين أسس الحضارتين إطلاقا، ونعتقد أنه في العودة إلى تراثنا العربي ما يحقق للأدب المقارن العربي نقلة نوعية تخرجه من أزمته أو معضلته.

ونحن لنتساءل الآن، هل وراء هذا الاهتمام بهذا النوع من الدراسات الحديثة مجرد رغبة في الولوج إلى العصرنة، و اعتبار الأدب المقارن صيحة من صيحات العصر لا يسعى العرب إلا أن يقلدوها، أم إيمانا بالأهمية المعرفية لهذا الفرع من الدراسات وقيمتها.

أما على مستوى الدراسات المقارنة المغاربية، فقد سجّلنا تنويعا خاصا لاتجاهات الأدب المقارن، وانفتاحا على مناهجه الجديدة المنتشرة في العالم الغربي، وبروز أسماء لها شأنها في الساحة المقارنية المغاربية خاصة والعربية عامة، أغنت

الأدب المقارن العربي بدراسات على قدر من الأهمية والرقي، وإن أولت عنايتها أكثر إلى الجانب التطبيقي الذي بات مصير الأدب المقارن العربي مرهون عليه لتأسيس توجه عربي خاص.

ومن ثمّ ستسير الدراسة في الفصول اللاّحقة على معاينة هذا النتاج التطبيقي، وتصنيفه، وتحديد توجهاته ومميزاته، من أجل الوقوف على واقع الدراسات المقارنة بالمغرب العربي، ومدى مساهمتها في النهوض بالأدب المقارن العربي.

الفصل الثالث

حـقـلا المؤثر الواحد والتأثيرات المتعددة (المصادر الأدبية)

تحتل قضية التأثيرات الأدبية المتبادلة بين الأعمال الأدبية مكانة مركزية في الدراسات الأدبية المقارنة؛ ذلك أن الأدب ظاهرة إنسانية معقدة. أمّا القول بمحدودية العمل الأدبي و إنطوائيته على نفسه « **على نحو يبدو معه مكتفيا بنفسه و مبررا لذاته وغير محتاج للبحث عن مرجعيات أخرى تقع خارج العلاقات اللسانية و الصوتية والتركيبية الموجودة في النص نفسه** »[1]، فهو قول يشوبه الكثير من الخطأ. فالنص الأدبي له شؤون داخلية و أخرى خارجية، أما الشؤون الداخلية فلها علاقة ببنيته الداخلية و صوره وتركيباته ودلالته ومضمونه وشخصياته ... و أما الخارجية فتتمثل في اتصاله بالآداب الأخرى، وتماسه وعناصر ومؤثرات تنتمي إلى الآخر. إنها طبيعة ملازمة للأدب، لأنه نتاج إنساني فاعل ومتفاعل مع الآداب الأخرى، يتلاقح مع التيارات الأدبية و الفكرية والفنية، يؤثر فيها ويتأثر بها.

و الحقيقة إن فسحة تماس هذا النص أو ذاك مع نص آخر تتفاوت تفاوتا كبيرا. فتنوع أشكال هذه التأثيرات هائل؛ لأنها يمكن أن تكون في بناه الصغرى المكونة له أو في بنيته الكبرى، في بنيته السطحية أو في بنيته العميقة، في مضمونه أو في شخصياته، في أي جانب من عناصره أو مكوناته. وعندما يكون هذا التماس واقعا، يجد الدارس نفسه ميالا إلى الاستعانة بالمنهج المقارن لرصد مظاهر التأثير والتأثر، و هي أمور عادة ما توكل إلى الدراسات المقارنة للأدب.

وفي البداية، تجدر الإشارة إلى أن دراسة التأثيرات المتبادلة بين الآداب لا تقتصر على حصر المقارنة في « **الانفراد بمبدأ بسيط هو التفرع الثنائي**

[1] - ضياء خضير . " مكانة المتلقي في الأدب المقارن " ، مجلة علامات ، ج 34 ، مج 9 ، ديسمبر 1999 ، ص 102

Dichotomie المعروف بالشمولية (كوني) و الذي يسمى في المعلوماتية Informatique بالبنية التعاقبية أو التناوبية، والتي هي من عهد جبر بول Boole في القرن 19 ، ترتكز على نموذج التيار الكهربائي (الذي يمر في الدارة): نعم أو لا ، كله أبيض أو كله أسود...»[1].

إن هذا المفهوم المبني على الثنائية الضدية يسعى إلى تقليص النصوص الأدبية إلى تركيبات من مثل : النهار في مقابل الليل، الحرب في مقابل السلم، غير أن هذه المقاربة، وإن كانت ناجعة في مجال الدراسات العلمية، تعد مقارنة على مستوى فكري محدود، فهي لا تعبر إلا عن تشابه سطحي و مطابقات عرضية، لا يمكن اعتمادها دليلا أو برهانا يثبت ظاهرة التأثير و التأثر، لأن العمل الأدبي، أولا و قبل أي شيء، نتاج إنساني محسوس، فكيف نطبق على شيء محسوس قوانين تحكم المادة . إضافة إلى أن طبيعة الأدب في توازن غير مستقر؛ فالنهار في الأثر الأدبي قد لا يقابله دائما الليل و الحرب قد لا تكون دائما في مقابل السلم، بل هناك مدلولات أخرى وتأويلات أخرى لهذه الدوال، يحددها النص نفسه وفق سياق الحال [2]. فالنص الأدبي **«جزء متميز لخطاب عام ممكن في لغة إنسانية، و حامل لبعض الوفاق الاجتماعي الثقافي الذي يمنحه في فترة معينة من تاريخنا قانونا أساسيا ، وبعض الأهمية... إذا**

[1] ـ ميشال باربو ، " التمييزية و الاختيارات المنهجية في التحليل الأدبي "، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح و المنهج . عنابة من 08 إلى 12 جويلية 1984 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.ص 178

[2] ـ لمزيد من المعلومات، ينظر المرجع نفسه، ص 178 و ما يليها.

من غير المعقول أن نطبق عليه – دون مبررات مؤكدة – مسلمات ترخيصية مثل المنطق ذي مدلولين (نعم / لا ، حاضر / غائب ، صحيح / خطأ).» [1]

إن المسألة أعمق و أكثر شمولا. فالأدب المقارن هو دراسة التأثيرات الأدبية على مستوى البنيات التركيبية المكونة للأثر الأدبي، سواء على مستوى بنيته الكلية أو بناه الصغرى المكونة له، و التقنيات الفنية المختلفة وكذا المؤثرات الفكرية و الفنية والنفسية العامة، والتجربة الإنسانية السائدة في مرحلة معينة أو في حقبة زمنية معينة. وانطلاقا من هذا المنظور لا يمكن قصر المقارنة على منهج واحد ووحيد.

« وتدور المناقشة الواسعة حول مفهوم التأثير في الأدب المقارن حول منهجين مختلفين في تناول المشكلة، الأول يتعلق بالبحث التاريخي في أصول التأثير، والآخر منهج نقدي صرف» [2] . أما المنهج الأول، فهو المنهج الذي أرست دعائمه المدرسة الفرنسية في دراسة التأثير بين كاتب وآخر، أو بين كاتب وآداب أخرى، استنادا على دراسة الصلات التاريخية التي تعتمد إظهار الروابط الحقيقية في العلاقة بين النصوص المدروسة من خلال المدونات التاريخية و الأسباب والمسببات.

وأما المنهج الثاني، فهو منهج المدرسة الأمريكية للأدب المقارن، التي وضعت مقولات المدرسة الفرنسية على المحك، وجعلتها تعيد النظر في بعض مسلماتها، **«خصوصا بعد أن فتح الدرس المقارن في أمريكا الباب نحو مناهج و آفاق أوسع للنظر إلى العلاقة القائمة بين الآداب و الثقافات المختلفة، و تجاوز الطابع المسرف لأحادية النظر والنوازع القومية الضيقة من التي تجعل همها محصورا في ملاحقة**

[1] - ميشال باربو، المرجع السابق. ص 179.
[2] – سمير سرحان. مفهوم التأثير في الأدب المقارن. مجلة فصول، المجلد3، ع3، القاهرة ،الهيئة المصرية للكتاب، 1983، ص 29.

طرق استثمار الآخرين للنتاج الأدبي الخاص بأمة معينة متفوقة في لغتها و ثقافتها وفكرها »[1].

ويقوم منهج المدرسة الأمريكية على النقد الأدبي، « **فالتأثير الحقيقي لا بد أن يتجلى في الأعمال الأدبية ذاتها، ولذلك فإن حركة التأثير هي من عمل أدبي إلى عمل أدبي آخر، وليس من شخص إلى آخر»**[2] . فالتأثير الحقيقي، من منظور المدرسة الأمريكية، لا بد أن يتجلى من داخل الأعمال الأدبية ذاتها، من الأسلوب ومن الصور الفنية، والأفكار، ولن يتحقق ذلك إلا باستخدام المقاييس النقدية بعيدا عن التنقيب عن الأدلة والبراهين لإثبات التأثير بالوثائق و الحقائق، أو ما يطلق عليه الأمريكي هاري ليفن تسمية "العلاقات الخارجية".[3]

ويبرر أنصار المدرسة الأمريكية انتصارهم للمنهج النقدي، انطلاقا من اقتناعهم بأنه لا وجود لحقائق محايدة في الأدب، فمجرد اختيار ذلك الكتاب من ملايين المطبوعات هو فعل نقدي، و عملية التناص التي أوكلت نظرية التلقي للقارئ فك رموزها، تلغي وجود أي شيء يتوالد ذاتيا، و إنما تكون النصوص في حركة تسلسل و سيرورة مستمرتين، لا بد أن يتوفر للقارئ معرفة بما هو ضروري منها،بغية امتلاك إدراك حقيقي للنص المقروء، «**وهو ما يعطي لعنصر النقد الذي يوجه للنصوص الخاضعة لعملية المقارنة أهمية أكبر من تلك التي اعتاد الفرنسيون و أتباع منهجهم المقارن أن يمنحوها لهذه النصوص.»**[4]

و حتى المقارنة التاريخية لا يمكن اعتمادها مثل المنهج الوحيد لدراسة الماضي السحيق، لاسيما و أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن النقد يأخذ الدراسات التاريخية بجدية لا متناهية، و ذلك انطلاقا من مفهوم أن الإنسان « **لا يمكن أن يصنع شيئا خارج التاريخ، ولكن الإنسان و عمله ليسا نتاجا بسيطا و لا آليا لهذا التاريخ، أو مجرد**

[1] - ضياء خضير ، المرجع السابق . ص 105.
[2] – سمير سرحان. المرجع السابق. ص 29
[3] - لمزيد من المعلومات ينظر نفس المرجع.
[4] - ضياء خضير ، المرجع السابق . ص 105.

حلقة في سلسلة طويلة من الأسباب و النتائج التي توجد التأثيرات » [1]، فهناك أيضا السمات الفردية لأسلوب الكاتب و طريقة بناء العمل الأدبي نفسه و نظمه وتركيبه، بالإضافة إلى أن الأعمال الأدبية معالم لا وثائق.

و لا ينبغي أن ننسى « **في هذا السياق الوجه الآخر للصلة الوثيقة بين الأدب المقارن و النقد الأدبي، و التي تتمثل باستخدام هذا الأخير للمقارنة أداة مهمة من أدواته، ومن المعروف أنه من بين جميع الأسلحة التي استعملها النقد الأدبي عبر العصور ثبت أن سلاح (المقارنة) هو الأشد مضاء و الأكبر قدرة على الإقناع. ويرتبط التذوق الجمالي عادة ارتباطا وثيقا بالمقارنة، و لاسيما في ممارساته اليومية، ومعنى هذا أن الصلة بين هذين الشكلين من أشكال الدراسة الأدبية (الدراسة المقارنة للأدب و النقد الأدبي) صلة عضوية ومجدية لكلا الطرفين في سعيهما لفهم النص الأدبي و لاسيما في مسألة الصلة الخارجية».** [2]

و لا يمكن لدراسات التأثير الأدبي ،أيضا، أن تبتعد عن نتائج نظرية التلقي، لأن الموقع الذي يحتله المتلقي في الأدب المقارن موقع حساس و جوهري، فكثير من النصوص الأدبية تنطوي في ذاتها على تناصات تختلف في مرجعياتها و ثقافاتها وبيئاتها، كما تختلف في لغاتها وأزمانها أيضا، و لهذا يرى بعض الباحثين استحالة الوصول إلى معرفة حقيقية بالنص المقروء، لاسيما و أن القارئ ليس مجرد فرد، بل هو في حالة تفاهم و تواصل مع أفراد آخرين، « **فحركة الحياة الإنسانية تقوم على**

---

[1] - ضياء خضير ، المرجع السابق . ص 106.
[2] - عبد النبي اصطيف ." المنهج المقارن في الدراسة الأدبية . مجلة نزوى .ع 12. أكتوبر 1997. ص 58.

عدم الارتباط بموقف واحد دون غيره، ومن ثم لا يمكن أن يكون لها أفق واحد مغلق، إذ أن هذا الأفق شيء ندخله و يتحرك معنا، والأفاق تتغير عند الشخص المتحرك »[1]، فالمتلقي في الأدب المقارن يتحرك ضمن إطار ثقافي غير مستقر، و يبقى أفقه الثقافي في حالة تكون مستمرة انطلاقا من عنصرين هامين هما:

1 - العلاقة بالماضي .

2 - الاختيارات الفردية.

و هذا ما قاد بعض أنصار نظرية التلقي إلى رفع صفة الحصانة على النص قائلين: «**ما دمنا غير قادرين على ضمان المحافظة عليه (أي النص) إزاء قارئ من هذا النوع، فلم يعد هذا النص ملكية خاصة بالمؤلف و لا يجوز التجاوز عليها من قبل القارئ. إذ ما دامت المعايير النقدية غير ثابتة عند الجميع، فإن علينا أن نقبل بقدر غير محدود من نسبية التفسير، على الرغم من كل التأكيدات التي يقول بعض الباحثين فيها إن المعنى تاريخي دائما، و أنه يظل قائما حتى إذا أدى إلى فتح الباب لهذا النوع من النسبية.**»[2]

و لتوضيح هذه الفكرة لا بأس أن نأخذ مثالا يتعلق بالنص العربي لألف ليلة وليلة. إن اللافت للنظر في ترجمة الليالي يتمثل في كون تفاعل القارئ الأوروبي مع هذه الترجمة كان يفوق ذلك الذي كان القارئ العربي يتلقاها به، و الأمر يعود إلى

---

[1] - ضياء خضير ، المرجع السابق . ص107.
[2] - نفسه .ص108.

أسلوب أنطوان جالون في الترجمة، حيث أعاد إبداعها تماما، ووضعها وضعا جديدا في صور و مشاهد مليئة بالسحر و الإدهاش و العجائبية، عن تلك البيئة الشرقية التي تختلف تماما عن بيئة القارئ الأوربي، و كانت ترجمتها بعد ذلك إلى لغات مختلفة انطلاقا من الترجمة الفرنسية و ليس من لغتها الأصلية، و هذا دليل على أن النص يمكنه أن يعـــيش لـــدى الآخـــر حياة مختلفة. و من هذا المنطلق « **ونحن أمام استقبال عمل من هذا النوع لدى متلق لا ينتمي إلى الأفق التاريخي الذي ظهر فيه هذا العمل أول مرة، لا نكون مجبرين على اختبار قيمة الجمالية بالمقارنة مع أعمال أخرى تمت قراءتها في اللغة التي تم نقله إليها، فنحن مضطرون لملاحظة النص داخل مرجعيته الأولى في ضوء جديد مستمد من التغيير الذي أصاب أفق انتظار قارئه العربي بتأثير من القارئ الآخر، و بطريقة لا تعود فيها القراءة الجديدة مجرد استعادة لجماليات تلقي سابقة.»**[1]

و باختصار فإن دراسات التأثير الأدبي تستدعي كل فروع الدراسة الأدبية الرئيسة: تاريخ ، نقد ، نظرية الأدب ... بمقدار استعمالها للمقارنة أيضا.

و بناء على ما تقدّم، برز توجه توفيقي حاول تحديد أسس الدراسة الأدبية المقارنة انطلاقا مما يلي :

1 - إقامة الدليل الداخلي .

[1] - ضياء خضير ، المرجع السابق .ص 110.

2 - إقامة الدليل الخارجي.

أما الدليل الداخلي، أو ما يطلق عليه كذلك الدليل النصي أو الصلة الداخلية، فنجده على مستوى لغة النص أو صوره، في بنيته الكبرى أو في بناه الصغرى المكونة له، في بنيته السطحية أو في بنيته العميقة، في موضوعه أو في مضمونه، في شخصياته أوفي جوه العام، أو في أي جانب من جوانبه أو وجوهه أو مكوناته أو عناصره، لا يهم شكلها بمقدار ما يهم وجودها و دورها ووظيفتها في الكل الذي يشكل الأثر الأدبي .*

و أما الدليل الخارجي، أو ما يعرف كذلك بالدليل فوق النصي Extra-textual، فهو دليل يمكن أن يستمد من النتاج الحضاري لأمة ما سواء أكان من الوثائق أو الوقائع التاريخية، أو أدبها أو فنها أو فكرها .

و المهم في المقارنة أن لا يكتفي الدارس المقارن بالدليل الداخلي أو الدليل النصي وحسب، بل ينبغي أن يعززه بالدليل الخارجي؛«**لأن الصلة الخارجية مع الآخر، سواء أكان ذلك في مجال الأدب أم الفن أم الفكر أم الثقافة أم غيرها، هي مسوغ الدراسات المقارنة أصلا مهما بلغ نفور المرء من مسألة التركيز على التأثير و التأثر، و التداين، في الأدب المقارن، و التي كثيرا ما قرع أنصار المدرسة**

* لمزيد من المعلومات ينظر ضياء خضير ، المرجع السابق .

الفرنسية في فرنسا و خارجها لإلحاحهم عليها، و لولا وجود هذه الصلة لاتخذت الدراسة الأدبية للنص منحى آخر غير المنحى المقارن .»[1]

ينبغي على الدارس المقارن توظيف الدليلين معا توظيفا جديا في سبيل الحصول على فهم أعمق و تفسير أكثر مصداقية للأثر الأدبي موضوع الدراسة؛ وذلك لا يتأتى إلا بربطهما في إطار ما يسمى بالسياق الدال، الذي تم فيه التأثير الأدبي للنص مع العنصر الأجنبي لتحديد دلالة هذا التماس و أهميته و دوره ووظيفته داخل النص[*]، **«وتأتي أهمية هذا الأساس من كونه أفضل سبيل لتوضيح وثاقة صلة هذا التماس بالتطورات الداخلية التي خضع لها التقليد الأدبي الذي ينتمي إليه النص المدروس، وبغيرها من التطورات الثقافية والفكرية والسياسية و الاجتماعية والاقتصادية و ما إلى ذلك من متغيرات في المجتمع الذي أنتج هذا النص »**[2].

و خلاصة القول، ينبغي على الدارس المقارن أن يتعامل مع العمل الأدبي بوصفه كلا لا يتجزأ، و أن لا يستهويه البحث على الدليل الخارجي و يستغرقه استغراقا تاما، إذ عليه أن لا ينسى أن الأثر الأدبي كيان له وحدته و استقلاله، و ما

[1] ـ عبد النبي اصطيف ، المرجع السابق. ص 57.
[*] ـ لمزيد من المعلومات ،ينظر عبد النبي اصطيف ، المرجع نفسه.
[2] ـ نفسه. ص 58.

الدليل الخارجي إلا خطوة تسلط الضوء على نظام العلامات الذي يشكله و أن وظيفته الرئيسة هي فهم آليات هذا النظام وآليات إنتاجه للمعنى و الدلالة.

صحيح أن طبيعة النص المدروس هي التي تملي نوع المقاربة الأمثل لدراسته، و أن وجود الصلة التاريخية هو ما يحتم مقاربته من منظور مقارن، إلا أننا ينبغي أن لا ننسى أن دراسة العمل الأدبي، دراسة تمليها طبيعته و مكوناته وصلاته، و وظيفته تعني دراسة صلاته الخارجية ضمن سياق هذا الكل الذي يمنحه هويته و دوره في المجتمع الإنساني .

2- في المغرب العربي:

منذ أن أرسى علم الأدب المقارن دعائمه في الوطن العربي، كانت دراسات التأثير، وفق ما جاءت به المدرسة الفرنسية التقليدية للأدب المقارن هي المسيطرة على الساحة المقارنية العربية. ومع تأصل هذا العلم، و تطور مناهجه، وانفتاح المدارس العالمية على اتجاهات أخرى من الدراسات المقارنة، لم تفقد دراسات التأثير الأدبي مكانتها في الوطن العربي، بل عاشت أوج ازدهارها في الوقت الذي تراجعت فيه في العالم بأسره فاسحة المجال لمناهج أخرى أكثر تطورا.

وهذا لا يعني أن الدراسات المقارنة العربية كانت في منأى عن هذا التطور العالمي، فعلى الرغم من التأخر الكبير الذي يعرفه العالم العربي في مجال الدراسات المقارنية العربية، مقارنة بنظيرتها الغربية، ظهر جيل من المقارنين العرب كان همّه الأوّل هو اختزال المسافات الزمنية التي حالت دون انفتاح الدراسات العربية على مستجدات الأدب المقارن الغربي، من أجل تدارك ما فات و تعريف القارئ العربي بمختلف مدارس الأدب المقارن العالمية، ومناهجها. و لكن، و على الرغم من هذه الجهود، لا تزال جلّ الدراسات المقارنة التطبيقية تتجه نحو دراسات التأثير الأدبية، بالموازاة مع تفتحها على حقول الأدب المقارن الأخرى، مثل حقل "الصورة " و حقل "الموضوعاتية".

ويردّ النقاد و الدارسون هذا الإقبال اللامتناهي على دراسات التأثير الأدبي في الوطن العربي إلى أسباب متعددة نجملها في نقطتين أساسيتين هما :

1 -سهولة المنهج

2 -دقة النتائج

1 -**سهولة المنهج:**

تعد دراسات التأثير الأدبي من أبسط حقول الأدب المقارن، وأسهلها على الإطلاق منهجا وتطبيقا، مقارنة بالحقول الأخرى، فهو يعتمد على جمع المادة التاريخية التي تثبت حدوث علاقة التأثير والتأثر بين أدب قومي ما و أدب قومي آخر أو آداب قومية أخرى. لذلك فهو يشبه العمل التوثيقي.

بينما تعتمد الحقول الأخرى على استيعاب المناهج النقدية الحديثة والمتطورة مثل النقد الجديد، ونظرية الأدب الجدلية، ونظرية التلقي والتناص وغيرها من المناهج التي لا زال الفكر العربي غير مهيأ لاستيعابها بصورة كاملة، وهذا ما ذهب إليه "عبده عبود" في دراسته حول "الأدب المقارن والاتجاهات النقدية" حيث يقر جازما بوجود « **تأخر وتقصير في استيعاب المناهج والاتجاهات الجديدة في الأدب المقارن العالمي، وذلك في سياق التقصير و التأخر الحاصلين في استيعاب الفكر النقدي العالمي بصورة عامة،**

وهناك قصور في استخدام تلك المناهج تطبيقيا في الدراسات المقارنة العربية.»[1]

يرى "عبده عبود" أن تأخر الدراسات المقارنة في الوطن العربي ما هو إلا صورة عن التأخر السائد في جميع الحقول المعرفية في الوطن العربي، لهذا فإن مرد عزوف الدراسات المقارنة العربية عن حقول الأدب المقارن الأخرى التي تعتمد مناهج و اتجاهات نقدية حديثة، يعود بالدرجة الأولى إلى حداثة استقبالها في الثقافة والفكر العربي الذي لا زال غير مهيأ بالصورة الأمثل التي تسمح له بنقل هذا التفاعل الثقافي، و من ثمّ بتوظيف هذه المناهج النقدية المعاصرة و استغلالها تطبيقيا في الدرس المقارن العربي[*]، « **وحتى إذا استوعب المرء الاتجاهات المقارنة الحديثة المنبثقة عن الفكر النقدي الحديث ليس هناك من يضمن أن تستخدم تلك المناهج تطبيقيا بصورة مناسبة، و ألا يظل الالتزام بها نظريا لا تطبيقيا، بدليل أن بعض ممثلي المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن العربي، قد نحوا في دراساتهم التطبيقية منحى دراسات التأثير و التأثر الفرنسية التقليدية، و أفضل مثال على ذلك هو د.حسام الخطيب، الذي روّج أفكار المدرسة الأمريكية في العالم العربي، ولكنه نهج منهجا تقليديا على صعيد التطبيق »**[2].

[1] ـ عبده عبود . "الأدب المقارن والاتجاهات النقدية". ص 277
[*] ـ لمزيد من المعلومات ينظر عبده عبود ، المرجع نفسه.
[2] ـ نفسه . ص 278

2 ـ<u>دقة النتائج:</u>

يسمح المنهج التاريخي المعتمد في دراسات التأثير والتأثر، و القائم على الوقوف على العلاقات السببية التي كانت وراء التأثير و البرهنة بصورة تجريبية مدعمة بالوثائق عل مدى تأثر أدب قومي بأدب آخر أو آداب أخرى، ببلوغ نتائج مؤكدة و مدّعمة بصورة لا تفتح مجالا للشك مما يمكن دراسات التأثير من « **أن توظف بسهولة في النقاشات والمعارك الأدبية و النقدية الدائرة في الوطن العربي حول قضايا أدبية مثل قضية الأصالة و التقليد والتبعية والمثاقفة في الأدب الغربي الحديث.**»[1]

و هذا يعني أن نتائج دراسات التأثير تستعمل مقياسا للتدليل على مدى أصالة أو تقليد الطرف المتأثر، فكلمّا كان حجم التأثير كبيرا قلت أصالة المتأثر.

ومع مطالع السبعينيات، ومع تفتح الدراسات العربية أكثر و أكثر على الفكر الغربي تغيرّت الانشغالات وتنوعت الاهتمامات، و برزت في الساحة المغربية دراسات جديدة أضافت نوعا جديدا من التجريب إلى دراسات التأثير الأدبي، وظهر على هذا الصعيد اتجاهان :

1 ـاتجاه يُعنى بتأثير الأدب العربي على الآداب الغربية.

2 ـاتجاه يُعنى بتأثر الأدب العربي بالآداب الغربية.

[1] ـ عبده عبود . المرجع السابق. ص 278

و ينقسم هذان الاتجاهان بدورهما منهجيا إلى دراسة علاقة "التأثير و التأثر" إنطلاقا من:

1 -أثر أدب في أدب آخر

2 -أثر أديب في أديب آخر أو آداب أخرى.

1 أثر أدب في أدب آخر:

يأتي الأدب الأوربي في صدارة الآداب الأجنبية التي أولاها المقارنون المغاربة عنايتهم، بحكم العلاقات التاريخية والجغرافية، لاسيما تلك العلاقة التاريخية و الثقافية التي تجمع الذات العربية بالذات الأوربية، و هي العلاقة التي عوّل عليها "طه حسين" في مشروعه النقدي، لذلك قدّم لنا الباحث المغربي "أحمد بوحسن" في دراسته الموسومة بـ" **الغرب في المشروع النقدي لطه حسين**". قراءة لأسس كتابة "طه حسين" اليونانية الأوربية، وتبيان النص الأدبي لديه. وتبرز الدراسة، كذلك، قراءات "طه حسين" للقصص الفرنسية وبيداغوجية الكتابة لديه في محاولة للنهوض بالأدب العربي. حيث يقترح "طه حسين" « **في إطار إعادة بناء النص الأدبي العربي قراءة غربية باسم العلم الذي لا وطن له، وباسم الانفتاح، وباسم الثقافة الإنسانية**»[1] ، فكثير من الحضارات استطاعت أن تبني صرحها انطلاقا من الحضارات السابقة، وها

[1] - أحمد بوحسن."الغرب في المشروع النقدي لطه حسين" ، مجلة كلية الآداب، الرباط ، ع 11، 1986. ص 131

هي الحضارة الأوربية قد استطاعت أن تعيد صياغة تاريخها وحضارتها اعتمادا على الحضارة الإغريقية و الرومانية و العربية و الدين المسيحي، «**فلماذا لا نعتمد نفس الطريق، وقد سلكته الحضارة العربية من قبل حينما قامت في العصور العباسية الإسلامية على الحضارة الإغريقية والهندية وغيرها.**»[1]

إن ظاهرة تلاقح الأدب العربي بالآداب الأوربية، وتفاعله و إياها تأثرا وتأثيرا، هي ظاهرة طبيعية و ملازمة للأدب، وعند مطالعة دراسات المقارنين المغاربة نسجل وجود دراسات كثيرة عنيت بهذه العلاقة، لاسيما تلك المرتبطة بتأثير الحضارة العربية في الشعراء البروفنسيين، إذ نسجل عدّة دراسات تناولت هذه العلاقة، من بينها دراسة المغربي "محمد الفاسي" حول "**تأثير الشعر العربي بالأندلس في الآداب الفرنسية**"[*] (1981)،و هي حوصلة لما جاء في دراسة نشرها باللغة الفرنسية في عدد خاص من مجلة "دفاتر الجنوب " Cahiers du Sud سنة1943 بعنوان " **الشعر العربي الأندلسي وأثره على التروبادور البروفنسيين**" **La poésie arabe andalouse et son influence sur les Troubadours Provences**

وهي واحدة من الدراسات التي تلتفت إلى الحضارة العربية، و مدى إشعاعها في العالم المتمدن، ومساهمتها في النهضة الأوربية بأوربا، ومدى تأثير الأدب العربي على الغرب، لاسيما الشعراء البروفانسين – التروبادور Troubadours أو "الواجدون" الذين راحوا ينظمون أشعارهم باللغة التي يتكلمون بها على غرار ما يفعله الشعراء الزجالون بالأندلس وشعراء الملحون بالمغرب.

1 - أحمد بوحسن.المرج السابق. ص 131
* - مقالة منشورة بمجلة المناهل ، الرباط ، ع 20، 1981

والواقع أن الأوربيين أنفسهم هم أوّل من التفت إلى علاقة التأثير والتشابه بين الشعرين الأندلسي والبروفنسي، أمثال الأسباني "خوليان ريبيرا" JULIEN RIBERAو"بيدال"BIDAL، والتشيكي "نيكل" NYKELو"آبيل" ABELالمتخصص في الدراسات الرومانية من خلال دراساتهم حول تأثير الشعر العربي الأندلسي في شعر التروبادور من خلال التشابه الكبير بينهما على مستوى المضمون والشكل معا، من حيث العروض وتركيب القصائد، قبل أن تلتفت الدراسات العربية إلى ذلك، وتقبل على هذا الموضوع إقبالا كبيرا.

و إلى جانب دراسة "محمد الفاسي" نعثر على دراسات عديدة في هذا الموضوع منها دراسة "علال الفاسي " حول " **تأثير الشعر العربي في الأندلس في الأدب الغربي** "، الصادرة سنة 1959 [1]، ودراسة المغربي " علال الحراري" الموسومة بـ" **أثر الأندلس على أوربا في مجال النغم والإيقاع**"(1982)[2]، وهي دراسة تتناول إشكالية التأثير من خلال مقدمة تحليلية وأربعة فصول كاملة، تركز على تأثير الشعر العربي الأندلسي على شعر التروبادور البروفانسي من ناحية الإيقاع والنغم، باعتبار الموشحات من الأزجال الأندلسية المنظومة والمغناة.

وإلى جانب هذه الدراسات، نسجل بالجزائر دراسة الأستاذ "عبد الإله ميسوم" الموسومة" **تأثير الموشحات في التروبادور**" (1981)[3]، ودراسة الباحث "عباسة محمد" الموسومة بـ" **أثر الشعر الأندلسي في شعر التروبادور منذ نشأته حتى القرن**

---

[1] - مقالة منشورة بمجلة دعوة الحق الصادرة بالرباط ، ع 15 ، 1959
[2] - منشورات مكتبة المعارف ، الرباط، 1982
[3] - عبد الإله ميسوم. " تأثير الموشحات في التروبادور"، الجزائر ، ، 1981

الثالث عشرميلادي "[1] اللتين لا تبتعدان عن سابقتيهما في المقصدية و الهدف، من خلال جلاء مواطن التشابه والاختلاف بين اللونين الشعريين، وذلك بعقد المقابلات بين النصوص الشعرية ومقارنتها فيما بينها، واستخراج النتائج التي تثبت تأثير الأدب العربي على الشعراء البروفانس.

و يتجلى هذا التأثير على مستوى الشكل والمضمون معا :

أما المضمون فيتغنى التروبادور بموضوع "الغرام" بوصفه عاطفة سامية عذرية رقيقة، شأنهم في ذلك شأن الشعراء العذريين أو الصوفيين المسلمين، يتحدثون عن العاشق و المعشوقة، والرسل بينهما و الرقيب الذي يسمى الحرّاز في الملحون والواشي و غيرهم.

و أما من ناحية الشكل ، فيأتي تركيب القصيدة البروفانسية مشابها للموشحات في عدّة خصائص نلخصها فيما يلي:

1 -**القطع:** أو الأقسام كما يلقبها شعراء الملحون، وتتكون كل قطعة من أربعة أبيات، وتركب كل قصيدة من خمسة أقسام إلى تسعة، مثلما هو الشأن في الموشحات .

2 -**القافية:** يتكون كل قسم أو قطعة من أربعة أبيات، يكون للثلاثة الأولى منها نفس القافية، و التي تختلف من قسم إلى قسم، أما قافية البيت الرابع فتتكرر

[1] - رسالة معدّة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن،نوقشت بجامعة وهران سنة 1983 ، إشراف د.صالح خالص

في كل أقسام القصيدة ،نحو "أأأب" ، وهو النظام نفسه الذي تعرفه الأزجال الأندلسية.

3 -**اللازمة:** أو الحربة عند شعراء الملحون، و Tornada عند شعراء التروبادور، وهي موجودة أيضا في الموشحات الأندلسية.*

وإلى جانب الآداب الأوربية نسجل وجود اتجاه آخر يركز على تأثر الأدب العربي بالآداب الشرقية، و في مقدمتها الأدب الفارسي الذي حظي بقسط كبير من اهتمام الباحثين وجهودهم، فدرس المغربي "محمد بن تاويت"، أحد المتخصصين في اللغات الشرقية، **"تأثر الأدب العربي بالفارسية"**[1].وكانت المقالة بمثابة تعليق على المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين بالمغرب بعنوان **"الأدب العربي ومكانته في الآداب العالمية"** حاول أن يثبت فيه تأثر الأدب العربي باليونانية، غير أن "محمد بن تاويت" كان يرى عكس ذلك ،إذ يقول:

« ... فهذه المسألة يبدو لنا فيها خلاف: ذلك أن الأدب العربي كان في تأثره بالفارسة أسبق وأمتن من تأثره باليونانية، أما كونه أسبق فيشهد بذلك التاريخ والنصوص الأدبية التي بأيدينا ثم من وراء ذلك طبيعة الأشياء نفسها ..»[2] .

ويقصد بهذا الكلمات الفارسية الكثيرة الموجودة في اللغة العربية و التي وجدت إقبالا كبيرا عليها في السجل الشعري العربي ، وكذا الأمثال والحكم الفارسية التي

* - لمزيد من المعلومات ينظر" عبد الإله ميسوم " المرجع السابق.

[1] – "محمد بن تاويت"، " تأثر الأدب العربي بالفارسية"، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع 3 ، 1959

[2] – نفسه ، ص 30

انصهرت في الثقافة العربية وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها، ولعلّ أقوى مبرر يسوقه الباحث في دراسته هذه هو الألفاظ الفارسية المستعملة في القرآن الكريم والتي تثبت بما لا يترك مجالا للشك أن علاقة اللغة العربية باللغة الفارسية أقوى وأثمن بكثير من اليونانية التي لم يرد منها ولا لفظ في القرآن الكريم.

و إلى جانب هذه الدراسة، يطالعنا الباحث المغربي "عبد اللطيف السعداني" بدوره بمقالة موسومة بـ" **ذوو اللسانين في الأدب العربي"[1](1982)**، و المقصود باللسانين اللسان العربي و اللسان الفارسي، حيث وجه الباحث عنايته إلى صور التأثيرات الأدبية المتبادلة بين الأدبين العربي و الفارسي، ومدى تأثير الفارسية في الأدب العربي بمفرداتها وقصائدها ومؤلفاتها مثل "كليلة ودمنة"، دون أن يغفل أثر الأدب العربي على الفارسية، و الذي يرى أنه أعمق و أمتن فالفارسية قد أخذت من العربية مثلما أعطتها و أكثر.

و بالجزائر نسجل ظهور اتجاه ثالث يمثله الأستاذ "حفناوي بعلي"من جامعة عنابة الذي وجه دراساته المقارنة نحو الأدب الأمريكي وعلاقته بالأدب العربي في محاولة لمد جسور التواصل بين هذين الأدبين اللذين قلما جمعت بينهما دراسة أدبية مقارنة في المغرب العربي، إذ يقول:

[1] ـ "عبد اللطيف السعداني"ـ" ذوو اللسانين في الأدب العربي"المناهل . الرباط.ع 23. 1982

« ...بالإضافة إلى أن الدراسة المقارنة بين الأدب العربي و الأدب الأمريكي تعد قليلة جدا، بالخصوص في المغرب العربي – الأمر الذي لا يحدث مع الآداب الأجنبية الأخرى، كالأدب الفرنسي والإنجليزي وغيرهما...»[1]

وتتمحور الدراسة **حول "أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسية" (2002)**، فراح يبحث في أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي، عارضا نماذج مختلفة من أعمال الروائيين الجزائريين أمثال "محمد ديب"، "كاتب ياسين"، "آسيا جبار" و غيرهم، مقدما مختلف أعمالهم الروائية التي صوّرت نضال الشعب الجزائري، و عبّرت عن واقعه في فترة ما قبل الاستقلال وبعده، وطرحت إشكالية المأزق الحضاري، مقارنا بينها و بين الروائيين الأمريكيين أمثال "فولكنر" و "دوس باسوس" و "كلوديل" و"شتاينبك"...

ويستنتج الباحث، في هذه الدراسة، عدّة نتائج، بعضها تاريخي، وبعضها سردي، نذكر منها نتيجتين أساسيتين: أولهما أن الظروف السياسية و الاجتماعية التي عاشها الشعب الجزائري هي التي مهدّت لعملية التأثير، وتطلع الأدب الجزائري إلى الأدب الأنجلو أمريكي والأدب العالمي، لأن الأدب الجزائري ولد « **في خضم معركة التحرير وتطور بسرعة في غمار اتصالات غنية وفيرة بالأدب الأمريكي الأكثر تطورا. إن الدارس للأدب الجزائري لا يمكنه مطلقا أن يغفل أهمية ذلك التأثير أو مداه على**

[1] - "حفناوي بعلي"،"أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسية"، وهران ، دار الغرب، 2002 ، ص 02

تطوره، وتكامل هذا التطور عبر الصلات المختلفة التاريخية منذ القرن السابع عشر إلى الحرب العالمية الثانية، مواكبة مع المد التحريري والثورة الجزائرية، التي تشاكلت مع تيار الديمقراطية والحرية والمساواة، التي رفعت شعاره أمريكا مع الوصايا العشرة التي جاء بها ويلسون، ومع اعتراف كنيدي بالثورة الجزائرية، وبحق تقرير الشعب الجزائري مصيره.»[1]

ومن ثمّ نستنتج أن الأدب الجزائري يشترك مع الأدب الأمريكي في المشارب والأهداف المتمثلة في خدمة الشعب و تحقيق الحرية والعدالة.

أما النتيجة الثانية، فتتمثل في أن الأدب الجزائري الحديث المكتوب باللغة الفرنسية، قد استفاد من تجربة الأدب الأمريكي الفنية، و استطاع أن يبلور تلك الخصائص المميزة للأدب الجزائري على المستوى الفني والقيم الجمالية مما جعله يقف في مصاف النتاج الأدبي العالمي، « **وانتقل الموقف بشكل ميكانيكي إلى تقويم الإبداع الجزائري في ضوء العالمية بعيدا عن التبعية** »[2]. واستطاع هذا الأدب أن يعبر عن واقعه، ويصور حيرة البطل الجزائري ومسيرة بحثه الشاق عن ذاته، لاسيما في جزائر ما بعد الاستقلال، « **وسادت الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية على وجه الخصوص الاتجاهات التي سادت الرواية الأمريكية، كالواقعية والواقعية النقدية إلى جانب بعض ملامح الوجودية والنيورومانسية والسريالية.»**[3]

---

[1] – حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص 279
[2] - نفسه ، ص 278
[3] – نفسه، ص 280

و يضاف إلى هذه التوجهات جميعها توجه آخر ظهر بالمغرب العربي، جامعا بين الأدب العربي والأدب الزنجي الإفريقي، وهي علاقة تحكمها الصلات السياسية والجوارية، نذكر من بين هذه الدراسات دراسة الدكتور سعيد علوش حول " **ليوبولد سيدار و الأدب الزنجي الإفريقي** "[1] الصادرة بمجلة الثقافة الأجنبية ببغداد سنة 1986، وغيرها .

2 -أثر أديب في أديب أو آداب أخرى:

من بين الدراسات المغاربية التي اتجهت إلى دراسة مظاهر تأثير أديب ما في أدب آخر أو آداب أخرى، نذكر دراسات عديدة سلّطت الضوء على مظاهر التأثير لدى الكاتب المصري "محمد حسين هيكل" الذي يؤرخ له بميلاد أوّل رواية منهجية فنية في الوطن العربي، ألا وهي رواية "زينب"، فلا غرابة، إذن، أن يظفر هذا الروائي المبدع باهتمام المقارنين العرب الذين راحوا يبحثون عن مدى استيعابه للأدب والفكر الفرنسيين، و استظهار العلاقة الأدبية والفكرية التي ربطته بالكتاب والروائيين الفرنسيين، والتركيز على استخراج مظاهر التأثر على المستوى الفكري والأدبي معا، من خلال نماذج تطبيقية من أعمال هيكل وأعمال هؤلاء الأدباء.

[1] - سعيد علوش ، " ليوبولد سيدار و الأدب الزنجي الإفريقي "،وزارة الشؤون الثقافية، ع 3 ،1986

ونذكر هنا دراستين مستقلتين نوقشتا بالجزائر، أولهما رسالة دكتوراه دولة حول **"جان جاك روسو و محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة"**، من إعداد الباحثة الجزائرية "مليكة بن قاسي"[*]، وهي دراسة تهتم بإثبات أثر الكاتب والفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" في أعمال "حسين هيكل" من خلال مقارنة تطبيقية بين رواية "زينب" لهيكل و "هلويز الجديدة" La Nouvelle Héloïse لـ "جان جاك روسو".

و أما الثانية فهي رسالة ماجستير في الأدب المقارن حول **"أثر فلوبير في روايات محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة بين مدام بوفاري وهكذا خلقت"** من إعداد الباحث سعيد مقيديش[*]، نوقشت عام 2008.

و إن كانت الدراستان تختلفان من حيث المدونة التطبيقية، فإنهما تشتركان من حيث الهدف والمنهج.

فهاتان الدراستان تهتمان برسم أبعاد ظاهرة التأثير الأدبي لدى رائد حركة التنوير في مصر الذي ساهم رفقة ثلّة من جيله في حركة الإصلاح الاجتماعي التي بعثت نهضة ثقافية امتدت لتشمل الوطن العربي كلّه، و كيف استفاد من الفكر و الأدب الأوربي، و استمد منه الأدوات الفنية، في وقت كانت الرواية العربية في مهدها، وبحاجة إلى دعم لتأسيس الأرضية الأولية لها في تاريخ الأدب العربي.

---

[*]- "مليكة بن قاسي" "جان جاك روسو و محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة " ، إشراف د. عبد القادر بوزيدة و أبو العيد دودو .

[*] - سعيد مقيديش. "أثر فلوبير في روايات محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة بين مدام بوفاري وهكذا خلقت". إشراف. د شريفي عبد الواحد

أما من ناحية المنهج، فتنطلق الدراستان من المنهج المقارن المعتمد في دراسات التأثير والتأثر وفق ما جاءت به المدرسة الفرنسية، فجاءت المنهجية على النحو الآتي :

1 - التعريف بالمؤثر

2 - التعريف بالمتأثر

3 - المقارنة التطبيقية بين الأعمال الروائية

مع إثبات عملية التأثير اعتمادا على التصريحات الشخصية للمتأثر، و آراء النقاد والباحثين التي تؤكد على حقيقة هذا التأثير.

و من ثمّ، اختارت الباحثة "مليكة بن قاسي" تخصيص الباب الأول من دراستها للتعريف بكل من الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" و الروائي المصري "محمد حسين هيكل"، و تقديم اتجاهاتهما الفكرية، و أعمالهما الأدبية، قبل أن تنتقل في الفصل الثاني إلى الجمع بينهما من خلال مقارنة على مستوى الأفكار، أين تتجلى بعض الرؤى التربوية والاجتماعية والأدبية التي طرحها هذان الكاتبان في تراثهما الإبداعي، و أولت عنايتها إلى تحديد الموقف الفكري لهيكل من الآراء الروسوية، حيث وجدت بعض هذه الآراء صدى طيبا لديه، بينما رفض بعضها الآخر، لاسيما تلك الأفكار التي لا تتوافق ومبادئه في الحياة والفن والأدب، غير أنه تعامل معها بموضوعية لامتناهية، و سعى إلى تقديمها إلى القارئ العربي انطلاقا من إيمانه بمبدأ حريّة الرأي.

وانتقلت الدراسة في بابيها الثالث والرابع إلى دراسة فنية تطبيقية مقارنة على مستوى الموضوعات و التقنيات الروائية الفنية. أما على مستوى الموضوعات فقد

استطاع كل روائي أن يطرح الموضوعات التي تعبر عن واقعه من خلال عرض الظروف السياسية والاجتماعية والدينية المحيطة بمجتمعه، مثل غياب العدالة الاجتماعية والاستغلال الطبقي والإلحاد والإيمان والمعتقدات الشعبية (الشعوذة والخزعبلات)، مع تخصيصها للفصل الأخير لموضوع "المرأة" وصورتها لدى كل من الكاتبين اللذان تطرقا إلى واقع المرأة في مجتمعها وصورتها، و حقها في الحريّة والتعلم و الحب.

و أما المقارنة على مستوى التقنيات الفنية، فقد توصلت الدراسة إلى تحديد مختلف تقنيات السرد الروائي التي استفاد منها "هيكل" من خلال محاكاته لأسلوب "روسو" الفني، سواء على مستوى الأحداث الروائية، والاستطراد، والزمان والمكان واللغة الروائية الواصفة، و الحوار والشخصيات، و هي التقنيات التي كانت تعد جديدة على أدبنا العربي آنذاك، وكان "هيكل" أوّل من وظفها في رواية "زينب"، لذلك لقبت بأول رواية فنية في الأدب العربي .

و قد تعمقت الباحثة في هذا الجانب، وراحت تستخرج مختلف الظواهر الفنية التي استفاد منها "هيكل" من المبدع الفرنسي "روسو"، لاسيما في توظيف الطبيعة ومعالمها، والغلو في وصفها، والإغراق في الرومانسية، وتوظيف المشاهد الغرامية، وهي عناصر تنتمي كلّها إلى التيار الرومنتيكي الذي كان يعكس توجه "روسو".

وإن كانت دراسة الباحثة قد أسفرت عن تأثر "هيكل" بـ"روسو"، وتبنيه لتقنيات الاتجاه الرومنتيكي، فهل استمر هذا التأثير في أعمال"هيكل" اللاحقة، وهل ظلّ وفيا لرومنتيكيته؟

هذا ما تجيبنا عنه دراسة الباحث "مقيديش" الموسومة " **أثر فلوبير في روايات محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة بين مدام بوفاري و هكذا خلقت**"، فقد كان للباحث الفضل في الالتفات إلى قصة "هيكل"،" هكذا خلقت"، التي قلّما التفتت إليها الدراسات النقدية، لاسيما الدراسات المقارنة العربية، و الجمع بينها وبين الرواية الشهيرة "مدام بوفاري" لفلوبير، أحد مؤسسي المذهب الواقعي بفرنسا، والذي جاء امتدادا للرومنتيكية و ثورة على الأخلاق، ومجددا لأساليب الكتابة الإبداعية آنذاك.

واستطاعت الدراسة أن تثبت تأثر هيكل بفكرة البوفارية في "هكذا خلقت" من خلال توظيف البطل الفلوبيري الذي يعكس صورة الإنسان المختنق، الذي يرزخ تحت ضغط واقع متعفن، وقيم اجتماعية بالية.

ومن ثمّ، كانت الواقعية في العملين تتجلى في كونها تترجم قيما إنسانية صادقة، لأنها تعالج قضية الإنسان في مجتمعه، مهما كانت طبيعة البيئة واختلاف العصور. وكان موضوع "الخيانة" الذي عالجته رواية "مدام بوفاري" مستمدا من عمق الواقع المصري الذي يعاني من سقوط القيم الإنسانية النبيلة في ظل ضغط المجتمع المدني. ويستنتج الباحث في النهاية أنه «**إذا كانت جهود "هيكل" قد حاكت نموذجا روائيا هو**

البطل الفلوبيري القلق المتذبذب، فإن هذه المحاكاة لم تغفل الطابع المحلي للمتأثر، لذلك لم يكن "هيكل" فرنسيا بل جاء حضوره عربيا، لأنه ببساطة ترجم معاناة الإنسان في ظل واقع حضارة حديثة سلبت منه كل شيء، و يكفي "هيكل" في جهوده هذه أنه قد ساعد في إنبات فن الرواية في أرض بور كانت لا تزال تنتظر عطر الإحياء.»[1]

مثلما ظهر جيل من المقارنين حاول تلافي الخلل العام الذي فرضته المدرسة الفرنسية التقليدية حول مفهوم " التأثير والتأثر "، نذكر من بينهم الباحث الجزائري "حفناوي بعلي" الذي تميّز بدراساته المتفردة في منهجها وروحها وأهدافها، و انطلاقا من هذا نسجل للباحث دراستين تطبيقيتين على قدر من الأهمية في مجال الدراسات الأدبية المقارنة بالمغرب العربي.

أما الأولى، فتتمثل في أطروحة دكتوراه دولة ،نوقشت سنة2001 بجامعة عنابة، حول **"أثر ت.س.إليوت في الأدب العربي المعاصر – جبرا ابراهيم جبرا أنموذجا-"**[*]

وهي دراسة تركز على تقصي تأثيرات الشاعر و الناقد والفيلسوف "إليوت" النوعية في الأدب العربي المعاصر شعرا و نقدا.

وكان الباحث يجمع في دراسته بين اتجاهين مختلفين فمن جهة كان يستعين بالمنهج التاريخي في إثبات الصلات التاريخية بين الآداب المختلفة،و يرى أن جلاء مواطن التأثير هي أهم خطوة في المقارنة « **لأن النص الذي لا يقع تحت طائلة هذه**

[1] - سعيد مقيديش . المرجع السابق. ص 116

[*] - حفناوي بعلي. "أثر ت.س.إليوت في الأدب العربي المعاصر – جبرا ابراهيم جبرا أنموذجا-"إشراف عبد المجيد حنون.2001

العلاقة لا يستحق عناء الالتفات»[1]،ومن جهة ثانية كان يستعين بالمنهج النقدي، أو مثلما اصطلح عليه "المنهج التحليلي المقارن" الذي ينادي به أنصار المدرسة الأمريكية للأدب المقارن،« **التي ترى أن وجود طائفة من المشابهات الممكنة بين أدبين كفيل بقيام الدراسة المقارنة، و لا تكتفي باللقاء المباشر، و إنما قد ترجع إلى تشابه الطباع والأمزجة، ووحدة العصر والبيئة والحياة الشخصية، والقراءات المشابهة في الفكر الإنساني إلى جانب توارد الخواطر، كل هذا من شأنه أن يكون من وراء هذا التشابه في النتاج الأدبي والفكري .»**[2]

وقد ساعد في تشكيل هذه الرؤية الخاصة للباحث تشبعه بالأدب والنقد الأمريكيين مما انعكس على دراساته و أبحاثه التطبيقية وحذا به أيضا إلى تبني المقارنة بين الأدب العربي والأدب الأمريكي.

ومن ثمّ راح الباحث يبحث في مدى تأثر رائد الحداثة في الأدب العربي، الشاعر و الناقد الفلسطيني "جبرا إبراهيم جبرا" بالنتاج النقدي و الأدبي لـ"ت.س. إليوت" في دراسة مقارنة فنية استنتج منها « **أن دَيْن جبرا لإليوت رغم جسامته كان أقرب إلى الإيحاء الخصب، الذي تولد رؤية جديدة، توحي بعقل أصيل مستقل، فإليوت لم يؤثر في بعض اتجاهات جبرا، وقد كان جبرا عادة ما يحوّل ما أخذه عن إليوت إلى أفضل، أو على الأقل إلى شيء مختلف، يتناسب مع واقع الإنسان العربي الفلسطيني**

[1] - نفسه . ص 02
[2] -نفسه. ص 03

ومأساته. كما يظهر أثر "إليوت" في "جبرا" أحيانا محدودا، فهو لم يؤد إلى المحاكاة العمياء، و إنما خلق مصطلحا فرديا متميزا، وعلّة ذلك تعود إلى ثقافة جبرا المزدوجة، العربية و الأنجلوساكسونية».[1]

ويعمق الباحث رؤيته النقدية هذه بدراسة تطبيقية ثانية حول "**أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسية**"، و هي الدراسة التي عرضنا لها في العنصر السابق. و نضيف إلى هذه الأعمال دراسة "د.عبد القادر بوزيدة" التطبيقية حول " **تأثر محمود تيمور بـغي دي موباسان Guy de Maupassant**" الذي قارن فيها بين قصص عديدة متشابهة للكاتبين، العربي والفرنسي، والتي استنتج من خلالها أن "تيمور" لم يكن مقلدا لموباسان وإنما كان متقمصا لتقنياته متبنيا لأدواته التعبيرية من أجل التدليل على واقع مصري أصيل يعكس أوساطا اجتماعية مختلفة،ونماذج إنسانية من عمق البيئة المصرية، بعيدة كل البعد عن الواقع الفرنسي الذي كان يرسمه موباسون بدقة متناهية.

إضافة إلى دراسات أخرى ،مثل دراسة مبروك قادة حول "**رشيد بوجدرة في ضوء المؤثرات الأجنبية**"[*] ودراسة الباحثة بلهوادية فاطمة حول" **تأثير مجنون ليلى ومجنون أكسا**"[**] ،وغيرها .

---

[1] – حفناوي بعلي. المرجع السابق. ص 346

[*] - رسالة ماجستير من إعداد الباحث مبروك قادة. "رشيد بوجدرة في ضوء المؤثرات الأجنبية". إشراف د. بن عبد الله لخضر . 97/96

[**] - رسالة ماجستير من إعداد الباحثة "بلهوادية فاطمة "حول" تأثير مجنون ليلى ومجنون أكسا".إشراف. د. خليل نصر الدين . 2004/2003

II- حقل المصادر الأدبية :

يعد حقل المصادر من أكثر الحقول قربا إلى حقل أثر أدب في أدب آخر، بل كثيرا ما يُخلط بين هذين الحقلين، و لا يتم التفريق بينهما. و يتحدد الفرق بينهما في العناصر التالية:

1 - يسير البحث في حقل المصادر عكس الاتجاه الذي يسير عليه في حقل التأثيرات الأدبية. ففي الوقت الذي تُعنى فيه دراسات التأثير الأدبي بتأثير كاتب ما في أدب الآخر، تهتم دراسات المصادر بجلاء«**كل العناصر الأجنبية التي تعاونت على تكوين الكاتب**» [1] ، وذلك بالبحث عن مدى تأثره بالآداب الأخرى.

2 - تختلف المادة الأولية لحقل المصادر عن تلك المستخدمة في حقل الـتأثير الأدبي؛ إذ تعتمد دراسات المصادر على مادة أدبية، ومادة غير أدبية «**وإن كانت تشكل موضوعا أو جزءا من موضوع العمل الأدبي** »[2] .

أما المادة الأدبية فتتمثل في الأعمال الأدبية المكتوبة على اختلاف أنواعها، التي ثبت تأثيرها في أعمال كاتب ما أو أدب ما. وأما المادة غير الأدبية، فتتمثل في المخزون الذهني والثقافي الذي انطبع في خيال الكاتب من عادات وتقاليد وآثار فنية،« **وتلعب الأسفار في ذلك دورا كبيرا، وتنعكس صورها المختلفة فيما تنتج القرائح من نتاج أدبي تبدو فيه تلك الآثار واضحة**»[3] . ضف إلى ذلك احتكاكه

---

[1] – غنيمي هلال . المرجع السابق. ص 343
[2] – سمير سرحان. المرجع السابق . ص 28
[3] - غنيمي هلال . المرجع السابق.343.

بالنوادي والمجالس التي تهتم بالثقافات العالمية، وتأثير الأصدقاء الأجانب سواء من خلال الاحتكاك المباشر أو المراسلات المتبادلة.

إن كل هذه العوامل تساهم في اكتشاف مقومات شخصية الكاتب أو الأدب المتأثر وعوامل تكوينه. ويبقى « **تحديد هذا النوع من التأثير صعب المنال من الناحية العلمية، ولكن الإشارة إليه أو الإلمام به يحدد نواحي شخصية الكاتب، ويساعد على تعرف تكوينه الأدبي والفني على وجه ما»**[1] .

3 - يختلف أسلوب استخدام المادة الأولية في حقل المصادر عن استخدامها في حقل التأثير الأدبي، إذ تتحد مهمة الباحث في حقل المصادر في « **العثور على الوثائق أو الأماكن أو الأصول التي استقى منها الكاتب هذه المادة،وبمجرد أن يحدد الباحث هذه الأصول أو"المصادر" تنتهي مهمته»**[2] ، بينما يتعدى البحث في حقل التأثير الأدبي مجرد الكشف عن هذه المصادر، إلى تسليط الضوء عليها، وتقييم استخدام الطرف المتأثر لها، وطريقة الإفادة منها في أعماله الأدبية، من أجل الوقوف على درجة تأثره بها، وطبيعة هذا التأثير .

يتبين مما تقدم، أن الهدف من دراسة المصادر، في الأدب المقارن، هو النفوذ إلى روح الكاتب، و التعرف على تكوينه الأدبي والفني من خلال الكشف عن كل العناصر الأجنبية التي تمثلها، وأعاد إنتاجها، وأخرجها للناس في خلق جديد. ويتنوع

[1] – غنيمي هلال . المرجع السابق. ص 347
[2] – سمير سرحان . الرمجع السابق. ص 28

البحث في حقل المصادر على حسب موضوعاتها. ونستطيع تحديد ثلاثة أنواع بارزة هي :

1 - البحث عن المصادر الأجنبية لمؤلف واحد فقط من مؤلفات كاتب ما.

2 - البحث عن المصادر الأجنبية للنتاج الكامل لكاتب ما من الآداب الأخرى.

3 - البحث عن تأثير كل مصدر من المصادر الأجنبية في أعمال كاتب ما.[1]

و يتطلب هذا النوع من الدراسات معرفة واسعة بالثقافات والحضارات، وسعة إطلاع على الفنون والآداب، من أجل الكشف عن المصادر الأجنبية التي يُفترض أن يكون الكاتب قد تأثر بها. و يحتاج مثل هذا العمل إلى الكثير من التروي والاحتياط لكي لا يتسرّع الباحث، ويحكم بوجود مصادر أجنبية، في الوقت الذي لا يتعدى فيه الأمر مجرد تلاقي أو توارد خواطر.

دراسات المصادر الأدبية بالمغرب العربي:

من الدراسات المغاربية التي أولت عنايتها إلى حقل المصادر الأدبية نذكر دراسة "عباس الجراري" حول "**تجديد الشابي بين روافد الشرق و الغرب**"[2] (1962)، وهي دراسة أدبية مقارنة حول المؤثرات الشرقية والغربية في أدب الشاعر التونسي "أبو القاسم الشابي" الذي اتصّف بتأرجحه بين التراث العربي القديم، و انفتاحه على الدراسات الغربية، وتأثره بشعراء المهجر الذين «**تأثروا بمذهب ديكارت في الشك، وبفلسفة أبي العلاء الناقمة، و بالمدرسة الرومانتيكية الغربية**»[3].

لم يكن الشابي في تأثره مقلدا، مجترا لآراء غيره، بل كان شاعرا حساسا، لا يكتب إلا ما تنضح به روحه العذبة، و أحاسيسه الشاعرة، وتلعب ثقافته ودراسته دورا

[1] – لمزيد من المعلومات،ينظر محمد غنيمي هلال ، المرجع السابق، ص 343 و ما يليها

[2] - عباس الجراري . "تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب" . مجلة دعوة الحق ، الرباط، ع 7 ، 1962.

[3] - نفسه. ص 39.

جليا في الكشف عن سر تكوينه وتتلمذه على يد أدبائنا العرب القدامى أولا، وتتلمذه بالأزهر، على الرغم من أنه لم يكن ليجاري أترابه أو لينصاع لتعاليم الأزهر المتزمتة التي تقف حيال كل متع الحياة، و تعتبرها هدرا للوقت، بل كان منفتحا، منطلقا، بروحه الغضة إلى حب الحياة، رغم الكآبة والحزن و الأسى التي تلف أشعاره، هذه الكآبة المستمد تارة من المذهب الرومنتيكي الغربي الذي يمجد الألم و البكاء، وتارة من ضربات الحياة التي هزمته مرّة بموت رفيقة شبابه وحبه الضائع، ثم موت ابنته في سن الزهور، ومرة بالمرض الذي طبع أيامه و لياليه بطابع الحزن والموت و الأسى.

ويطالعنا المرحوم عبد اللطيف السعداني من فاس، سنة 1978، بترجمة لدراسة مقارنة حول " **القصص الحيواني من الأدب الهندي إلى الأدب الفارسي**" لكل من فتح مجتبائي و دهلي نور، و تتناول الدراسة مسألة الكشف عن أصول القصص الفارسية الكثيرة التي تعود إلى الكتابات البوذية، عكس الاعتقاد السائد أن هذه القصص تعود إلى المصنفات و المؤلفات الفارسية مثل"كليلة ودمنة"لابن المقفع.

و يضيف أن هذا التأثير« **قد حدث نتيجة الدواعي و الروابط التي كانت قائمة في النواحي الشرقية و الشمالية الشرقية لإيران، بين سكان هذه البلاد وجيرانهم البوذيين**»[1] .

ومن بين هذه القصص، قصة"البقرة الجاهلة" التي تخطت حدود الأدب الهندي لتصل إلى الجهات الأخرى، مثل اليونان و إيران.

---

[1]- فتح مجتبائي و دهلي نور،" القصص الحيواني من الأدب الهندي إلى الأدب الفارسي"، ترجمة عبد اللطيف السعداني، المناهل، الرباط،ع 12،ص 291

و يضاف إلى هاتين الدراستين، أطروحة أحمد الغازي حول " **أصول مسرحيات توفيق الحكيم وطبيعة الماسوية فيها**"، وهو بحث معد لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها، نوقش سنة 1988، بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، من إشراف د.عمر محمد الطالب.

تهتم الدراسة بالكشف عن أصول مسرحيات "توفيق الحكيم"، و البحث عن طبيعة الماسوية فيها. ونظرا لغزارة النتاج المسرحي للحكيم وتنوعه، اقتصر الباحث في دراسته على ثلاثة نماذج بارزة من الأعمال المسرحية للحكيم التي لها شأنها وأثرها في تطور المسرح العربي، وتتمثل هذه الأعمال في ثلاث مسرحيات هي: "أهل الكهف"، "الملك أوديب" و"يا طالع الشجرة".

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أن موضوع البحث عن مصادر "توفيق الحكيم" و روافده ، قد أثار اهتمام الكثير من الباحثين العرب، نظرا للمكانة التي يمثلها "الحكيم" في أدبنا العربي وفنونه،« **فلا أحد ينكر أن الحكيم استطاع بحق أن يسد الثغرة الموجودة في الأدب العربي و التي صاحبته طوال تاريخه، ألا وهي افتقاره للمسرح. فبفضل استيعابه للمسرح الغربي، وتمثل تقاليده و اتجاهاته ومزجها بالثقافة العربية وحالة المجتمع، تمكن من تركيز دعائم هذا الفن في الأدب العربي**

المعاصر حتى أخذ مكانته اللائقة به في الأدب العالمي »[1] .من بين هذه الدراسات ، نذكر دراسة د. احمد عثمان " **المصادر الكلاسيكية في مسرح توفيق الحكيم**" التي اهتمت بالبحث عن الموضوعات المستوحاة من التراث الإغريقي، ودراسة د.أحمد شمس الدين الحجاجي حول "**الأسطورة في المسرح المصري المعاصر**"، الذي كرّس الجزء الأول منه إلى تتبع مصادر الأسطورة عند الحكيم، أما الجزء الثاني فتضمن تحقيق وتوثيق هذه المصادر، سواء أكانت إغريقية أو فرعونية أو عربية.

أما دراسة "أحمد الغازي" فقد كانت تسعى في جوهرها إلى تحقيق نتيجتين إثنيتين هما :

1 -الكشف عن مصادر الحكيم التي ساهمت في تكوينه الفني.

2 -الكشف عن طبيعة الماسوية في هذه المسرحيات، في محاولة للإجابة عن سؤال جوهري هو: هل بإمكان كاتب عربي مثل "توفيق الحكيم" أن يخلق مسرحية مأساوية باللغة العربية ؟

و قد كانت المنهجية التي اتبعها الباحث تعتمد على ما جاء به "غنيمي هلال" في مؤلفه الشهير "الأدب المقارن" ، إذ يقول : « **أما المنهج الذي اتبعه في هذه الدراسة، فهو المنهج الذي يراه د.غنيمي هلال، و يدعو إلى استخدامه في مثل هذا النوع من**

[1] – أحمد الغازي . " أصول مسرحيات توفيق الحكيم وطبيعة الماسوية فيها"، ص 1

الدراسات، و أقصد بذلك المنهج التاريخي المعزز بالمنهج الوصفي، و الوعي التاريخي الجمالي.»[1]

اعتمد الباحث خطة منهجية، قائمة على الكشف عن المكونات الثقافية للحكيم من خلال تصوير الجو الفكري الذي ترعرع فيه، ومدى مطالعاته في اللغات الأخرى، واحتكاكه بالثقافات الأجنبية، وكل العوامل التي « **تتصل بطبيعة شخصية توفيق الحكيم في جانبها الإنساني أوّلا، وما يدخل في هذا الجانب من عناصر مختلفة، كالوراثة ونوع التجارب النفسية التي عاشها، وطبيعة انفعالاته أمام المواقف التي يتعرض لها في الحياة، وفي جانبها الفني ثانيا، وما يدخل في هذا الجانب من عناصر تتصل بقراءاته وتجاربه الفنية التي مهدت لخروج شخصيته- في مجال الفن- بطابعها الخاص، وفي الربط بين هذين الجانبين، وتحديد مدى تفاعل كل منهما بالآخر وفاعليته فيه»** [2]

ومن اجل تحقيق هذه الأهداف، سطر الباحث خطة منهجية لدراسته، موزعة على النحو الآتي :

مدخل

القسم الأول: نظرية المأساة والفلسفة المأسوية

- الفصل الأول: المأساة اليونانية

[1] – أحمد الغازي،المرجع السابق، ص 03

[2] – نفسه، ص 1

- الفصل الثاني: من المأساة اليونانية إلى المأساة في العصر الحديث
- الفصل الثالث: المأساة و المسرح العربي

القسم الثاني: أصول مسرحيات توفيق الحكيم و طبيعة الماسوية فيها

- الفصل الأول: التأثيرات الغربية في مسرح توفيق الحكيم
- الفصل الثاني: قصة "أهل الكهف" و عبقرية الحكيم المسرحية
- الفصل الثالث: مسرحية "الملك أوديب" بين الأسطورة والإبداع
- الفصل الرابع: مسرحية "يا طالع الشجرة" في مواجهة طلائع العبث واللامعقول.

أما المدخل فقد خصصه للتعريف بالمأساة و خصائصها الفنية، والكشف عن الحدود الفاصلة بينها و بين الأشكال المسرحية الأخرى التي تعالج قضية شقاء الإنسان.

ثم ينتقل في القسم الأول المخصص "لنظرية المأساة و الفلسفة الماسوية" لتتبع تطور المأساة عبر العصور المختلفة، انطلاقا من المأساة اليونانية، ثم المأساة الرومانية، ثم المأساة في العصور الوسطى، و المأساة في عصر النهضة ثم المأساة في العصر الحديث ـ ودراسة المأساة في المسرح العربي، مع استخلاص الخصائص المميزة لكل نوع، ليخلص إلى أن « **القرن العشرين استطاع باحتياجاته الهائلة أن يولد قضايا جديدة للمأساة، و أن يقدم نموذجا جديدا للبطل التراجيدي**»[1] .

أما القسم الثاني فقد خصصه للبحث عن مصادر "توفيق الحكيم "المنتقاة:"أهل الكهف"،"الملك أوديب"،"يا طالع الشجرة"، مخصصا فصلا كاملا لدراسة المؤثرات

[1] ـ أحمد الغازي ، المرجع السابق ، ص 177

الغربية في مسرح توفيق الحكيم، و خلص إلى نتيجة هامة تتمثل في كون « **الحكيم قد ملك تقاليد الفن المسرحي في مرحلة الطفولة، وأشبع هوايته مع زملائه أثناء الدراسة الإبتدائية والثانوية، وأنه تمكن من حفر مسار جديد للدراما أثناء إقامته في فرنسا. واستزاد بالدراسة و الإطلاع مدفوعا بهوايته المتعطشة وتأثره بمجاري فكرية متنوعة، ومنابع مسرحية مختلفة»** [1] ، ومن بين الكتاب المسرحيين الفرنسيين المحدثين التي دلت القرائن بأن توفيق الحكيم قد تأثر بهم نذكر:"هنريك ابسن"،"بيرنارد شو"،"لوجي بيراندللو"،"موريس مايترليك"،"جان بول سارتر".

انصرف الباحث بعد هذه اللمحة العامة عن المؤثرات الغربية في مسرح "توفيق الحكيم" إلى دراسة تطبيقية مفصلة بين النتاج المسرحي لهؤلاء و بين مسرحيات الحكيم الثلاث، و تمثلت المنهجية التي اتبعها في دراسة أصول كل مسرحية على حده، ومن أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة التطبيقية:

1 - **مسرحية أهل الكهف**:

قام الباحث بالكشف عن مصادر قصة "أهل الكهف" في العقيدتين الإسلامية والمسيحية أولا، وتوصل إلى أن أصل القصة في العقيدة المسيحية هو «**الرومان، انتقلت في المرحلة الأولى إلى بلاد اليونان ، حيث اكتسبت شكلها ومحتواها ، ثم تلقفتها المصادر السريانية لتعود في آخر المطاف إلى أصلها الروماني ، وتصبح منطلقا إلى الفكر المسيحي الرحب**»[2]، أما أصلها في العقيدة الإسلامية فيعود إلى القرآن الكريم.

و قد استفاد الحكيم في مسرحيته من مصادر متعددة، أهمها المصادر الإسلامية والصادر المسيحية، إلا أنه احتكم أكثر إلى المصادر الإسلامية، وكتب التفاسير

[1] - أحمد الغازي ، المرجع السابق ، ص 177

[2] – نفسه .ص 178

للمفسرين العرب أمثال "الطبري"، و"البيضاوي"، و"الزمخشري"، لصياغة مضمون عربي إسلامي للقصة، أما المصادر المسيحية فكان يعود إليها عند الضرورة.

و عند تمثله لطبيعة الماسوية في مسرحية" أهل الكهف" ، توصل الكاتب إلى استنتاج مفاده أن «**مسرحية "أهل الكهف" ليست مأساة، وقد كان غياب العمل المسرحي هو العلة الأولى لاعتبارها مسرحية ماسوية.**»[1]

2 -"الملك أوديب":

استهل الباحث دراسته بالبحث عن أصول الأسطورة التي تعود إلى الإغريق حيث « **تحدثت بها الأوديسة في نشيدها الحادي عشر، وأنها تحمل في ثناياها فكرة إغريقية ترمز إلى أنه مهما يصنع الإنسان، فإنه غير مستطيع الفرار من قدره.**»[2]

ثم انتقل إلى مقارنة المسرحية مع المسرحيات الغربية التي كانت هذه الأسطورة مادة لها، مركزا في مقارنته على الحدث و الصراع، وطبيعة الشخصيات، و استنتج في النهاية أن « **أوديب الحكيم قد ارتكب تنازلات لا تليق بطبعه المأساوي، ولذلك صح اعتبار مسرحية "الملك أويب" لتوفيق الحكيم مسرحية ماسوية و ليست مأساة**»[3].

[1] – أحمد الغازي ، المرجع السابق. ص 178
[2] – نفسه . ص 178
[3] – نفسه. ص 179

3 -"يا طالع الشجرة":

يؤكد الباحث على استفادة هذه المسرحية من دراما "اللامعقول" أو "العبث"، ولذلك، خصص المرحلة الأولى إلى التعريف بفلسفة اللامعقول و الكشف عن جذورها التاريخية، و بين كيفية استفادة الحكيم من معانيها في صياغة مسرحيته، إلى جانب استثماره للمسرحيات الغربية التي تنتمي إلى أدب اللامعقول و العبث من حيث التقنيات و التركيب الفني، لينتهي في النهاية إلى استنتاج أن مسرحية "يا طالع الشجرة" هي مسرحية مأساوية، إلا أن صفة الماسوية فيها لا صلة لها بفلسفة مسرح اللامعقول، وإنما هي «**نابعة من الرؤية الفنية و التجسيد الدرامي الفعال اللذين يشكلهما الصراع بيبن الحياة و الفن، أو بين المرأة و الفنان المفكر**»[1] .

و يضيف الباحث رافدا آخر من الروافد التي استفاد منها الحكيم ألا وهو الفن الشعبي المصري، وتحديدا "الأغنية الشعبية"، إذ يقول: « **دون إغفال الإشارة إلى الينابيع المحلية للامعقول التي رآها الحكيم كامنة في الفن الشعبي المصري، وخصوصا الأغنية الشعبية التي ذكرها الحكيم في بداية المسرحية، و التي كانت بمثابة مدد أقام الحكيم على أساسه عمله فنيا ، يضاه أروع المسرحيات الغربية اللامعقولة**»[2].

[1] – أحمد الغازي ، المرجع السابق . ص 179
[2] – نفسه. ص 179

I - النموذج التطبيقي الأول:

تأثير الموشحات في التروبادور

عبد الإله ميسوم

تعد دراسة "عبد الإله ميسوم" حول "**تأثير الموشحات في التروبادور**"**(1981)**، من الدراسات التي سدّت فراغا كبيرا في المكتبة العربية، وساهمت في إثراء هذا التخصص بمقارنة محكمة عن تأثير الموشح العربي الأندلسي في فن التروبادور البروفانسي، وهو موضوع لطالما أثار اهتمام باحثين عرب وأجانب، كتبوا عن أصول الشعر الفرنسي البروفانسي، إلا أنه لم يحظ بدراسة مقارنة مستوفية الأركان، قائمة على استخراج عناصر تبادل التأثير بينهما، مثل الدراسة التي قدّمها عبد "الإله ميسوم" إذ يقول في مقدمته :

« **نظرت في أقوال من كتبوا عن أصول هذا الشعر البروفانسي، فوجدت عجما يبحثون ويقولون، و عربا يتنالون بعض هذه الأقوال، ويرددونها ترديد المقلد العاجز، ولم تتمخض أبحاث أولئك ولا عناية هؤلاء – على ما أعلم- عن دراسة مستقلة خاصة باستخراج عناصر تبادل التأثير بين الشعرين الغنائيين الأندلسي والبروفانسي.**»[1]

وهذا نقد مباشر للدراسات العربية التي تكتفي بالتقليد العاجز للمقولات الغربية في مجال المقارنة تنظيرا وتطبيقا، أو تكتفي بإشارات عابرة في كتب متفرقة، على

[1] - عبد الإله ميسوم ، المرجع السابق، ص 07

الرغم لما يكتسيه الموضوع من أهمية تاريخية و حضارية بالغة؛ لأنه يُعنى بجلاء أثر الحضارة العربية الإسلامية في أروبا الغربية، فيضيف قائلا :

« واكتفى الدارسون العرب بالإشارة إلى موضوع تأثير الموشحات في التروبادور، إشارات عابرة متفرقة هنا وهناك، في كتب التاريخ والأدب، و لا أعرف منهم حتى اليوم ـ من أخرج الناس كتابا موقوفا على هذا الموضوع أو دراسة أو عرضا لنصوص أشعار التروبادور، وهذا على الرغم من اعتراف الجميع بأهمية ذلك كله في تاريخ الآداب والحضارات الإنسانية.»[1]

ومن ثمّ راح الباحث منذ خريف سنة 1969 ، يبحث في الموضوع متبنيا منهج المدرسة الفرنسية القائم على رصد تبادل التأثير و التأثر يبن الشعريين الغنائيين في دراسة سنتعرض إلى أهم طروحاتها:

1 - المنـهـج:

هي دراسة مقارنة تهتم برصد مظاهر تأثير فن "الموشحات الأندلسي" في فن "التروبادور البروفانسي" بجنوب فرنسا، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي للمدرسة الفرنسية للأدب المقارن الذي يقوم على التعريف بطرفي المقارنة، العربي و الغربي، حتى تقوم المقارنة على أسس متينة تمكن من جلاء ماهية كلا الفنين – الموشحات والتروبادور-، و تقييم العلاقات التاريخية و الظروف والملابسات الحضارية التي أتاحت لأحد الطرفين التأثر والاستفادة من الآخر. وهذا ما صرّح به

[1] ـ عبد الإله ميسوم، المرجع السابق ، ص 08/07

الباحث في مقدمته قائلا :« **فمحور الموضوع عندي بعد ملاحظة أوجه التشابه بين الموشحات الأندلسية وأشعار التروبادور، هو إبراز ما هناك من مظاهر التأثير والتأثر بينهما، إن وجدت، باستخراج العناصر المشتركة ووصف انتقالها وبيان طرق هذا الانتقال وظروفه التاريخية والحضارية عامة .»**[1]

فالمنهج التاريخي للمدرسة الفرنسية للأدب المقارن لا يرتكز على استخراج مواطن التشابه والاختلاف بين طرفي المقارنة وحسب، بل يذهب، أيضا، إلى جلاء العلاقات السببية التاريخية التي كانت وراء وقوع التأثير والتأثر، ومن هنا جاء ورود لفظة "**تأثير**"، في العنوان، دليلا واضحا على المنهج التاريخي الذي تبناه الباحث للدراسة.

وهذا ما رسمته خطة الباحث من خلال تقسيم البحث إلى مدخل و أربعة أبواب كاملة. أما المدخل فخصصه لدراسة حول "شعر الحب و الطرب في الأدب العربي القديم"، وذلك من خلال الكشف عن أصالة الحب في هذا اللون الشعري، و التعريف بشخصية المرأة العربية و كذلك دراسة عن خصائص "الغزل" في الشعر العربي القديم.

وهي مقدمة نظرية مهدّت المجال إلى التعريف بفن الموشحات في الباب الأول من البحث، نظرا لما لهذا الفن من علاقة وطيدة بعشق الرجل للمرأة،إذ « **كان الشاعر الوشاح إنما ينظم في الأصل مقطوعته المنمقة ذات الأنغام الموسيقية الساحرة،**

---

[1] ـ عبد الإله ميسوم، المرجع السابق. ص 08

ليقدمها هدية حب إلى المرأة المعشوقة التي فتنته بجمالها، فتزداد بديهيته التوشيحية التعبيرية المنغمة جمالا على جمالها، وتعطف على صاحب الهدية العاشق المخلص»[1] من جهة، ولعلاقته الوطيدة بالخصائص العامة للشعر العربي، واستفادته من التطور الحضاري والثقافي، لاسيما في فترة الفتوحات الإسلامية إبان العصر الوسيط، من جهة أخرى.

2-التعريف بالمؤثر:

يخصص الباحث فصول الباب الأول للتعريف بفن الموشحات، وظروف نشأته في أندلس العرب شاهدا على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بها وتطورها، لينتقل بعدها إلى التعريف بخصائص فن الموشحات وأساليبه وتطوره سواء على المستوى اللغوي أو الشكل العروضي، وما يتماشى ومتطلبات التلحين والغناء، الأمر الذي ضمن له الشيوع و الانتشار، حتى وصل إلى جنوب فرنسا.

و تأتي هذه الدراسة – كما أسلفنا– في سياق التعريف بالجانب المؤثر من المقارنة : " الموشحات".

3- المتأثر:

ولأن دواعي الدراسة المقارنة تقتضي التعريف بكلا الطرفين، ينتقل الباحث في الجزء الثاني إلى التعريف بالطرف المتأثر متمثلا في فن التروبادور، فراح يخصص

[1] – عبد الإله ميسوم، المرجع السابق ، ص 79

له دراسة نظرية مستفيضة تطرق من خلالها إلى التعريف بهذا الفن، وخصائصه ومصادره الفنية.

وهو فن يعود إلى « **الشعراء الشعبيين في جنوب فرنسا، يدعون تروبادور Troubadour ، أي الواجدون، بمعنى الذين يحسون ويشعرون (من الوجدان)، وكانوا ينظمون شعرهم باللغة البروفنسالية، وهي إحدى اللغات الرومانية المتولدة عن اللاّتينية – وكانوا في نفس الوقت مغنيين وموسيقيين يؤلفون أجواء، نقصد قصور الأمراء و بيوت الأكابر لتسليتهم و مدحهم، ووقع إقبال كبير على هذا النوع من الأدب الجديد، و أخذ الأدباء حتى من طبقات الأمراء، ينظمون الشهر في هذه اللغة الشعبية و على طريقة الوجدان»**[1]

4 -الصلات التاريخية :

ركز الباحث في دراسته على المحطات الهامة من تاريخ تلاقي الحضارة العربية الإسلامية بأوربا الغربية، وما مارسته من إشعاع ثقافي « **فاستيقظ أهلها، وأقبلوا على الاغتراف من مناهل العرفان في الأندلس الأموية، وسار البروفانسيون من مختلف الطبقات على هذه السنة في مقدمة غيرهم، حتى أصبح معظم مفكريهم وعلمائهم وأدبائهم وشعرائهم من تلامذة العرب والمسلمين»**[2]، وما ذلك إلا مظهرا من مظاهر اتصال العالم العربي الإسلامي بالعالم المسيحي.

1 – محمد الفاسي ، المرجع السابق، ص 141

2 - عبد الإله ميسوم، المرجع السابق ، ص 280

ولم يغفل الباحث عقد مقارنة بين كل من بلاد الأندلس وبلاد بروفنس، وذلك على مختلف الأصعدة السياسية و التجارية والثقافية والعقائدية، بحكم الصلات الجغرافية الجوارية من جهة، والفتوحات العربية الإسلامية التي استهدفت البلدين من جهة أخرى، فاستطاعت دولة الإسلام أن تستقر في بلاد الأندلس، خلافا لبلاد بروفانس التي لم يستمر فيها الوجود الإسلامي طويلا، إلا أنه خلّف حيرة فكرية وعقائدية بين أوساط البروفانسيين، أدّت إلى ظهور العقيدة الكثرية Catharisme* ، مما « **يعتبر مظهرا واضحا لتأرجح العقول والقلوب بين العقيدة الإسلامية والعقيدة المسيحية»**[1]، وكان من الطبيعي أن يعبر شعر التروبادور عن ذلك الاضطراب السائد في تلك الفترة.

<u>5- إثبات التأثير:</u>

بعد التعريف بالمؤثر والمتأثر ينتقل الدراس إلى البحث عن حقيقة تأثر التروبادور بالأدب العربي الإسلامي، وهي حقيقة، أو لنقل مسلمة، ظلت على حالها قرونا من الزمن، حيث عرض الباحث لآراء أهم النقاد و الدارسين الذين وجهوا اهتمامهم إلى رصد رحلة الشعر العربي عبر الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس، ومنها إلى جنوب فرنسا، وكل أقطار أوربا، إلى غاية ظهور التيار المعارض في منتصف القرن التاسع عشر، أين تحوّل النقاد والدارسون عن هذه الفكرة بحجة عدم وجود أي ثوابت أو أدلة خطية تدعمها.*

*- العقيدة الكثرية Catharisme : وهي عقيدة دينية معاصرة لحركة التروبادور،ظهرت بفرنسا خلال القرنين 12م و13 م، اتخذت موقفا مناهضا للكنيسة ومقدسات الكنيسة الvومانية، ويلقب الكثريون أيضا باسم الألبيجيين Les Albigeois نسبة إلى مدينة ألبي Alb

1 - عبد الإله ميسوم، المرجع السابق ، ص 281

*- ينظر ، عبد الإله ميسوم، المرجع نفسه.

غير أن حجة التيار المشكك في تأثير الشعر العربي جاءت واهية، تكشف عن موقف تحزّبي عرقي، لا يهدف إلا إلى الانتقاص من أهمية التأثير العربي على البلاد الأوربية. وظهرت دراسات حديثة ناقشت آراء المؤيدين والمعارضين معا بموضوعية متناهية، لتخلص في النهاية إلى أن تأثير الحضارة والأدب العربيين أكبر وأقوى من أن تفنده حجج واهية، ومخالف للوقائع التاريخية الجادة، ولعل في عناية «**الإيطاليين القدامى بأشعار التروبادور، وعدم إنكارهم تأثر أدبهم بها، وإقرارهم تبعيتها للشعر الأندلسي لدليل قوي على إثبات الحقيقة.**»[1]

6- كيفية حدوث التأثير :

اعتنى الباحث، في دراسته، برصد قنوات تسرب تأثير الموشحات الأندلسية على الشعر البروفانسي، أي كيفية حدوث التأثير بين الشعرين، من خلال وسائط متنوعة أهمها :

1 - المرأة الأندلسية التي تغنت بالموشحات الأندلسية، و انتقلت بهذا اللون إلى جنوب فرنسا سواء للعمل أو جارية في بلاط الحكام الفرنسيين، «**فالمرأة الأسيرة قد تتحول إلى زوجة أو عشيقة، فيقوى تأثيرها على الرجل الذي اصطفاها أو أحبها، وخاصة إذا كانت أرقى منه ثقافة وحضارة كما هو الحال بين المرأة المسلمة بالأندلس و الرجل المسيحي بجنوب غالة** »[2]

2 - الجونغلير أو المغني الجوّال، و الذي يشبهه الباحث بالراوية العربي. فهو يتنقل من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، ينقل ما يسمع و يرى و يحفظ من فن وأدب وثقافة، وهو من أهم الوسائط، « **وربما كان هذا المغني الجوال أكثر من غيره تأثيرا في الناس، يسمعون أغانيه، فتتعلق بها نفوسهم وترددها ألسنتهم، ولو من غير معرفة كافية بلغتها، وللموسيقى في كل ذلك سحرها الجذاب**»[3]

[1] - عبد الإله ميسوم، المرجع السابق ، ص 285
[2] – نفسه ، ص 183
[3] – نفسه.ص 184.

3 - التروبادور أنفسهم، وترددهم على اسبانيا، وتعرفهم على الموشحات الأندلسية وإعجابهم بها.

ويضيف الباحث إلى أن ظهور التروبادور لم يكن مجرد تقليد لنماذج الشعر العربي الأندلسي، و إنما للبيئة البروفانسية، أيضا، دور بالغ في نشأة هذه الأغاني، وذلك راجع إلى الخصائص الآتية:

1 - تردد العرب و المسلمين على أراضي بروفنس و إقامتهم بها.

2 - مكانة المرأة البروفانسية في مجتمعها، أثناء الوجود العربي الإسلامي في جنوب فرنسا، فأصبحت صورة صادقة عن المرأة الحجازية والمرأة الأندلسية، تشع ثقافة و أدبا و فنا. لقد كانت المرأة « **تجالس الشعراء، وتقوم بدور الحكيم بينهم، تتعطر بعطور الشرق، و تتزين بالأصباغ لتدعم جمالها الفكري بجمالها الجسمي، تظهر إعجابها بالبطولة و الأبطال، وتتحدث في رقة عن العشق اللطيف amours courtois، حديث المثقفة البصيرة**»[1]

3 - أخلاق الفروسية التي اتصف بها الرجال البروفنسيون، ومن مقوماتها الاحترام العميق للمرأة، و الشهامة و البطولة والنبل.

7- طبيعة التأثير:

يعمد الباحث في الدراسة التطبيقية إلى انتقاء مجموعة من رواد فن التروبادور وهم "غليوم التاسع" أول الشعراء التروبادور، و" روديل" و "ماركابرو" ومقارنة

[1] – عبد الإله ميسوم، المرجع السابق، ص 193

قصائدهم بالموشحات الأندلسية معتمدا منهجية محكمة تتمثل في التعريف بهم وبآثارهم ومقارنة أعمالهم بالموشحات الأندلسية، و هي مقارنات جادة تهدف إلى تقصي طبيعة التأثير الذي مارسته الموشحات والأزجال* الأندلسية على شعر التروبادور، من خلال عقد مقارنات بين بعض النماذج الشعرية بين كلا الطرفين، والذي يتجلى على مستوى العناصر التالية:

1 - __الشكل العروضي:__ تشبه قصائد الشعراء التروبادور الموشحات والأزجال الأندلسية كثيرا في شكلها العروضي، حيث أسفرت الدراسة المقارنة بينهما عن تقارب و تطابق بالغ بين الشعرين الغنائيين إلا فيما تقتضيه ضرورة خضوع الشعر للغناء وطريقة آدائه.

2 - **__المضمون :__** يشكل موضوع "الغزل" القاسم المشترك الأكبر بين الشعراء التروبادور والموشحات الأندلسية. فكل القصائد قيلت للغناء على شرف المرأة المعشوقة وتفانيا لحبها، وتمجيدا لجمالها، حيث يظهر الشاعر، متحليا بأخلاق الفروسية، مكلوما بعشق المرأة التي تكتسب مكانة رفيعة بأدبها و علمها وذوقها، فتستحق منه كل الاحترام والتبجيل والتضحية.

إن بياضها أشد نصاعة من العاج،	QUE PLUS EZ BLANCA QU'EVORI
ولذا، فأنا لا أعشق إمرأة غيرها	PER QU'IEU AUTRA NON AZORI

*- يكمن الفرق بين الموشح والزجل في كون الأول يصاغ بالعربية الفصحى أ أما الثاني فيأتي بالعربية الدرجة إلا أنه لا يوجد فرق كبير بينهما.

وإذا لم تعجل بإشارة منها،	SI-M BREU NON AI AJUTORI
و تبادلني سيدتي الطيبة بحبّي حبا،	CUM MA BONA DOMPNA M'AM
أموت صريع القديس غريغوري	MORRAI ,PEL CAP SANH GREGORI
ما لم تستدرك الأمر فتدخلني حجرتها وتواسيني	SI NO'M BAYZ'EN CAMBR'O SOTZ RAM[1]

3 - **صور الأسلوب:** يستعمل الشاعر البروفانسي والأندلسي للتعبير عن مشاعره صور فنية تعبيرية تميّز بها الشعر العربي القديم، حتى من قبل ظهور فن الموشحات الأندلسي مثل استعمال الصور البيانية كالتشبيه والكناية والاستعارة لتصوير الواقع ووصف العاشق والمعشوقة، و لذة العشق ولوعته، وهذا مقطع من أغنية لمركابرو ، وهي الأغنية الخامسة و العشرون في الديوان الذي جمعه وحققه Dr.Djeanne و ترجمها عبد الإله ميسوم:

« **الزرزور**	**ESTORNEL**
طر أيها الزرزور محلقا،	ESTRONEL, CUEILL TA VOLADA
و غدا في الصباح مبكرا،	DEMAN, AB LA MATINADA
توجّه نحو بلد تلـــــــقي	IRAS M'EN UN' ENCONTRADA
فيه بمجبوبة لي هـناك،	ON CIGEI AVER AMIA ;
تجدها	TROBARAS

[1] – عبد الإله ميسوم ، المرجع السابق .ص 290

وتراها.	EVEIRAS
ومهمتك هي:	PER QUE VAS;
أن تقول لها	COMTAR L'AS
مستفسرا	E'ILLDIRAS
في نفس الوقت	EN EIS PAS
لماذا خانت عهدها	PER QUE SE TRASLIA»[1]

وتنتقل الدراسة، في آخر فصولها، إلى إيطاليا، والدور الذي مارسته بأدبائها وشعرائها في نشر أدب التروبادور، والتغني به، و النسج على منواله، من بين أدبائها الشاعر الإيطالي "دانتي أليغيري" – صاحب الكوميديا الإلاهية- الذي أولع بشعر التروبادور، وبالتالي الموشحات الأندلسية، لأنه يتجاوب مع مشاعر الحب الرقيق الذي يعتمل في قلبه. وكانت إطلالة الباحث على الشعر الإيطالي وتأثره بفن التروبادور بمثابة إشارة تفتح المجال للدراسات المقارنة العربية المستقبلية للالتفات إلى طبيعة التأثير الحاصل بين الموشحات الأندلسية والشعر الإيطالي.

1 - عبد الإله ميسوم ، المرجع السابق. ص 294

IV- النموذج التطبيقي الثاني:

ألف ليلة و ليلة و أثرها في الرواية الفرنسية في القرن 18

د. شريفي عبد الواحد

كثيرة هي الدراسات التي تدين لرائعة الليالي بمادتها. هذه "الرواية الأم"- مثلما يحلو للبعض وصفها- التي وفرّت للأدب و النقد و العلوم مادّة غناء للدراسة والتحليل والمقارنة. وتعد دراسة "محمد غنيمي هلال" فاتحة الدراسات المقارنة المنهجية التي اعتنت بتأثير "الليالي" في الآداب العالمية، ومنذ ذلك التاريخ لا تزال الدراسات المقارنة تعتمد "الليالي" مادة لمختلف حقول الدراسات المقارنة، من بينها دراسة المقارنين المحدثين أمثال : "شمس الدين الكيلاني" التي تنتمي إلى حقل الصورة المقارنة بدراسته الموسومة "**صورة الشرق الأقصى والعالم – في حكايات ألف ليلة البحرية-**" الصادر عن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة2007، و دراسة "ماهر البطوطي" حول تأثير الليالي على الآداب العالمية الموسومة "**الرواية الأم – ألف ليلة و ليلة و الآداب العالمية- دراسة في الأدب المقارن**" الصادرة عن مكتبة الآداب بالقاهرة سنة 2005، ولا تزال الدراسات المقارنة العربية لا متناهية ومفتوحة على كل حقول الأدب المقارن ـ لا يتسع المقام لذكرها جميعا- وإنما انتقينا منها واحدة

من أهم الدراسات للمقارن الجزائري الدكتور شريفي عبد الواحد [*] المعنونة بـ" **ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية في القرن 18**" .

تقع دراسة الأستاذ "شريفي عبد الواحد" في خمسة فصول كاملة، عني فيها «**بإيضاح التأثير والتأثر، و تحليل النصوص المتشابهة، و علاقة كل ذلك بنمو الفنّ الروائي في عصر التنوير**»[1] ، من اجل الوقوف على أوجه الائتلاف و الاختلاف والتكامل ما بين "ألف ليلة وليلة" والرواية الفرنسية في عصر التنوير.

تنتمي الدراسة إلى حقل التأثير والتأثر، و هي تنتهج منهج المدرسة الفرنسية للأدب المقارن الذي يقوم على ثلاثة خطوات محورية هي :

1 - التعريف بالمؤثر(الليالي)

2 - التعريف بالمتأثر (الأدب الفرنسي في القرن 18)

3 - المقارنة التطبيقية بين الليالي ونماذج منتقاة من الأدب الفرنسي مع الحرص على إثبات العلاقة التاريخية بين المؤثر و المتأثر التي أدّت إلى وقوع هذا التلاقح، وتلاقي هذه الآداب فيما بينها.

وانطلاقا من ذلك استهل الباحث بتقديم تعريف واف لرواية "ألف ليلة و ليلة"، وذلك من خلال دراسة عامة عن ماهية الليالي وأصولها في الدراسات العربية القديمة والدراسات الغربية.

[*] ـ أستاذ التعليم العالي بجامعة وهران الجزائر

[1] ـ شريفي عبد الواحد. ألف ليلة و ليلة و أثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،الجزائر، دار الغرب ، 2005، ص ب

ويخلص الباحث إلى أن "الليالي" تعد «**مجموعة من قصص أدبية اشترك في نسجها أكثر من حاك و أكثر من راو، على مر زمن لا يمكن تحديده بدقة**»[1]، لأنه من الصعب اقتفاء أثر الحكايات المروية، لأنها تتجاوز حدود الزمان والمكان. إذ يمكن أن تكون "الليالي" قد استقت من روافد متعددة، هندية و فارسية وفرعونية ومسيحية ويهودية وغيرها، لذلك من الصعب تقديم تحديد دقيق لأصولها.

انتقل بعدها إلى دراسة الحياة السياسية و الاجتماعية في "الليالي"، باعتبار الكتاب «**سجلا حافلا بالأحداث السياسية والاجتماعية، استطاع أن يصور جوانب عدّة من حياة المجتمع العربي الإسلامي في العصور السالفة. و يبدو جليا أن "مؤلفيه" انغمسوا في جماهيرهم انغماسا قويا، فرسموا بعفوية صادقة واقعهم، و عبروا عن ألامهم وتطلعاتهم، وتمكنوا من الولوج إلى موضوعات حيوية، أغفلتها كتب التاريخ و مصادر الأدب**»[2]، ودراسة خصوصية بنائها الفني، و هي دراسة زودتنا بمعلومات فنية عن صنع حكايات شهرزاد، الممتدة على مدار ليال تختلف أعدادها باختلاف مواضيع الحكايات ومضامينها، و عن أسلوبها السهل، المنبسط، الذي يبعث على التشويق، ويوفر المتعة والرغبة في الاستزادة من هذه الحكايات، وكذا دراسة حول الأزمنة و المكان الذي تدور فيه الأحداث والذي غالبا ما يكون محصورا في « **دائرة شرقية مفتوحة تضم العراق والشام ومصر والهند و الصين، إلى جانب بلاد الروم والفرنجة، و قد تدور في أماكن خيالية (عالم الجن ، جزر خيالية، ...)**»[3]

---

[1] - شريفي عبد الواحد ، المرجع السابق ، ص 13
[2] – نفسه . ص 33
[3] - نفسه . ص 49-50

وينتقل الباحث في الفصل الثاني من الدراسة إلى تحديد مدى تلقي الأوربيين لليالي، لاسيما في عصر التنوير، و يستهل الدراسة بترجمة أنطوان جالون لليالي ما بين سنة 1704 و1717 إلى اللغة الفرنسة، في 12 مجلدا.

لقد نالت هذه الترجمة نجاحا منقطع النظير، ويعود لها الفضل في تعريف المجتمع الأوربي "بألف ليلة و ليلة" و التأثر بها، وعن هذه الترجمة يقول الباحث:«**والواقع أن أنطوان جالان قدّم لجمهوره ترجمة أنيقة الأسلوب، تتسّم بالوضوح والبساطة والرشاقة. فالأحداث و الصور "رسمت بيد شاعر وبكل ثقة وثبات"، و الأجواء الشرقية قربت إلى القارئ الفرنسي في ديباجة مشرقة. إنها ترجمة متقنة وأصيلة أكثر من كونها ترجمة بالمعنى الضيق للكلمة، ترجمة رائدة تضمنت أعظم وأهم القصص المعروفة في نسخ الكتاب الأصلي، و لها اليد الطولى في التعريف بالليالي والتنويه باسمها...**»[1]

لينتقل بعد ذلك إلى "عصر التنوير"، وكيف تمكنت رواية "ألف ليلة و ليلة" من التأثير على الأعمال الأدبية في هذا العصر الذي كان معروفا بالعقلانية والذوق الكلاسيكي، إلا أن الليالي بسحر أسلوبها ودفء لياليها استطاعت أن تلهم الخيال الفرنسي، لاسيما وأن التركيبة الاجتماعية و السياسية والاقتصادية للمجتمع الفرنسي كانت تعيش نوعا من الاضطراب، وعدم الاستقرار الذي يوذن بتغيير وشيك. واستطاعت حركة "التنوير" في فرنسا «**أن تؤثر في العقل الفرنسي تأثيرا عميقا، وأن تحوره من الخرافات المستبدة به. ولقد كان طبيعيا أن تضعف الكنيسة أمام**

[1] ـ شريفي عبد الواحد ، المرجع السابق . ص 60

هجمات "المنورين"، و أن ينهار الفكر الإقطاعي أمام المفاهيم الجديدة القائمة على الحرية والمساواة. لقد كان أساس المجتمع يتبدل، و الطريق مهيأ لأن تمتلك الطبقة الوسطى مقاليد الحكم في البلاد، محطمة بذلك أسطورة الملك الإلهي، ومعلنة بداية عصر جديد في فرنسا .»[1]

وكان من الطبيعي أن يواكب الأدب التغييرات التي عرفها المجتمع الفرنسي، فظهرت الحاجة إلى أدب جديد بعيد عن آثار العصر الكلاسيكي البائد، يستجيب لحاجة القراء إلى عوالم سحرية فاتنة تغذي الخيال وتثير العواطف. وفي خضم هذه التحولات ظهرت ترجمة "أنطوان جالان"، فكان من الطبيعي أن تعرف نجاحا منقطع النظير، كما تمّ نقلها إلى مختلف اللغات الأوربية، وكانت منارة غيّرت نظرة الغرب عن الشرق، وألهبت حماسته في العناية بهذا الشرق، والاقتراب منه و التعرف عليه.

و إننا نرى أن تقديم هذين الفصلين بمثل هذه المنهجية المحكمة، والاستفاضة والشمولية، والإحاطة بكل الظروف الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية التي واكبت تلقي القارئ الأوربي لليالي، يعطي للدراسة قوّة دفع محركة تجعل القارئ يصنف الأحداث والوقائع في سياقها التاريخي الذي ظهرت فيه، وكانت سببا فيه.

[1] ـ شريفي عبد الواحد ، المرجع السابق. ص 72

من ثمّ يخصص الباحث الفصل الثالث إلى وقفة متأنية لأشكال تلقي الرواية الفرنسية في عصر التنوير لليالي و التـأثر بها،و جاءت الدراسة موزعة على خمسة محاور هي :

1 - محاولات التقليد
2 - الهروب إلى الشرق أو الوقوع في دائرة السحر
3 - الليالي في روايات الحب و المغامرات الفرنسية
4 - الليالي في روايات كريبيون الإبن
5 - الليالي في روايات ديدرو.

وتدرجت الدراسة بدءا من محاولات التقليد الأولى للأدباء الأوربيين في أعمال نسجت على منوال الليالي أمثال :

"بيتي دولاكروا" في قصة "سلطانة فارس والوزراء"(1707)، ومجموعة "ألف يوم ويوم"(1665)، و جوليت Gueulette في "ألف ساعة و ساعة"، وكايلوس في "حكايات شرقية"، وأنطوان هملتون في "وردة الشوك"، و غيرها. وقد زودنا الباحث بقائمة لأهم القصص والروايات المقلدة لليالي .[1]

وجاءت هذه الأعمال المقلدة تلبية واستجابة لإقبال القراء المتزايد على هذا الأدب الجديد، و قد برزت مظاهر تقليد هذه الأعمال الفرنسية "لألف ليلة و ليلة" على

[1] - ينظر شريفي عبد الواحد، المرجع السابق، ص 99-100

مستوى المضامين و الأسلوب و تقليد البناء الفني لليالي من خلال استعمال " القصة الإطار" التي تشتمل على مجموعة من القصص الفرعية، و تربط بينها ربطا محكما.

و التفتت الدراسة، بعد ذلك، إلى إبراز أسباب تأثير "ألف ليلة و ليلة" في الرواية الفرنسية، والتي تعود إلى أن الليالي أتاحت « **لأدباء فرنسا سبيل الهروب إلى عالم جديد متحرر من الكآبة الكلاسيكية، وتركتهم يحلمون، طيلة قرن، بشرق شهرزاد الدافئ، و يتوقون إلى استكشاف عجائبه و أسراره.**»[1]

وقد استطاعت "الليالي" بتقنياتها ورموزها ونماذجها آن تؤثر على روايات الحب والمغامرات الفرنسية، وروايات العادات والتحليل النفسي، و اصطفى الباحث بالدراسة أعمال كاتبين هما "كريبيون" و "ديدرو".

و بعد أن قدّم الباحث تعريفا وافيا عن المأثر المتمثل في رواية "ألف ليلة وليلة"، و قنوات انتقال الليالي إلى الأدب الفرنسي عن طريق الترجمة وعلاقتها بالأدب الفرنسي، انتقل في الفصلين الرابع والخامس إلى تقديم نماذج تطبيقية عن التأثير الواسع لليالي في المفكرين والأدباء الفرنسيين، أمثال "فولتير" و "مونتيسكيو" .

I - تأثير الليالي في أدب "فولتير":

استهل الباحث دراسته التطبيقية حول تأثر "فولتير بألف ليلة و ليلة" بتعريف المفكر الفرنسي فولتير، ومحاولة موضعته في إطار حيّزه الفكري و الأدبي الذي ينتمي إليه.

[1] - شريفي عبد الواحد ، المرجع السابق . ص 109

انتقل بعد ذلك إلى تحديد موقف "فولتير" من الشرق، وهو موقف إعجاب به، على الرغم من أنه لم يزره يوما، إلا أنه تعرّف عليه من خلال مصادر متنوعة شكلت أهم القنوات التي تسرب منها الشرق إلى فكر "فولتير" وأدبه و أهمها "القرآن الكريم"،و"كتب التاريخ"، و"الموسوعات العلمية"، و"تقارير المبشرين"،و "كتب الرحلات"، و"المسرحيات"، و"القصص"، وكذا ترجمة "أنطوان جالان" لليالي، فأولع بها، وسلبت شهرزاد بلياليها لبّه. و أخذ الباحث نموذجين هما : "زديج أو القدر" و"كانديد أو التفاؤل"، و سنقتصر في دراستنا على النموذج الأوّل للوقوف على المنهجية التي اتبعها الباحث في مقارنته بين النماذج التطبيقية:

إن "زديج أو القدر" التي نسجت على منوال القصص الشعبي الشرقي، تحتوي على عناصر عدّة تشير إلى تأثر صاحبها بترجمة "أنطوان جالان". و قد اعتمد الباحث تحليله للقصة انطلاقا من التقنيات السردية مثل الشخصيات والزمان والمكان والأسلوب المشوّق، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة المضمون الذي يحصره في مسألة "القضاء والقدر"، ومن أهم العناصر الفنية التي أولاها الباحث عنايته:

1. **الأبطال:**

من أهم نقاط الالتقاء بين "الليالي" وقصة "زديج أو القدر" هم الأبطال الذين ينتمون إلى مختلف الشرائح الاجتماعية من "ملوك"، و"حكام"، و"عبيد"، وغيرهم من الشخوص التي تتحكم الأقدار في مصائرهم، مركزا على ثلاثة نماذج هي:

1 - **شخصية زديج:** البطل البابلي الفيلسوف الذي تزج به الأقدار في مواقف شبيهة بمغامرات أبطال الليالي « **فهو يعاني مثلهم من فراق الحبيب، ويتعرض للمخاطر وبطش السلطان، ولا يكف عن الترحال من مكان إلى آخر ليعود- في نهاية**

المطاف- سالما، ظافرا بالمال و الحبيب»[1]،على نفس منوال "الليالي" أين تكون النهاية في أغلب الحكايات نهاية سعيدة، غير أن "فولتير" أعطى لشخصية "زديج" لمسة فلسفية خاصة إذ جعله ينطق بأفكاره الفلسفية عن القضاء و القدر في كل مشهد أو موقف يواجهه.

2 - **شخصية قاطع الطريق:** هي صورة عن قطاع الطرق في "الليالي" الذين يرمزون إلى الفئة المنكوبة في الحياة التي تعكس الفوارق الاجتماعية والظروف الاجتماعية السيئة، والقدر المزري الذي زجّ بهم إلى امتهان السرقة للتدليل على التناقض الاجتماعي و التمرد على هذا الواقع الأليم.

3 - **المرأة الشرقية:** جاءت المرأة الشرقية في قصة "زديج أو القدر" نموذجا لصيقا بالمرأة في "الليالي" التي ترمز إلى المكر والخبث و الخيانة من أجل تحقيق مآربها.

ومن الواضح أن "فولتير" قد استفاد أيّما استفادة من التقنيات التي وفرّتها رواية "ألف ليلة وليلة"، من أجل خدمة أفكاره الفلسفية و حتى السياسية، التي يعكسها مضمون القصة وأحداثها؛ حيث يدعو إلى تقويم السلطة والاعتراف « **بالحرية الفردية للمواطنين:حرية الكلام، وحرية الفرد إزاء المجتمع، وحرية التملك، وحرية العمل...»**[2]، ناهيك عن انتقاده لرجال الدين والدولة في تلك الحقبة.

[1] - شريفي عبد الواحد. المرجع السابق. ص 191
[2] - نفسه، ص 206

II - تأثير "الليالي" في أدب "مونتيسكيو":

استهل الباحث دراسته بتعريف المتأثر، وهو "مونتسكيو" أو "شارل لويس سوكوندا CHARLES L.SECONDAT (1689) سليل الطبقة الأرستقراطية، الثائر على الأنظمة الإقطاعية والتزمت الكنسي الذي جاب دول العالم، ونهل من معارفها فتكونت شخصيته المتمردة، وكانت كل كتاباته الفكرية صورة عن روحه الثائرة، وجرأته اللاّمتناهية.

انتقل بعدها إلى الإجابة عن سؤال محوري في الدراسة هو:

« ما علاقة "مونتسكيو" بألف ليلة وليلة؟ هل اطّلع عليها،وأفاد منها "في الرسائل الفارسية"كيف ذلك؟

هل تأثر مونتسكيو"بالليالي" في أعمال أدبية أخرى ؟ما هي هذه الأعمال؟ وهل هناك ما يثبت هذا التأثر؟»[1].

وفي طرح هذا التساؤل حرص من الباحث على إثبات وجود العلاقة السببية التاريخية التي تجمع بين المؤثر و المتأثر، و هي الشرط الذي وضعته المدرسة الفرنسية و ركزّت عليه في كل دراساتها. وبالفعل ثمّة شواهد متنوعة ساقها الباحث دليلا على تعرف "مونتسكيو" على الليالي، و قراءتها و إعجابه بها أيّما إعجاب، وأثرت في أعماله أيّما تأثير، ولعلّ أهم هذه الأدلة اعترافه الشخصي قائلا :

[1] - شريفي عبد الواحد . المرجع السابق ، ص 235

« إن هذا الكتاب يا عزيزي، هو الذي يمتعني ويدخل البهجة إلى فؤادي ... إنه – يا سيدي- كتاب ألف ليلة و ليلة.»[1]

غير أن الباحث لم يكتف بتأثير "مونتسكيو" بـألف ليلة و ليلة فقط، لاسيما في "رسائله الفارسية"، بل هناك مؤثرات جمّة ساهمت في صناعة هذا الأثر، مثل: رواية"الجاسوس التركي" للروائي الإيطالي "مارانا"، و"السائح السيامي أو تسليات جدية هزلية" للروائي الفرنسي "ديفرزني،و غيرها، غير أن هذا التأثير لم يظهر إلا على مستوى البناء الفني حيث استلهم منها كتابة النص في شكل رسائل، أما تأثير ألف ليلة و ليلة فقد كان بارزا جليا، بل مسيطرا على كل أجواء رسائله، الأمر الذي دفع الباحث إلى القول مع " ل.فيان ": **« إن "الرسائل الفارسية" جاءت فصلا من فصول "ألف ليلة و ليلة" مشتملة على نزعاته وحفلاته و شهواته...»**[2].

وقد ركزت الدراسة على استخراج أوجه الاتفاق و الاختلاف البارزة بين "ألف ليلة و ليلة" و الرسائل الفارسية، سواء على مستوى المضمون أو على مستوى البناء الفني، وحصرها في العناصر الآتية:

1 - البحث عن الحقيقة
2 - الحريم
3 - الجواري
4 - العبيد

---

[1] - شريفي عبد الواحد ، المرجع السابق . ص 237، عن Nouvelle bibliothèque des romans, 7ème annèe .P 7/5
[2] – نفسه. ص 242

وهي العناصر التي تشترك اشتراكا كبيرا مع "الليالي"، كما كانت هذه الرسائل مرتعا سمح لمونتسكيو بالإدلاء بآرائه السياسية و الفلسفية و الدينية عن المجتمع والأخلاق ورجال الدين، وراح ينتقدها «**ولقد أثارت هذه الآراء عاصفة من الاحتجاجات و ردود الأفعال لما ورد فيها من نقد اجتماعي وسياسي لاذع...».**[1]

ولم يكن "فولتير" و"مونتسكيو" وحدهما اللذان تأثرا بالليالي في الأدب الفرنسي خاصة و الأدب الأوربي عامة، و إنما استمرّ تأثيرها إلى الأجيال اللاحقة والمعاصرة، فلا زالت الليالي مصدر إشعاع و خلق لعديد من الدراسات المتنوعة والجادّة، يصعب الإلمام بها جميعا وحصرها .

[1] - شريفي عبد الواحد ، المرجع السابق ،ـ ص 264

الفصل الرابع

حقل الصورائية

I - ماهية الصورائية:

يتحدد مفهوم حقل الصورة الأدبية، في الأدب المقارن، في جملة الدراسات المقارنة التي تعنى بتصوير تمظهر "الآخر" في أدب "الأنا"، أو تمظهر "الأنا" في أدب "الآخر"، مثلما تمثلته الذهنيات القومية في صلاتها مع غيرها، ومحاولتها أن تكوّن لنفسها صورة عن "الآخر" تعكس نظرة، أو رؤية، و بالتالي موقفا، منه .

و يتحدد موضوعها « **في البحث عن الواقعي و المتخيل في الصورة، أو الميثات المكونة عن الأجنبي أو الغريب، من خلال نماذج تمثيلية داخل الحقل الثقافي للذات**»[1]. وغالبا ما تكون هذه الصورة المنتجة خاضعة لتجربة ذاتية، يعاد إنتاجها من قبل الذهن أو الخيال، ومهما كان موقفها سلبيا أو إيجابيا، فهي « **قلّما تكون صادقة أمينة في تعبيرها عن طبيعة البلد و نفسية ساكنيه، بل كثيرا ما تختلط الحقائق فيها بمزاعم لا أصل لها، أو بتأويلات مبالغ فيها، فتخرج بذلك عن حدود الواقع، وتصير في جملتها من خلق الآداب المختلفة.**»[2]

وتتكون الصورة من عناصر موضوعية، و أخرى عاطفية، و غالبا ما تتغلب العناصر العاطفية على العناصر الموضوعية لتمنحنا صورة مغلوطة عن "الآخر"، لأن الأجنبي لا يقدم لنا صورة البلد الذي يتناوله مثلما هي عليه، و إنما مثلما يريدها أن

[1] – عبدالنبي ذاكر . " المغرب وأوربا نظرات متقاطعة ". المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر- أكادير، ط2، 2007 ، ص 22

[2] – غنيمي هلال، المرجع السابق . ص 422.

تكون. و غالبا ما تخضع هذه الصورة إلى الأحكام المسبقة والقوالب الجاهزة التي ينسجها الخيال، وتلونها البلاغة.

وكانت المدرسة الفرنسية للأدب المقارن سباقة إلى حقل الصورلوجيا ، ومن أهم رواده جون ماري كاري Jean Marie Carré, و فرانسوا جوست François Jost و روني ريموند René Remond و جورج أسكولي George Ascoli وميشال كادو Michel Cadot، و غيرهم من المقارنين الفرنسيين الذين وضعوا اللبنة الأولى لعلم الصورلوجيا ومنهجية البحث فيه.

II - منهجية البحث في حقل الصورة:

تهتم دراسة الصورة بإبراز صورة كاملة عن أمة من الأمم في مؤلفات كاتب واحد ينتمي إلى أمة مختلفة، أو تسعى إلى إبراز نفس الصورة في أدب بأكمله، مثل دراسة بيير مارتينو Pierre Martino حول L'Orient dans la littérature française (1906) "**الشرق في الأدب الفرنسي**".

وتتحدد منهجية البحث في هذا الحقل في تفكيك الصورة إلى عناصرها المكونة لها، من أجل الوقوف على لحظة **"ولادة"** أو **"تشكل"** صورة شعب ما في ذهنية شعب آخر، يمثل واقعا ثقافيا أجنبيا مغايرا، مع البحث في طريقة **" تكون"** هذه الصورة من جهة، و تحديد عناصرها المنتجة لها من جهة أخرى. « **و لا بد للباحث في هذا الباب – مع شرحه للصور التي كونها شعب ما في أدبه عن بلد أو بلاد**

أخرى– أن ينقد هذه الصورة، و يبين ما فيها من صواب و خطأ، و يشرح أسباب الخطأ فيها، و يدعو إلى وضع البلد أو الشعب موضعها الصحيح من أفكار الأمة وأدبها » [1] ، كي يتمكن من رسم صورة صادقة وأمينة عن ذلك البلد.

III –روافد الصورة : "أدب الرحلة"

من أجل تمثل عناصر الصورة في كمالها و شموليتها، تنهل الصورة من روافد متعددة، سواء أكانت هذه الروافد من « **أدب الخيال Littérature de fiction أو من أدب اللاخيال Littérature de non-fiction ، و سواء أكانت هذه المعرفة /الصورة مقروءة (أي مكتوبة) أم بصرية (أي مرئية/ أم سمعية بصرية audio-visuelle ، كالأفلام السنمائية ، و الأشرطة التلفزيونية»**[2].

و تنهل الصورة من كل الأجناس الأدبية: الرحلات، الروايات، الأسفار، المقالات، المسرح، الشعر وغيرها. وقد كان لأدب الرحلة فضلا كبيرا في تشكل صورة أمة ما في فكر أمة أخرى، و تقديم نماذج بشرية عن أهلها، و مناظرها الطبيعية، وعاداتها و تقاليدها، مثل رحلة مدام دي ستاليل Mme De Stail إلى ألمانيا، التي خصتها بمؤلفها الشهير de l'Allemagne "عن ألمانيا"، ومؤلف "جان ماري كاري" Les voyageurs et écrivains français en Egypte. "**الرحل والكتاب الفرنسيين إلى مصر**" (1940)، وهو مؤلف سمح بعقد مواجهة بين عالمين

[1] – محمد غنيمي هلال . المرجع السابق، ص 427
[2] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص 13

متناظرين، من منظور أدبي، و ذلك بالتركيز على تقديم الأبعاد المعرفية و الفضائية بين هذين العلمين، وتقديم العادات و السلوكات من جهة أخرى.

ومن ثمّ، شكلت الرحلة أرضية خصبة لاستنبات الصورلوجيا وترعرعها. ويبقى على الباحث المقارن دراسة طريقة تمثل هؤلاء الرحالة للبلد الذي قاموا بزيارته، لأنهم « **هم الذين ينقلون إلى أممهم، ويصفون في أدبهم صور ما شاهدوا ويشرحونها، بما يتفق و ميولهم، و بما يتماشى مع غاياتهم، و ما تمليه عليهم أحوالهم النفسية و الاجتماعية التي سافروا أو هاجروا فيها**»[1]، و لعلّ هذا ما دفع بفولتير Voltaire إلى التنبه إلى ضرورة القيام بقراءة متشككة لأدب الرحلة*، وأنسب مجال يقوم بهذه « **القراءة المتشككة للرحلة، و الذي كان يحلم به فولتير، هو الصورلوجيا القادرة على غربلة "الحالة الخاصة" من "الحالة العامة"، و ضبط "الافتراءات" و"المغالطات" لتخليص الحقيقي.**»[2]

و انطلاقا مما تقدم، يمكن القول إن الصورة من أشد الحقول ارتباطا بتاريخ الأفكار و الإيديولوجيات، لأن « **مصدرها التباين بين الأوطان و الثقافة من جهة، وسطوة الشرط الموضوعي من جهة أخرى**»[3] ، فهي تمثيلية جماعية تشترك فيها عناصر عاطفية و إدراكية، تنهل من ذاكرة الأجيال و النصوص، « **و لهذا السبب - دون غيره- اعتبرت الصورة مزيجا من الموضوعية و الذاتية، من الواقع و الميث- فحين لا يتمكن المرء- بدافع ما قد يكون سياسيا أو سيكلوجيا أو غير ذلك- من أن**

---

[1] – عبد النبي ذاكر ، المرجع السابق ، ص 24
* - لمزيد من المعلومات ينظر ، سعيد علوش ، مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي،
[2] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص 24
[3] – نفسه. ص 14

يقول عن الآخر ما يقوله عن نفسه، أو عن ثقافته الأصلية، فإنه يؤثر الاحتماء بالصورة، وطابعها كاستراتيجية "للمحاصرة الرمزية"، و بهذا نكون قد كشفنا عن مصدر عنف الصورة، وطابعها الصدامي (الصراعي) الذي أفصحت عنه طبيعتها المبنية على أساس المتخيل أو التمثيلية الميتية، و لا غرابة في ذلك فالصور ميثات أو سرابات في نهاية الأمر»[1] .

IV -الميث Mythe:

يعد الميث تعبيرا إيديولوجيا عن موقف عن "الآخر" تمتزج فيه الحقيقة مع الخيال، ويختلط فيه الواقع مع الصور الذهنية فيغذو الميث مثلما أطلق عليه برينال Brunel « **تشويهات تلحق وجها واقعيا»**[2] عن البلد أو الشعب الذي يراد تصويره، إنه نوع من التشويه و التضخيم يؤدي إلى تحريف الواقع.

و كثيرا ما يخلط بين مفهوم "الميت" mythe و "الأسطورة" Mythe ، في الدراسات الأدبية، في حين أن الفرق بينهما بسيط وجلي، فما يميّز "الأسطورة" عن "الميث" هو اهتمامها بشخصيات رمزية تنتمي إلى الثقافات الشعبية مثل "أسطورة فينوس" ، و "أسطورة بيجماليون"وغيرهما، أما "الميت" ، فيهتم بتمثيل الشخصيات الواقعية ، ورسم الصور التي تكونها ثقافة شعب ما عن شعب أو شعوب أخرى ، كيفما كانت هذه الصورة حقيقية أم خفية. و عليه، يعد "الميث" مبحثا من مباحث دراسة الصورة الغيرية، في حين تشغل الأسطورة حجر الزاوية في حقل آخر من حقول

---

[1] – عبدالنبي ذاكر .المرجع السابق، ص 14
[2] – نفسه. ص 16

الأدب المقارن يتمثل في "حقل الموضوعاتية" Thématologie . فعلى «**الرغم من أنهما يشتغلان معا بالصورة و التمثيل، إلا أن مادة هذه الصورة، وهذا التمثيل، تختلف من ميدان "الصورلوجيا" إلى ميدان "الموضوعاتية". وهما – أيضا- وإن كانا يستثمران مصطلح "الثيمة" ويستفيدان أساسا من المنهج الثيماتي THEMATIQUE إلا أن المادة الثيمية تختلف كذلك من علم إلى آخر.**»[1]

و تبقى الصورة أعم و أشمل من الميت، فهي في تمثلها "للآخر" و تمثيله، تضمر بين طياتها خطابا عن "الأنا". إنها تكشف عن "الذات" في الوقت نفسه الذي تعرّف فيه "بالغير"، لأن « **المعرفة بالذات تتأصل عن طريق المعرفة بالآخر، ففي فهم الآخر كشف للذات، بل إن ماهية الغير تتحدد على أساس ماهية الذات**»[2] ، و بذلك يصبح حقل الصورة حقلا يتسع للذات و للغير.

V - الصورائية في المغرب العربي:

أثبتت الإحصائيات في مجال الدراسات الصورائية في المغرب العربي أن حقل التأثير الأدبي ليس هو الحقل الوحيد الذي حاز على اهتمام المقارنين المغاربة، مثلما هو الحال في المشرق العربي، فقد استطاعت الصورائية أن تثبت جدارتها وأهميتها في السنوات الأخيرة بوصفها حقلا من الحقول الأدبية المقارنة الخصبة بالمغرب العربي، و التي لاقت إقبالا ملحوظا، و اهتماما بالغا من أجل تطويرها و استثمارها، مثلما تشهد على ذلك جل الأعمال التأسيسية لرواد هذا الحقل الأوائل، الذين أبوا إلا النهوض بهذا

[1] – عبد النبي ذاكر ،المرجع نفسه. ص 15
[2] – نفسه. ص 13.

الفرع من الدراسات الأدبية المقارنة، انطلاقا من ثقافتهم وتراثهم، و أعمال من لحق بهم.

و عليه نسجل أعمالا بالغة الأهمية بالمغرب العربي تناولت الصورة المتبادلة بين "الأنا " و"الآخر " في رحلتها عبر امتداد الزمان والمكان و الإنسان.

و كانت هذه الأعمال مصاحبة لانبثاق الوعي القومي، و الإحساس بحاجة ملحة إلى تقديم "الآخر"، و تقديم "الأنا"، بمساعدة مكونات المقارنة، في فضاء جغرافي واسع، وحيّز زمني مترام، من أجل تصحيح الواقع و إنصاف الحقائق.

و يعود الفضل في تأسيس هذا التوجه الوطني بالجزائر إلى الجهود الرائدة للباحث الجزائري " أبو العيد دودو" الذي سعى منذ عودته من النمسا إلى نقل عطاءات الجامعات الغربية من أجل خدمة الثقافة العربية، لأن ابتعاده عن موطنه سمح له بالتعرف على نتاج الغير والاستزادة منه، والاستفادة. و قد تفانى "أبو العيد دودو" طيلة اشتغاله بالجامعة الجزائرية بالتأليف والترجمة ولم يتوقف إلى أن وافته المنية، ونراه يعبر عن قناعته قائلا: «**إني أعتقد أن من واجب كل من يتقن لغة أجنبية أن يشارك في إعادة كتابة تاريخ بلاده بغض النظر عن ميدان تخصصه، ومشاركته هذه تتم في نظري عن طريق عرض النصوص المكتوبة بهذه اللغة أو تلك، و تقديمها للمؤرخ**

المتخصص لتقويمها و ربطها بقرائنها التاريخية، ثم مقارنتها بغيرها من النصوص لمعرفة مدى صحتها وموافقتها للوقائع التاريخية .»[1]

وتجسدت نظرة "أبو العيد دودو" في وعي الأقلام المغاربية التي سعت إلى تحقيق هذه الأهداف، فظهرت أعمال جيدة، و في المستوى، و لكنها ظلت حبيسة البلد، غير معروفة بالنسبة للآخرين .

ومن بين هذه الأعمال نذكر عطاءات المرحوم "أبو العيد دودو"، نفسه، في مجال الأدب المقارن، لاسيما أدب الرحلة، الذي أولاه عنايته الخاصة، خاصة تلك الرحلات إلى الجزائر، مقدما قراءة متميزة في إطار بحثه عن صورة الجزائر في كتابات الرحالة الألمان مثل "فيلهلم شيمبر" (1804-1831) " رحلة فيلهلم شيمبر"، الذي زار الجزائر مباشرة بعد الاحتلال، جامعا للأعشاب، فأقام بها 10 أشهر كانت كافية للتغلغل في عمق المجتمع الجزائري بعاداته وتقاليده، و بعد عودته إلى ألمانيا كتب عن رحلته مؤلفا أسماه **"رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر (1831-1832)"** وصف فيه صورة الجزائر بمساجدها و مقاهيها و حماماتها، و الجزائري بأخلاقه وأدبه و عزة نفسه و كرامته ودينه، مناشدا شعبه ألا يتوجه إلى هذه البقعة للمشاركة في الجريمة الإنسانية التي تقترفها فرنسا في حق هذا الشعب.

[1] ـ أبو العيد دودو " الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان "، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975 ، ص 08

و إلى جانب هذه الدراسة نسجل أعمالا رائدة في مجال حقل الصورة المقارنة المغاربية التي سارت وفق ثلاثة اتجاهات هي على التوالي :

1 ـدراسة صورة "الأنا " في أدب "الآخر"

2 ـدراسة صورة"الآخر" في أدب "الأنا"

3 ـدراسة صورة "الأنا" في أدب الآخر، وصورة"الآخر" في أدب "الأنا".

I - دراسة صورة "الأنا " في أدب "الآخر":

من أبرز الدراسات في حقل الصورة بالمغرب دراسة "عبد الجليل الحجمري"* حول L'image du Maroc dans la littérature française de Loti à Monterlan"**صورة المغرب في الأدب الفرنسي من لوتي إلى مونتيرلان**"، والتي نوقشت بباريس سنة 1970[1]، تحت إشراف الدكتور "كي ميشو" ، وكانت هذه الرسالة بمثابة مدخل للوقوف على صورة المغرب في النتاج الأدبي الفرنسي، حيث قام الباحث بتسليط الضوء على مختلف الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال النصف الثاني من القرن17، أمثال رحلة لوتي Loti، و دوماس A.Dumas، وشوفريون Chevrillon، وطارو Tharaud، وشارم Charmes،ومونترلان Monterlan، وغيرهم، وكذا أبرز الأعمال الأدبية للكتاب الفرنسيين أمثال ممونتان ، وباسكال ودي لافايات ، و فولتير ...

* - باحث ومدير للمدرسة الملكية بالرباط

1 – طبع الكتاب بالجزائر سنة 1973

وقد أولى الحجمري عنايته إلى الأدب الفرنسي بوجه خاص، انطلاقا من الخلفية التاريخية الجامعة بين فرنسا والمغرب العربي، والمحددة في صورة المستعمِر/المستعمَر، بدءا من سنة1830، وهو تاريخ استعمار فرنسا للجزائر، ومن ثمّ السيطرة السياسية و العسكرية على كل إفريقيا الشمالية .

وتتحدد أهمية هذه الدراسة في نقطتين :

تعد دراسة الحجمري أول دراسة منهجية و بداية مضيئة تقدم أكثر من خدمة للباحث في صورة المغرب في الإبداع الفرنسي الكلونيالي، هذا على الرغم من طابعها الشمولي من جهة، و اتخاذها من بيير لوتي P.Loti منطلقا للدراسة من جهة أخرى على الرغم من وجود أعمال سابقة، وهذا ما دفع ببعض النقاد من معاصريه إلى نعت اختياره «**بالكثير من الاعتباطية، سيما إذا علمنا أن نتاجات مهمة قد شهدت النور قبل هذا الكتاب** »[1]، على قدر من الأهمية والذيوع، على الرغم من أن الحجمري قد خصص دراسة استفتاحية لتقديم نظرة بانورامية عن مختلف الأعمال التي تناولت صورة المغرب قبل لوتي، انطلاقا من القرن 17، إلا أنه « **لم يعر هذا الجزء ما يستحق من تحليل أدبي مثلما فعل بأدب القرن 19، كنا**

[1] - عبد النبي ذاكر .المرجع السابق. ص 35

أن نصيب الرحلة في بحثه لم يكن وافرا لاعتنائه بأجناس أدبية أخرى:كالرواية والشعر .» [1]

1 -كان الباحث صاحب نظرة تطورية، تهدف إلى كون الصورة لا تقوم على منهج قار، وإنما تتطور مناهجها وفق متطلبات الدراسة والموضوع، مع وجوب استثمار مناهج العلوم الإنسانية الأخرى في حقل الصورة (علم النفس، علم الاجتماع، علم الانتربولوجيا...)، مع احترام التخصصات، و هي نظرة متطورة تسمح بفتح آفاق جديدة تمكن من فهم طريقة تشكل هذه الصورة المنتجة، التي تبعدنا عن الآخر و عن أنفسنا حتى ..

لقد انطلق الباحث في دراسته بالبحث عن المرجعية الفكرية التي اعتمدها هؤلاء الكتاب الفرنسيون لرسم صورة المغرب، وهي صورة لم تنتظر مجيء الاستعمار إلى منطقة شمال إفريقيا لكي تتبلور، وإنما راحت تمتاح من وعي فكري أنتربولوجي جماعي، يعيد تشكيل صورة "الآخر" وفقا لمخزونه المعرفي، و خياله الخصب ومطالعاته الخاصة – وهي صورة أقل ما يقال عنها، أنها بعيدة كل البعد عن الموضوعية. لذلك يمكن القول أن الصورة التي يرسمها الغرب للمغرب هي وليدة الاهتمام الأزلي للغرب بالشرق الإسلامي، من المحيط إلى الخليج التي لطالما داعبت الخيال الفرنسي، و أغوت أقلام الرحالة الرومنسيين في تصويرها، مأخوذين بسحر الشرق الذي غذته ترجمة أنطوان جالان A.Galland لليالي، التي رسخت في الذاكرة الجماعية لأوربا و أبت أن تفلتها، و استمرت هذه الأفكار والكليشيهات تتحكم في ذهنية

[1] - عبد النبي ذاكر .المرجع السابق. ص 35

الكتاب حتى في القرن 19 ،على الرغم من أن هؤلاء قاموا بزيارة المغرب وعادوا إلى فرنسا ليكتبوا كتبا ومؤلفات أدبية تنضح بالغرائبية.

وعليه فإن هذه الأعمال لم تقدم صورة أمينة عن المغرب شعبا ووطنا وحضارة، و إنما كانت صورة مطبوعة بطابع الأدب الغرائبي الذي ما انفك يلازم أعمال الكتاب الفرنسيين على مر العصور. و كانت أهم نتيجة خلص إليها الباحث تتمثل في كون الغرائبية exotisme كانت نتيجة التوسع الإستعماري.

و أقل ما يمكن أن يقال عن « **هذه الدراسة الغنية بمادتها و الأفكار التي طرحتها، أنها ذات أهمية بالغة في حقل الصورة المغربي على الرغم من أنها قائمة منهجيا على الحدس، وعلى مصادر نظرية لم تكن لتوفر في ذلك الوقت كل الثراء التحليلي و النقدي والمنهجي، وكذا الرصيد المنهجي مثلما تطور اليوم مع الانتربولوجيا الرمزية (ج.ديرند) والمقاربات المقارنية المتعددة التخصصات (ب.برينال)» [1].**

كانت دراسة الحجمري بمثابة بداية استفتاحية مضيئة، أنارت طريق الباحثين من المهتمين بدراسة صورة المغرب في النتاج الغربي، إذ نسجل العديد من الدراسات الأكاديمية في هذا الصدد سارت على هديه مثل دراسة " نضيفي رجاء" حول

[1] – LAHJOMERI Abdeljlil ". L’IMAGE DU MAROC DANS LA LITERATURE FRANÇAISE- DE LOTI À MONTHÉRLANT-alger. SNED. 1973 , P25

“ Cette recherche,si riche par sa matière et par les réflexions qu’elle a suscitées,reste d’une importance capitale dans l’imagologie marocaine malgré la fait qu’elle aborde une telle entreprise en se fiant au niveau méthodologique, à l’intuition et à des sources théoriques qui n’offraient pas à cett époque là,toute la richesse de la mythanalyse, de la mythocritique et de la mythodologie, ainsi que du capital méthodologique tel qu’il s’est développé actuellement avec l’anthropologie symbolique(G.Durand) et les approches comparatistes trandisciplinaire(P.Brunel)".

Le Proche Orient Arabe d'après des récits de voyage et les textes de fiction en langue française de 1880 à 1939

"الشرق الأدنى العربي من خلال قصص الرحلات و النصوص الخيالية المكتوبة باللغة و الفرنسية من 188. إلى 1939" ، و هي أطروحة دكتوراه درجة ثالثة، من إشراف الأستاذ جان بييرو Jean PIERROT.

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مجموع الصور الرئيسية التي شكلها الفرنسي عن الشرق الأدنى، الذي لطالما احتل مكانة كبيرة في الفكر الفرنسي. فخلال القرن 19 ، كان الشرق هدفا للرحّالة، تجارا كانوا أو دبلوماسيين أو رجال دين أو أدباء أو غيرهم .. كما كان موضوعا أدبيا مفضلا لدى الأوربيين، العائدين من الشرق، فكتبوا عن هذا العالم الجديد عليهم و الغريب عن تقاليدهم ومجتمعهم وأفكارهم، الأمر الذي أدى إلى ظهور أدب أوربي ذو طابع شرقي، يقوم غالبا على تجارب شخصية في هذه البقاع .

و تحدد الباحثة إشكاليتها في مدى صدق هذه الرؤية الميثية للفرنسي عن الشرق الأدنى، وهل هذه الرؤية قادرة على أن تقدم لنا عناصر معرفية عن الحضارة الشرقية، أم أنها صورة لصيقة بالأحكام المسبقة.

وعليه، تقترب هذه الدراسة من الدراسات السابقة، لاسيما دراسة الحجمري، في اهتمامها، و انشغالها بالرحلة الفرنسية، إلا أنها تختلف عنها من حيث أنها اختارت

الشرق الأدنى موضوعا لها. كما أنها تجمع بين جنسين أدبين مختلفين، غير أنهما متكاملين، وهما أدب الرحلة و الرواية، لأن « **الرواية تولي عنايتها إلى الفرد أكثر من المجتمع، غير أنه بإمكانها أن ترمز إلى المجتمع(...) فالرواية الحديثة، مثلما عبر عنها مالرو Malraux، هي وسيلة للتعبير عن تراجيديا الإنسان و ليست تفسيرا للأفراد. أما القصة، الذي يبدو أنها توافق أكثر هذه الدراسة، تبقى في الغالب وصفية، وبعيدة أحيانا عن المجتمع. فالرواية تغوص في الروح الشرقية، وتقوم بتحليل نفسية الشرق، بعمق أكثر من قصص الرحلات، لذلك يبدو أن اختيارنا للنوعين معا أحسن وسيلة لحصر هذه المعرفة التي يملكها الفرنسيون عن الشرق الأدنى .»**[1]

وتمتد الدراسة وفق حقبة زمنية محددة بدءا من سنة 1880 إلى سنة 1939. أما سنة1880 فتمثل الفترة التي عاشت فيها أوربا أوج الأزمة الفكرية والثقافية في القرن 19، الأمر الذي دفع بالعديد من الكتاب والمفكرين إلى اختيار السفر و الترحال وسيلة للهروب من واقعهم بحثا عن عوالم جديدة تتوافق وتطلعاتهم لاكتشاف الآخر، وقد كان الشرق ضالتهم ووجهتهم المفضلة، بعد أن بلغ منهم الفضول مبلغه لشدّة ما سمعوا وعرفوا عن هذا العالم الميتي الغريب عن حياتهم و حضارتهم. وأما سنة1939 فهي «**تمثل مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية، تتزامن واندلاع الحرب العالمية الثانية**

---

[1] - نضيفي رجاء، LE PROCHE ORIENT ARABE D'APRÈS DES RÉCITS DE VOYAGE ET LES TEXTES DE FICTION EN LANGUE FRANÇAISE DE 1880 À 1939 دكتوراه درجة III، إشراف Jean PIERROT،

" Le roman vise plus l'individu que la société mais il peut symboliser une société (…) . Le Roman moderne ,écrit Malraux, est "un moyen d'expression du tragique de l'homme, non une elucidation de l'individu". Le récit qui semblerait se préter advantage à cette etude, reste souvent descriptif, extérieur parfois à la société. Le Roman pénètre l'âme orientale, analyse la psychologie de l'Oriental avec plus de profondeur que le récit. Opter pour les deux genres nous a semblé la possibilité de mieux cerner cette connaissance qu'ont les Français du Proche-Orient " P . 11

التي أسفرت عن الاستقلال، أو بواكير المقاومات من أجل تحقيق استقلال الدول العربية بالشرق الأدنى» [1] . ويعكس هذا التحديد الزمني العلاقة الوطيدة التي تربط بين الأدب والسياسة.

و يطالعنا الحجمري من جديد بمقال له منشور في "موسوعة المغرب الكبرى" حول "Présence du Maroc dans la littérature française **حضور المغرب في الأدب الفرنسي**" ،و الذي لا يبعد كثيرا عمّا جاء في رسالته، وكذا مقالته المنشورة في عدد خاص من مجلة " الأدب المغاربي والمقارن " في عددها الأول (2005)حول "**المغرب في الأدب الغربي**" Le Maroc dans la littérature occidentale، فقد شارك الحجمري بدراسة تطبيقية حول "**المرأة المغربية في رواية – اعترافات فتاة الليل لـ ف.بونجون** LA femme marocaine dans les Confidences d'une fille de la nuit - de F.Bonjeau(2005)

تعد الرواية سيرة ذاتية حرصت الكاتبة فيها على تقديم صورة أمينة عن المرأة المغربية، أكثر واقعية من كتاب جيلها أمثال Tharaud, Leglay و غيرهم من

---

[1] - نضيفي رجاء، المرجع السابق، ص 11
« …marque une étape décisive dans l'histoire. C'est le début de la deuxième guerre qui verra, à sa fin, l'indépendance ou les ébauches de lutte pour l'indépendance des états arabes du Proche Orient.»

أصحاب الأدب الاستعماري، على الرغم من حضور النزعة الغرائبية للشرق الإسلامي إلا أنها لم تكن لتطفوا إلى السطح إلا لماما.

و قد حوى هذا العدد الخاص من مجلة "الأدب المغاربي و المقارن" (ع1 ، 2005) أيضا عدّة مقالات حول أدب الرحلة، وهي على التوالي:

- Reflexions sur le maroc des heures françaises d'Abdeljlil Lahjomri – abdallah MADARHRI ALAOUI.

-L'image du Maroc dans la Littérature française de ABDELJLIL Lahjomri

-La femme marocaine dans les confidences d'une fill de la nuit de F.Boujean . ABDELJLIL Lahjomri

-De quelques usages de l'altéritédans le voyage dans l'Empire de Maroc (1971) de Jean POLOCKRI – Moufida ELBJAOUI.

-Le Maroc du XVIII siècle vu par Jean POLOCKRI : image de la femme marocaine . Sanae GHOUATI

-Regard d'une Anglaise sur la société marocaine à la fin du XIX siècle à travers son récit de vie.

وإلى جانب ذلك نجد دراسات أخرى، مثل دراسة " عبد القادر الفاتح" حول

L'image d'Afrique du nord dans les œuvres d'Albert Camus

"صورة افريقيا الشمالية في أعمال ألبير كامو" التي تمت مناقشتها بجامعة ليون سنة 1978، و اتصفت هذه الرسالة بالدقة والتخصيص لأنها اكتفت بنموذج واحد هو ألبير كامو.

وكذا رسالة "جامع بيضا" حول L'IMAGE DU MAROC ET DES RELATIONS FRANCO-MAROCAINES DANS LA PRESSE QUOTIDIENNE PARISIENNE 1950-1956**"صورة المغرب و العلاقات الفرنسية المغربية في الصحافة اليومية الباريسة ما بين 1950 و1956"** التي نوقشت سنة 1982 بجامعة بوردو3. ونلاحظ من خلال هذه الأطروحات أنها تشترك في نقطة واحدة ألا وهي ثنائية المستعمِر والمستعمَر. وكذا دراسة د.محمد أبو طالب حول Le Maroc dans les écrits anglais **"المغرب في الكتابات الإنجليزية"** (1987)، و هو مقال مكتوب في موسوعة المغرب الكبرى، عني فيه بتقديم صورة المغرب في الكتابات الإنجليزية في القرن 16، إلى غاية القرن 19، معتمدا كتب الرحالة الإنجليز وكذا كتابات أخرى خيالية و غير خيالية، سعيا منه لبلوغ الشمولية و استقصاء المادة «**ولعل هذا ما جعله يأخذ طابعا تاريخيا وصفيا غنيا بما يقدمه من مادة بيبليوغرافية تصلح منطلقا للبحث الصورلوجي .**»[1]

---

[1] - عبد النبي ذاكر .المرجع السابق.ص 36

ورسالة "أنقار محمد" حول **"صورة المغرب في الرواية الاسبانية خلال عهد الحماية"** التي نوقشت بالرباط، جامعة محمد الخامس، سنة 1992، ورسالة الدكتورة "دريسي مجيب سلوى"، حول:

Der historish wandel des Maroliobides in der deutschpraghigen literatur.

"صورة المغرب في الأدب المكتوب باللغة الألمانية" ،و التي تمت مناقشتها سنة1999بجامعة ستندال، غرنوبل III من إشراف فرانسوا جانتن François Genton.

و أطروحة "عبد الجليل القروي" حول **"تونس في الآداب الفرنسية للقرن 19"**، و **" صورة الشرق في أدب فولتير المسرحي و القصصي"** لبريهمات عيسى، وهي رسالة ماجستير نوقشت بالجزائر سنة1991، من إشراف الدكتور عز الدين المناصرة.

و تعطينا جل هذه الأطروحات الأكاديمية فكرة عن الدراسات الصورلوجية في المغرب العربي التي أخذت في البحث عن هويتها الشخصية، واكتشاف مكانتها لدى غيرها من الأمم التي جمعتها بهم صلات تاريخية و سياسية مختلفة.

صورة "الآخر" في أدب "الأنا":

قليلة هي الدراسات التي أولت عنايتها إلى دراسة صورة"الآخر" في أدبنا العربي "الأنا"، على الرغم مما لهذا التوجه من أهمية كبرى في جلاء صورة

الشعوب، وخدمة الأدب القومي، لا تقل عن أهمية دراسة صورة"الأنا" في أدب "الآخر"، لأن معرفة الآخر هو، في الوقت نفسه، جلاء لصورة "الأنا". ومن بين هذه الدراسات نذكر الدراسة المتميزة للجزائري "عبد المجيد حنون "حول **"صورة الفرنسي في روايات المغرب العربي – الجزائر تونس و المغرب"**، ودراسة "أحرازم عبد الوحيد" حول **" صورة الغرب في الرواية المغربية- المرأة والوردة نموذجا."** L'image de l'occident dans le roman Marocain- Récit de référence : Al-Mar'a Wal-Warda و التي نوقشت بجامعة باريسIII سنة1993 و **"صورة الغرب في الأدب المغربي- نماذج من الشعر والرواية"**1993،و كذا دراسة "بن عبد الغني مولاي أحمد " حول **"صورة أوربا عند الرحالة المغاربة في القرن 19"** المناقشة بجامعة محمد الخامس بالرباط، سنة1994.

لقد أولت هذه الأطروحات عنايتها إلى جلاء صورة "الآخر" في الذهنية القومية العربية، من أجل التعريف بهذا "الآخر" ، و تقديم صورة أكثر موضوعية و صدقا عنه من جهة، و التعريف بنفسها –"الأنا"- حق المعرفة، من جهة أخرى، لأن في الكشف عن "الآخر"، كشف عن "الذات" أيضا، و فرصة لتصحيح وضعها، والدفاع عنها .

وفيما يلي قراءة لبعض النماذج من الأطروحات الأكاديمية التي تمت مناقشتها بالجامعات المغاربية و التي عنيت بدراسة صورة "الآخر" في أدب "الأنا":

❖ الحالة الأولى:

يطالعنا الباحث الجزائري عبد المجيد حنون في مطلع الثمانينات بدراسة حول **"صورة الفرنسي في روايات المغرب العربي – الجزار تونس و المغرب"**، و هي دراسة متمكنة، تختلف عن سابقاتها في كونها أولت عنايتها إلى دراسة صورة "الآخر" في الأدب المغربي، ذلك بانتقاء الباحث لمجموعة من الروايات المغاربية المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية، مادة للمقارنة، وهو اختيار متميز لأنه :

1 - يبتعد عن النمطية، و يسعى إلى التجديد، وذلك من خلال توجيه الدراسة إلى مجال الصورة الغيرية في أدبنا العربي، بعكس الدراسات السابقة التي كانت تشترك في اهتمام واحد ألا وهو صورة " الأنا "، "العربي"، في عين الآخر. أي كيف يراني الآخر؟ أما حنون فوجه سؤال المقارنة إلى كيف أرى الآخر؟ من خلال دراسة صورة الفرنسي في نتاجات الأقلام الأدبية المغاربية .

2 - تنويع قلم المقارنة العربي، و إماطة اللثام عن جوانب جديدة يمكن استثمارها في الدرس العربي المقارن.

وكان عدد الروايات المختارة 31 إحدى و ثلاثين رواية، منها خمس عشرة رواية مكتوبة باللغة العربية و 16 رواية مكتوبة باللغة الفرنسية. حاول من خلالها تقديم

صورة الآخر وهو الفرنسي مثلما تمثلته أقلام الروائيين المغاربة، بكل صدق وأمانة، و بعيدا عن التحيز، و الترفع عن الذاتية حيال هذا " الآخر" الذي يربطه بالباث ماض دام و عصيب .

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات أهمها :

1 - أن وجود الفرنسي في الأراضي المغاربية تمّ تحت سلطة السلاح والقوة، وكانت علاقته بالشعب الجزائري خاضعة لمنطق الاستغلال والقهر،وطمس الهوية الفردية، والقضاء على الثقافة الغربية الإسلامية ومحاولة إدماجه في الأمة الفرنسية بثقاثتها، غير أن روح المقاومة لدى الشعب المغربي حالت دون تحقيق ذلك .

2 - وهذا ما عبرت عنه جل الأعمال الأدبية المنتقاة التي،على الرغم من علاقتها بالمستعمر، حاولت أن تبقى أمينة ووفية للوقائع التاريخية من خلال إنصافها للروائيين المغاربة، حيث قال :« **رسم الروائيون المغاربة صورة الفرنسي بمحاسنه ومساوئه، و أنكرو عليه ما لم يرق لهم، وأشادوا بما أعجبهم في شخصيته، و بذلك اتسموا بشيء من الصدق الفني والوافي في رسم صورة الفرنسي، و كان حريا بهم أن يرسموا له صورة سوداء نتيجة للطريقة التي أثر بها فيهم».**[1]

❖ الحالة الثانية:

صورة الصحراء العربية في قصص فولتير – زديج أو القدر نموذجا – :

تأخذنا الدراسة إلى الفيافي العربية مثلما تجسدت في الأعمال القصية للأديب الفرنسي فولتير (1694-1778) الذي أعجب أيّما إعجاب بالشرق الإسلامي

[1] - عبد المجيد حنون. صورة الفرنسي في الرواية المغربية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984. ص 467

وصحاريه الواسعة و عاداته وتقاليده و شعبه، فراح يقتبس من مشاهده، و ينهل من رموزه كل ما يكفل لمسرحياته و قصصه الخالدة التميز بين كتاب عصره .

و تعد دراسة الأستاذ شريفي أول الأعمال المغاربية التي اهتمت بدراسة صورة الصحراء العربية في أدب الآخر، و«**الصحراء العربية المراد دراستها في هذا البحث،جزء لا يتجزأ من صورة أشمل و أوسع هي صورة الشرق الإسلامي** »[1]. وقد خصّت الدراسة قصة واحدة نموذجا تطبيقيا هي "زديج أو القدر" لأن كل أحداثها تقع في الصحراء، الأمر الذي جعل منها مدونة مناسبة للكشف عن أهم العناصر المشكلة لصورة الصحراء العربية في أدب فولتير، الذي لم يزر الصحراء يوما، و لم يرها بالعين المجردة، لكنها لطالما سبحت في خياله،و سلبت لبه و جنانه، « **تعرف على هذا العالم ،و شكل صورة عنه من خلال قراءاته و تحليله لمجموعة من المؤلفات العلمية والأدبية والدينية التي أثرت فيه و مكنته من فهمه و استيعابه**»[2]

الأمر الذي يطرح أمام الباحث إشكالية ملحة حول: ماهية نظرة فولتير إلى الصحراء العربية؟ هل هي نظرة محكومة بتكوينه الثقافي الخاص؟ أم أنها نظرة مستندة إلى تصور موروث اختلطت فيه الحقائق بالمزاعم المزيفة ؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة قدم الباحث دراسة منهجية عني فيها بداية بالوقوف على أهم الأفكار التي كونت فكر "فولتير" عن الصحراء العربية من أجل الوقوف على الأسباب التي دفعته إلى توظيف الفضاء الصحراوي الرحب في قصصه،مركزا على

[1] - شريفي عبد الواحد . صورة الصحراء العربية في قصص فولتير – زديج أو القدر نموذجا .ص 01
[2] - نفسه . ص 3

أهم المصادر التي ساهمت في تكوين فكره،وكان لها دور فعال في حياته الفكرية والفنية معا، و من أهم هذه المصادر :

1 -القرآن الكريم (ترجمة دي ري André de Ryer 1647)

2 -كتب التاريخ و الموسوعات العلمية.

3 -تقارير المبشرين

4 -كتب الرحلات

5 -المسرحيات و القصص.

و انعكس أثر هذه المصادر في العوالم الأدبية التي أفرزها فكر "فولتير" الكاتب و الفيلسوف في مؤلفاته وأعماله الأدبية، أما نص قصة "زديج أو القدر" فكان يعبر **«أنه عالم متماسك، يحتضن شخوصه بقوة، و يعكس معاناتهم و آلامهم بحرارة، ويعبر عن قضايا شغلت الناس منذ أقدم العصور بصدق ...»**[1] ،غير أن الضرورة المنهجية في البحث الصورلوجي تقتضي حل ذلك التماسك و تفكيك عناصر الصورة إلى مكوناتها المشكلة لها من أجل إعادة رسم الصورة التي يشكلها "فولتير ". **«فالصورة تشكل في نهاية المطاف – وحدة واحدة و كلا متكاملا ...تتداخل عناصرها و تتشابك ..»**[2] .

و تشكل العناصر التالية أهم الثيمات الكبرى التي شكلت حدود صورة الصحراء العربية في الذهنية الفرنسية ممثلة في فولتير وفق المخطط الآتي:

1 -الإطار الشرقي الصحراوي – صورة الرحلة الدائرية

[1] - شريفي عبد الواحد. المرجع السابق. ص4 .
[2] - نفسه. ص 4

2 ـصورة أبناء الصحراء

3 ـزديج البطل البابلي – الصحراوي –

4 ـصورة التاجر الصحراوي

5 ـصورة قاطع الطريق – اللص الصحراوي –

6 ـصورة المرأة الصحراوية

وتوصل الأستاذ شريفي عبد الواحد، إثر تفكيكه لعناصر الصورة، إلى نتائج عديدة، إلا أن المتميز منها نتيجتان اثنتان، أولاهما حول البناء الفني لقصة "فولتير" التي « **لا تختلف كثيرا عن رحلات أبطال الحكايات الشعبية الشرقية، بل إن القصة كلها نسجت على منوال القصص الشعبي العربي، لوّنها المفكر بريشته وكساها بردائه المعروف، إرضاء للدوقة دومينز والمركيزة ستانلي، وغيرهما من القراء الذين شغفوا بقراءة قصص شبيهة بالحكايات الشهرزادية، هي قص مليئة بالصور الرائعة التي تبقى عالقة في الأذهان ».** [1]

أما النتيجة الثانية فقوله «**إن أبطال فولتير الشرقيين رموز لأفكار معينة: استمدهم من المعاني التي قصد إليها و أراد تصويرها. فهو يزج أبطاله في مغامرات ليس لها من هدف سوى أن يبدي رأيه بطريقة غير مباشرة في مجال من مجالات الحياة و الفكر، و أن يفسح المجال لسخريته و انتقاده اللاذع..»**[2]، وهي نتيجة تؤكد

[1] - شريفي عبدالواحد. المرجع السابق.ص 08
[2] - نفسه.ص 15

على أن نظرة "فولتير" إلى الصحراء العربية لم تكن من بنات أفكاره و تكوينه، و إنما كانت تستند إلى تصور مسبق موروث اختلطت فيه الحقائق بالمزاعم المزيفة، وتزج بأعماله في إطار الأدب الغرائبي .

❖ الحالة الثالثة:

كان لدراسة الدكتور شريفي الفضل في إنارة الطريق أمام الباحثين الناشئين لطرق موضوع الصحراء العربية و تطويره، فقد أقدم الباحث "عثمان بلميلود" تحت توجيهه و إشرافه بتقديم دراستين متميزين عن صورة الصحراء الجزائرية في أدب الآخر، الأولى في رسالة ماجستير في الأدب المقارن حول **"صورة الصحراء الجزائرية بين اتيان دينيه و ازابيل ابرهات"** نوقشت بجامعة وهران ، سنة 2001، و الثانية رسالة دكتوراه حول **"صورة الصحراء الجزائرية في الأدب الفرنسي من 1830-1930"** نوقشت بجامعة وهران، سنة 2008 .

يقدم لنا " بلميلود عثمان"من جامعة وهران دراسة حداثية حول **" صورة الصحراء الجزائرية بين اتيان دينيه و ازابيل ابرهات"**. و يكمن موطن الجدة في الموضوع و المنهج معا، حيث اعتمد الباحث على دراسة صورة الصحراء الجزائرية في الأدب الإستشراقي لدى كل من الفنان "اتيان دينيه "من خلال كتاباته السردية ولوحاته الفنية، و "ازابيل ابرهات" من خلال كتاباتها السردية المسجلة، وكلاهما

كاتبان فرنسيان «**استقرا في المجتمع الجزائري و تمكنا من الكثير من عناصره وثوابته اللغوية و العقيدية و الاجتماعية** »[1] ،بالإضافة إلى أن كليهما أشهر اعتناقه الديانة الإسلامية، عكس "فولتير" التي كانت علاقته بالصحراء العربية مبنية على مطالعاته فحسب .

و عليه فإن الباحث يطرق منهجا حداثيا جديدا إذ عقد مقارنة بين عناصر الصورة في مختلف أبعادها، و في خضم تلونها بتلون طبيعة الخطاب، وذلك من خلال مقارنته بين النص الأدبي و اللوحة، و هذا ما أرسى دعائمه التوجه النقدي للمدرسة الأمريكية المقارنة التي وسعت دائرة الاشتغال في الأدب المقارن، وذلك بفتح مجال المقارنة بين الأدب و مختلف مجالات التعبير الإنساني الأخرى .

أما الموضوع فيغذيه حس قومي، لا يخلو من غيرة، و حس بالمسؤولية ورغبة في رد الاعتبار إلى الصحراء الجزائرية خاصة والصحراء العربية عامة في مختلف أبعادها الزمانية و المكانية، والذي تفنن الخطاب الاستعماري في تشويهها والإساءة إليها، و هذا ما اتخذ منه الباحث منطلقا لدراسته جازما أنه « **ما كان من أمر الإستشراق منذ بداياته، وخلال عصر النهضة حتى مشارف القرن 20،إلا تقلبات لعملة واحدة استوردت للمجتمع الغربي صورة مصطنعة عن الشرق، امتزجت مع مخلفات عقائدية فاسدة ومشوهة، فترسبت في مخياله لا تكاد تغادره، وتجلت في جميع أعماله الأدبية و الفنية، خاصة خلال الفترة الاستعمارية، و تحقق الاحتكاك**

[1] ـ بلميلود عثمان." صورة الصحراء الجزائرية بين اتيان دينيه و ازابيل ابرهات".ص ت (المقدمة)

الفعلي مع البيئة و المجتمع الشرقيين، بعد أن كان أول أمره مجرد مواجهات انتقامية متكررة .»[1]

و لم تتوقف الفكرة عند حدود الكاتبين فقط، بل راح يطورها و يوسعها في رسالة الدكتوراه التي أنجزها حول " **صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي**" و هي رسالة دكتوراه نوقشت سنة 2008، بجامعة وهران، عنيت بتوسيع مجال المقارنة بين عدد هائل من الكتاب الاستعماريين وهم على التوالي :

المؤلف	المؤلف
الجنرال أوجين دوماس EUGENE Daumas 1871-1802	Mœurs et coutumes de l'Algérie : tell-kabylie-sahara
Eugéne fromentin 1876-1820	Un été dans le sahara1857
Emile masqueray 1894-1843	Souvenirs et visions d'Afriques
Guy de Maupassant 1893-1850	Au soleil. La vie errante
Etienne dinet 1929-1861	Khadra, danceuse des Ouled-Nail
André gide 1951-1869	L'immoralliste
Isabelle Eberhardt 1877-1904	Portrait de l'Ouled Nail

[1] ـ بلميلود عثمان . المرجع السابق. (المقدمة) . ص أ

Jérome/Jean Tharaud 1952-1877 1953-1874	La fete arabe
Marie Bugéja	Nos soeurs musulmanes
Louis Bertrand	La grenouilles de Bou saada

ونظرا لجدة الخطاب وجرأته، أولينا هذه الدراسة اهتماما خاصا وجعلنا منها نموذجا تحليليا في دراستنا التطبيقية اللاحقة.

❖ النموذج الرابع:

و تطالعنا الباحثة مغربي هوارية من الجزائر ببحث موسوم بـ**"صورة العربي بين "فرانس كافكا " و " ألبير كامي " – بحث في الصورائية المقارنة"** ، و هي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة وهران سنة 2003.

يهتم هذا البحث بدراسة صورة العربي بين قطبين من أهم الكتاب العالميين، الألماني فرانز كافكا في روايته " ابن آوى و عرب" مع إدراج نص آخر بعنوان "**قصة قديمة**" خدمة للموضوع و لجلاء تفاصيل الصورة لدى كافكا، و " ألبير كامي" بروايته الشهيرة "الغريب" التي تسرد تفاصيل حياته بالجزائر .

و هي دراسة حاولت تلافي عثرة الأحادية، و تصرح الباحثة في مقدمتها أن الدراسة في الأصل كانت مبنية على دراسة صورة المغربي في أدب فرانز كافكا، غير أن الضرورة المنهجية و تلافيا لتهمة الأحادية التي أثقلت كاهل الصورائية بدراسات تعاني من اضطراب منهجي، وتحقيقا للثنائية التي هي أساس كل دراسة مقارنة وعصبها، تمّ البحث عن طرف ثان يحقق هذه المعادلة التفاعلية ووقع الاختيار في النهاية على الأديب الفرنسي ألبير كامي قطبا ثانيا للمقارنة .« **هذا ولأن البحث يندرج ضمن مبحث الصورائية، أحد محاور الأدب المقارن، كان رصدا لصورة العربي في أدب كافكا، و لأن الأدب المقارن يشترط الاشتغال في أدبين فما فوق، أسعفنا البحث بطرف ثان .**»[1]

ولم يكن هذا الاختيار ينطلق من الاعتباطية، وإنما كان مبنيا على عدّة اعتبارات منهجية حددّتها الباحثة في نقطتين اثنتين هما :

1 -تشابه حياة الأديبين.

2 -تقارب أدبهما حيث أن كلا من كافكا وكامي ينتميان إلى تيار اللامعقول والوجودية.

إن الجمع بين الأديبين كان موفقا، ونريد أن نشير هنا إلى تلك الدراسات الغربية التي زاوجت بين الأديبين من منظور مقارن في حقول أخرى للأدب المقارن، غير حقل الصورة مثل دراسة بريان فيتش حول"**ألبير كامو – المصادر و التأثيرات** "

---

[1] - مغربي هوارية . صورة العربي بين " فرانس كافكا " و " ألبير كامي " – بحث في الصورائية المقارنة- المقدمة . ص ج

Albert Camus- Sources et influences، والتي تحوي على مقارنات بين كامو وكافكا ، من خلال روايتيهما "الطاعون"و"المسخ"وغيرها من الدراسات .

غير أن للباحثة الفضل في الالتفات إلى رواية "أبن آوى و عرب"، التي تعد متنا مناسبا لدراسة صورة العربي، و استثمارها في حقل الصورة، و كذا إقرانها برواية الغريب لكامو.

و على الرغم من وعي الباحثة بالأسس الإجرائية للمقاربة المقارنة، إلا انها لم تترجم ذلك الوعي عمليا في مقاربتها لصورة العربي في عمل كل من كافكا و كامي، إذ ظلت الغلبة لرواية" إبن آوى و عرب "، أما الجزء المخصص لكامي فكان هزيلا إن لم نقل مفروضا على الطرح فرضا. «**و قد يلاحظ القارئ لهذا البحث أننا خصصنا الأديب كامي جزء بسيطا مقارنة مع ما كان من إفاضة الحديث عن الأديب كافكا، وذلك لأن البحث في ذاته قراءة في نص " بنات آوت آوى و عرب " وتحقيق في صهيونية كافكا بالعودة إلى نصوصه وأدبه »** [1] ، وهذا ما لا يتفق مع الإجراءات المنهجية لحقل مثل حقل الصورة الذي يختلف عن الحقول الأخرى في أهدافه وإجراءاته .

أما الطرح الذي قدمته الباحثة فقد خصصت ثلثي دراستها (الفصل الأول والثاني) لدراسة نقدية تبحث في مدى حضور كافكا الأدبي في العالم الغربي والعالم

---

[1] - مغربي هوارية. المرجع السابق. المقدمة

العربي على حد سواء، و قراءة في قصة " بنت آوى و عرب "، و هي مقاربة أقرب ما تكون إلى تأثير و تلقي "كافكا" الأدبي في العالم.

أما الفصل الثالث و الأخير المخصص لصورة العربي بين "كافكا" و "كامي"، فلم تشغل منه الدراسة المقارنة حيزا كبيرا .و لم يتم استغلال المسائل النظرية المذكورة في الفصول السابقة في الدراسة التطبيقية للصورة.

II - صورة"الأنا" في أدب "الآخر"،و صورة"الآخر" في أدب "الأنا":

يسعى أصحاب هذا الاتجاه إلى خلق توأمة بين صورة "الأنا"و "الآخر"من خلال دراسة مقارنية متقاطعة تجمع بين صورة "الأنا" في أدب "الآخر" وصورة "الآخر"في أدب"الأنا".

ويتجسد هذا المسعى مع دراسة عبد النبي ذاكر [*] الموسومة "**المغرب وأوربا- نظرات متقاطعة**" 2006. فهي دراسة متطورة في منهجها، ومتميزة في طرحها ومقاربتها للموضوع الذي يبحث في "صورة المغربي في الرحلة الاوربية" ، غير أن الدراسة لا تقف عند هذه الحدود ، بل راح يبحث ،أيضا، في "صورة الأوربي في الرحلة المغربية" سعيا منه إلى خلق توأمة بين "الأنا" و "الآخر".

وقد استثمر الباحث معرفته الواسعة وتمكنه من أدب الرحلة لإثراء حقل الصورة المغاربية بعمل جاد وجيد، يعكس نظرة تقدمية ومتطورة عن ماهية البحث الصورائي.

[*] - باحث مغربي، متخصص في أدب الرحلة ، حاصل على جائزة "ابن بطوطة" للأدب الجغرافي في ديسمبر 2006، بأبوظبي ، بالإمارات العربية المتحدة،حول دراسته الأكاديمية الموسومة بـ " الرحلة العربية إلى أوربا وأمريكا وروسيا من القرن 11 إلى القرن20"،وهو أستاذ بجامعة أكادير ومدير المركز المغربي للتوثيق والبحث .

لقد لاحظ الباحث أن جلّ الدراسات المهتمة بهذا المجال تنحو منحى واحدا أحادي الاتجاه، يتمثل في دراسة صورة "الأنا" في نظر "الآخر"، أو صورة "الأخر" في نظر "الأنا"، أما الصورة المتقاطعة بين الأنا والآخر، فقلّما تحظى باهتمام الباحثين، لذلك نجد الباحث يؤكد على أن « **الدراسات الأحادية الاتجاه، التي لا تمّت لحدّ الآن، لا يمكن أن تـؤتي أكلها ، إن هي لم تأخذ بعين الاعتبار هذا التوجه الجديد الذي يفرض وضع طرفي الصورة في مخبر التحليل ، فصد خلق أسس أكثر موضوعية للمقارنة والتحليل والتأويل.**»[1]

و لعلّ هذه النظرة المتقدمة التي ضمنّها ذاكر دراسته الصورائية،هذه، هي التي كانت وراء اتخاذنا لدراسته نموذجا تمثيليا عن الدراسة الصورائية في المغرب العربي.

و في ختام هذا العرض لبانوراما الدراسات الصورائية المقارنة في المغرب العربي، نستطيع القول أن هذا الحقل قد حظي باهتمام بالغ من قبل المقارنين المغاربة.

ويعود هذا الاهتمام إلى طبيعة الدرس الصورائي، المرتبطة بالقضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية للشعوب من جهة، و إلى خطورة نتائجه التي تتجلى في الكشف عن الواقعي و المتخيل في الصورة الغيرية التي نادرا ما تكون صورة منصفة أو موضوعية، لأنها صورة ذاتية نابعة من العاطفة، **لأن** « **أي بلد ينتج صورة تمثيلية عن بلد آخر، إنطلاقا من الاهتمام الذي يحمله لهذا الشعب، أو هذا المجتمع لأسباب سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو عاطفية**»[2].

[1] ـ عبد النبي ذاكر.المرجع السابق.ص 05

[2]- LAHJOMERI Abdeljlil.Ibid. P17
" …un pays élabore une image rereprésentative d'un autre pays, en proportion de l'interet qu'il porte à ce peuple, ou que cette société suscite en lui pour des raisons soit politiques, économiques , culturelles ou affectives."

و عليه نشأ بالمغرب العربي توجه جديد يسعى إلى استثمار حقل الصورة في مقارنة التاريخ الوطني و تصحيحه، فاتسمت جميع الدراسات الصورائية بالنضالية والغيرة القومية و حس المسؤولية، و نستطيع تحديد خصوصية الدرس الصورائي المغربي في نقطتين اثنين:

1 - انطلاق القلم المقارني المغاربي من دافع وطني يسعى إلى استثمار حقل الصورة في تصحيح التاريخ الذي شوهه " الآخر " من خلال كتاباته السردية،الخيالية و غير الخيالية، وهذا ما يفسر جنوح جل الدراسات الصورائية إلى الاهتمام بثنائية المستعمِر / المستعمَر، من أجل تصنيف الأحداث وإنصاف الحقائق.

2 - المساهمة في تطوير حقل الصورة وتحديد مناهجه، والنهوض بدراساته في المغرب العربي خاصة والوطن العربي عامة، لاسيما وأن حقل الصورة لا يقوم على منهج واحد ووحيد، و إنما يتغير المنهج و يتشكل وفقا لطبيعة الموضوع المدروس.

وهذا ما يؤكده الباحث الجزائري بومدين جيلالي ذاكرا : «**ضمن هذا التنوع جاءت الدراسات الصورائية التي و إن كانت عملا أكاديميا خالصا إلا أنها كانت تحمل شيئا من النضالية إلى جانب التجريب في مناهج غير شائعة بالمرة في عموم الدراسات العربية المقارنة.**»[1]

[1]- بومدين جيلالي . اهتمامات الأدب المقارن في الجزائر. مجلة التبيين . ع 29..2008 . ص 19

و نستخلص ،إذن، من خلال استعراض جهود المقارنين المغاربة في حقل الصورلوجيا، أن ازدهار هذا الحقل في الدراسات الأكاديمية جاء نتيجة يقظة وطنية عارمة رافقت التطورات التاريخية التي عرفتها منطقة المغرب العربي في فترة ما قبل الاستعمار و بعده، مثلما جاءت، أيضا، بفضل المكونات الثقافية للمقارنين المغاربة المتأثرين بالمدرسة الفرنسية للأدب المقارن، التي أرسى روادها دعائم هذا الحقل، وازدهرت دراساته بها.

وفيما يلي نقدم دراستين تطبيقيتين حول نموذجين من الدراسات الصورائية، الأولى للمغربي "عبد النبي ذاكر" حول " **المغرب وأوربا نظرات متقاطعة** " ، وهي دراسة صادرة سنة2006، والثانية للجزائري بلميلود عثمان حول " **صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي**"، وهي أطروحة دكتوراه، نوقشت بجامعة وهران سنة 2008، من إشراف الأستاذ شريفي عبد الواحد.

VI -النموذج التطبيقي الأول:

" المغرب وأوربا نظرات متقاطعة "

عبد النبي ذاكر

يحاول عبد النبي ذاكر أن يحدد صورة الإنسان العربي المسلم بصفة عامة والمغربي بصفة خاصة في عيون الغرب، من خلال رحلة طويلة بين ربوع الرحلة الأوربية والرحلة المغربية على حد سواء، محاولا تحليل و تحديد **« الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوربية إلى المغرب»**[1] . بمعنى البحث عن مدى واقعية أو خيالية تمثيلات المغرب في خطاب الرحلة الأوربية في فترات تاريخية مترامية من مراحل اتصال الأوربي بالمغرب.

يولي عبد النبي ذاكر عنايته، أيضا، إلى الكشف عن صورة الأوربي في الرحلة المغربية، وهدا يوضح أن دراسة الكاتب كانت تسير وفق اتجاهين متناظرين متقاطعين و متكاملين في آن واحد:

أحدهما : دراسة صورة المغربي – الأنا – لدى الرحالة الأوربيين – الآخر-

و ثانيهما : دراسة صورة الأوربي – الآخر – لدى الرحالة المغربيين – الأنا –

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق. ص 31

ناهيك عن العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر لأنه لا يقدم لنا صورة عن الأنا فقط، بل يقدم في مقابلها صورة عن ذاته أيضا، **«علما بأن الوعي الذي تحمله الشعوب عن شعوب أخرى ، لا ينفصل عن الوعي الذي تحمله عن نفسها. »** [1]

يتبين مما سبق، النظرة المتقدمة التي يقارب بها الباحث دراسة هذا الموضوع، والتي تعتمد على توأمة صورتين متناقضتين – صورة الأنا في إبداع الآخر،و صورة الآخر في إبداع الأنا– في مبحث واحد ودراسة واحدة، قصد توسيع أفق المقارنة، وذلك من خلال الجمع بين الصورة و نقيضها و عقد مقارنة فعلية بينهما من جهة، و من جهة أخرى التعليق على دراسات الصورة أحادية الاتجاه التي قيدت حقل الصورة ردها من الزمن .

و يمكن أن نبدي بعض الملاحظات حول هذا الكتاب في اتجاهين : الاتجاه الأول يتعلق بالمنهج الذي اتبعه الكاتب في هدا البحث، أما الاتجاه الثاني فيتعلق بالمضمون.

❖ **الاتجاه الأول** : يتعلق بالملاحظات التحليلية والنقدية الخاصة بالمنهج الذي اتبعه الكاتب في البحث، ومن أهمها :

1 - لم يكتف ذاكر بعرض صورة الشخصية المغربية في الرحلة الأوربية وحسب، و إنما تعدى ذلك ليقدم بالمقابل صورة الأوربي في مختلف الرحلات المغربية التي حفظتها يد التاريخ، على قلتها مقارنة بالرحلات الأوربية، ولم يكتف بالخطاب

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق.ص 32

المكتوب فحسب، بل تجاوزه إلى الخطاب المرئي كذلك، ونقصد هنا "الصورة المرسومة أي "اللوحات" التي استعان بها الأوربي في إستراتيجيته لتعزيز المتخيل وتحويله إلى واقعي – كما سنرى ذلك لاحقا في تحليلنا للمضمون-، لما للصورة «**من أثر فوري مباشر على المتلقي، فقد تمّ اللجوء إليها قديما وحديثا، لكي تتساوق مضمونيا مع خطاب الرحلة، فكثيرا ما وضعت تلك الصورة و الرسومات على غلاف الرحلة، حتى تلعب أكثر الأدوار لفتا للانتباه.** »[1]

وقد بلغ عدد هذه الرسومات التي جمعها عبد النبي ذاكر 118 لوحة، منها ما هو معروض في مختلف المتاحف العالمية، ومنها ما هو موجود على أغلفة الرحلات الأوربية وكتب المستشرقين، ومنها ما هو مبثوث بين طياتها.

وبالمقابل لا نعثر على أي رسم أو لوحة مخصص للوجه الثاني من المقارنة – ألا وهو صورة المغرب في الرحلة الأوربية – ويعود هذا الغياب للاختلاف الموجود بين طبيعة الرحلتين الأوربية والمغربية، وأهدافهما، لذلك لا نأخذ على الكاتب في هذا الصدد تركيزه على الرحلات أكثر من اللوحات، فهو لم يكن يعود إليها إلا لماما لتعزيز فكرة من الأفكار أو توضيحها .

2 - توظيف بعض المصطلحات الاستعمارية التي ألحقت بالإنسان العربي منذ أن امتدت يد الغزو الاستعماري إليه، و تطبيقها في معالجة صورة الشخصية المغربية في الرحلة الأوربية، فنجد على سبيل المثال – لا الحصر – يصفه بالبربرية،إذ « **يتفق الأوربيون جميعا أن البربرية تعني : ضعف الحضارة، التوحش،**

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق. ص 100

الافتقار إلى الثقافة، الخشونة، الوقاحة، اللاّتمدن، اللاّإنسانية، القسوة، الجهل، العنف، قلة الذوق ...» [1]، على الرغم مما في ذلك من مغالطات وتشويه للوقائع التاريخية و الحضارية للإنسان العربي، وبالمقابل يستعمل العربي لفظة "العجم" تعبيرا عن الإنسان الأوربي، وتعني كل من ليس عربيا،« **من شأن هذه المفردة أن وحدت صورة أوربا في عين المغربي، باعتبارها بلاد العجم، و بلاد النصارى، والكفر و الإلحاد. فالأوربي بغض النظر عن كونه إنجليزيا، أو نمساويا أو إيطاليا...هو ذلك "المسيحي"، "الكافر"، " الرومي"، " النصراني"، " العلج"، "الإفرنجي"،" العدو"»**[2]

3 - اختار الباحث "الرحلة" دونا عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى مدونة للموضوع، كما إختار الرحلة الأوربية بوجه خاص متنا بيبليوغرافيا، تطبيقيا لتقفي صورة المغربي في نشأتها،و ثباتها،وتحولاتها معتمدا على الرحلة الفرنسية والرحلة الإنجليزية، والرحلة البولونية، والرحلة الألمانية، والبرتغالية و الهولندية الايطالية والاسبانية و الدنماركية، وغيرها...، مع التركيز عل الرحلة الإنجليزية والفرنسية بشكل لافت للنظر، و يبرر ذلك بقوله: «**مع تركيز هذه الدراسة على الرحلتين: الفرنسية و الإنجليزية، باعتبارهما الرصيد المهيمن على الرحلة الأوربية عموما».**[3] ويقصد بالهيمنة في هذا السياق« **تلك السلطة التي شكلت القناة التي لا تعبأ بالحدود الجغرافية»**[4]، و إنما يحكمها مبدأ التجانس والاقتباس، نظرا للعلاقة التاريخية

[1] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق.ص 92
[2] - نفسه . ص 92
[3] - نفسه . ص 70
[4] - نفسه. ص 70

والجغرافية بين هذه البلدان والتي رفعت درجة التأثير و التأثر بينهم، وبالتالي تكرار نفس الصورة عن بلاد المغرب من جيل إلى جيل ومن عصر إلى آخر، و هذا ما يطلق عليه عبد النبي ذاكر تسمية " إستراتيجية الشاهد" [1] ، إضافة إلى حركة ترجمة الرحلات التي لاقت رواجا غير معهود.

وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن سبب هذا الاختيار للرحلة الأوربية دونا عن الرحلات الإستشراقية الأخرى:

لطالما كانت الرحلة الأوربية مصدرا مغذيا لتشكل الصورة في وعي الآخر، لأنها الأساس الذي تمتاح منه الأفكار و الذهنيات، و النافذة التي تتسرب منها عبر وسائط مختلفة إلى المتخيل الأدبي بمختلف أشكاله، رواية، قصة، شعرا، مسرحا، ... لذلك لا بد لدارس في حقل الصورة من العودة إلى أصولها باحثا عن القاعدة المؤسسة لها و المتمثلة في " الرحلة".

وقد كان وراء اختيار الرحلة الأوربية بالذات دافعا منهجيا يعود إلى كون الدور الكبير للرحلة الأوربية في تمثيل صورة المغرب و المغربي في الذهنية الأوربية **«فالمغرب قد تسرب إلى الوعي الأوربي عن طريق " الرحلة "، لذلك كان لزاما للبحث عن أصول صورة المغربي في وعي الآخر، من الرجوع إلى تلك الرحلات التي استهدفت المغرب .»** [2]

[1] -ينظر عبد النبي ذاكر . المرجع السابق .ص 69 و ما بعدها
[2] - نفسه . ص

ونظرا لغزارة الرحلات الأوربية التي شكلت نواة الدراسة وأساسها،والتي يفوق عددها 201 رحلة، دعتنا الضرورة المنهجية إلى إدراج ملحق بيبليوغرافي يشمل أهم الرحلات الأوربية إلى المغرب في نهاية الرسالة.

-وكان وراء اختيار الرحلة المغربية دافعان اثنان، أولهما ذاتي والثاني منهجي،

أما الذاتي فيتمثل في رغبة الباحث في إماطة اللثام عن تلك الثروة الموسوعية الهائلة من الرحلات المغربية التي لفها الغبار، في رفوف المكتبات، و الخزائن، المتمثلة في تلك المخطوطات النادرة التي أغمطت حقها، و عانت من التنكر لريادتها، على الرغم من أهميتها التاريخية و الحضارية البالغتين، والتي من شأنها أن تحدث تحولا بالغا في الصراع الحضاري في أدب الرحلة إن هي أوليت حقها من الرعاية والاهتمام والالتفات، ومن أهم الرحلات المغربية التي اعتمدها الباحث في هذه الدراسة نذكر:

1. رحلة"محمد عبد الوهاب العساني"
2. رحلة "بن عثمان المكناسي"
3. رحلة الصفار التطواني
4. رحلة" محمد الطاهب بنغبدالرحمن الفاسي"
5. رحلة"الحسن بن محمد الغسال"

وبعد أن وقفنا على بعض هذه الملاحظات المنهجية الخاصة بالمنهج المتبع فماذا عن المنهجية المتبعة من قبل الدارس في دراسة صورة المغربي ؟

❖ الأتجاه الثاني : " المنهج"

إن المنهج الذي اعتمده الباحث في تتبع مراحل تطور الصورة و البحث عن درجة الصواب و الخطأ في الصورة الغيرية، هو تفكيك هذه الصورة إلى عناصرها الأساسية المكونة لها بمعنى البحث عن البنى التركيبية المشكلة للبنية العامة لصورة المغربي في الذاكرة الغيرية و الأوربية على وجه التحديد، مثلما نسجتها العوامل الخارجية السياسية و الاجتماعية، و لاسيما النفسية الثقافية، لأن الصورة ما هي إلا ثمرة تفاعل علاقات الشعوب فيما بينها .

ومن ثمّ، اعتمد الكاتب على أربع مستويات هي :

1 -الموازنة بين الرحلات الأوربية :

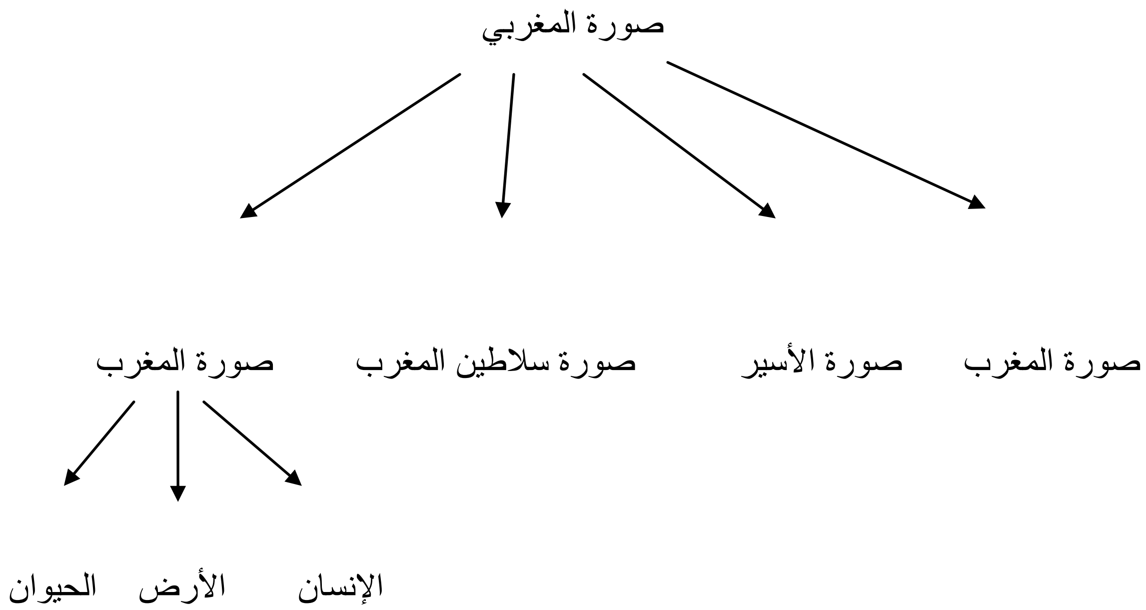
موازنة صورة المغربي بين البلدان الأوربية المختلفة، بمعنى صورة المغربي بين الرحلة الفرنسية و الإنجليزية مثلا،وهي صورة متكررة انسحبت على جل الرحلات الأوربية ردها من الزمن.

2 -المقارنة الدياكرونية للصورة : بمعنى تقصي صورة المغربي ومختلف الأفكار المكونة لها بحثا عن دينامية هذه الصورة في ثباتها و تلاحقها عبر حقب زمنية مختلفة – بدايتها –ثباتها – تحولاتها –

3 -موازنة صورة "الأنا" وصورة "الآخر"، في خضم تضاريس خطاب الرحلة الأوربية والرحلة المغربية في آن واحد.

4 ـ البحث عن صورة الأوربي في الرحلة المغربية في مقابل صورة المغربي في الرحلة الأوربية، و هي نظرة شمولية متقاطعة تسمح بالإحاطة بالموضوع وبالإجابة عن السؤال الوجودي الجدلي : كيف أرى الآخر ؟ و كيف يراني ؟

ونستطيع تلخيص المكونات الأساسية لصورة المغربي في الرحلة الأوربية في المخطط الموالي:



1 – صورة الأسير :

استهل الكاتب دراسته التطبيقية بإبراز صورة الأسير الأوربي في السجون المغربية، ووضعيته المزرية، مثلما عبّر عنها الخيال الأوربي من خلال شهادات الرحالة الأوربيين و رسائل الأسرى،و كذا الرسومات التي كان لها دور لا يستهان به في تثبيت هذه الصورة و ترسيخها قرونا من الزمن، مثلما سنرى ذلك لاحقا .

كما أولى الباحث أهمية بارزة لهذه الصورة – صورة الأسير الأوربي – لما لها من علاقة وطيدة مع باقي مكونات عناصر الصورة الأخرى – صورة السلاطين، صورة السفراء، صورة الحيوان ...- بل خصص لها فصلا استفتاحيا في الدراسة، الأمر الذي يوحي بتداخل هذه التيمات و تقاطعها، و ما الفصل بينها إلا لضرورة منهجية إجرائية تمليها منهجية البحث في حقل الصورائية .

اقترنت صورة الأسير الأوربي في الأسر المغربي اقترانا وثيقا بالرحلة الأوربية، وامتاحت من المخيال الأوربي الذي غذّاها، و تفنن في تمثيلها وتصويرها على مر العصور. إنها صورة ملازمة للرحلة الأوربية،و هي على تنوعها و تشعبها صورة واحدة متكررة لا تتغير، و لا تخرج عن نطاق "القسوة" و"العبودية" و"الاسترقاق" و"المهانة "و" الجوع"و" التعذيب" و"التنكيل" و"الهمجية" التي يتعرض لها الأسير الأوربي في السجون المغربية على يد المغاربة .

إنها صورة سلبية، تنسحب على كل الرحلات الأوربية، و الهدف منها هو تشويه صورة المغربي رئيسا و مرؤوسا، و محاولة توجيه الرأي الأوربي في تشكيل صورة المغرب وفق ما يخدم أطماعه الاستعمارية و تبريرها.

ويورد الباحث أمثلة كثيرة من رسائل الأسرى الأوربيين إلى ذويهم ورفقائهم، واصفين فيها وضعيتهم المزرية بالأسر المغربي، محاولا اكتشاف مواطن "الواقعي" و"المتخيّل" في هذه الصورة. وهذا ما جاء في خطاب أحد الأسرى الإنجليز، ويدعى "روبرت أدامز" Robert Adams أرسله إلى والديه بتاريخ 4نوفمبر 1625م :

« يجب أن تعلما، من فضلكما، أنني هنا بسلا في أسوأ عبودية، بين أيدي أقسى مستبدين (...) إن سيدي يكرهني على العمل من الصباح إلى الليل كالحصان، والأصفاد في رجلي. و كل قطعة منها تزن 36 رطلا. و أتغذى بكسرة خبز و ماء فقط. و مسكني هي المطمورة تحت الأرض، حيث ينام جميعا 150 إلى 200 شخص. فلا يدخل إلينا النور سوى من ثقب صغير. إنني ممتلئ بالقمل، لأن سيدي لا يمنح لي الوقت للاعتناء بنفسي، إلى حد أن القمل أكلني تقريبا. و كل يوم أُضرب لكي أسلم، أو آتي بالفدية.»[1]

و بالموازاة لم يغفل الباحث دراسة صورة الأسرى المغاربة في الرحلة الأوربية التي كانت أكثر واقعية من الرحلة الأوربية التي تجنح نحو المتخيل لتشويه صورة المغربي وترسيخها، ما عدا بعض الشهادات الموضوعية القليلة التي توصل إليها

[1] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص 96

البحث من خلال الكشف عن عينات من الأسرى حظيو بمعاملات طيبة، وشغلوا مناصب مقربة من الحاكم، و هي قليلة في الرحلة الأوربية.

2 صورة السلاطين :

قدمت لنا صورة الأسير، رؤية تمهيدية عن صورة السلطان المغربي، في الرحلة الأوربية، كما قدمت لنا أيضا قوة دفع موضوعاتية عن هذا الحاكم بوصفه الآسر الذي لا يتوانى عن ممارسة كل ألوان التنكيل و التعذيب على السجناء. إنها صورة مغرقة في السلبية، إلى درجة اعتبار أن السلاطين المغاربة لا ينفعون للحكم.

تناولت الدراسة الشجرة الحاكمة في بلاد المغرب، و شملت الحكام الآتية أسماؤهم :

1 - المولى أحمد الوطاسي (مستبد – قاس – خليع – نزوي – ممقوت ..)
2 - المولى أحمد (وحشية – قساوة)
3 - المولى أحمد الذهبي (الاستبداد- الظلم- القسوة)
4 - المولى إسماعيل (العنف اللذة – السادية)
5 - السلطان محمد بن عبد الله (الرقة – الإنسانية – الأدب – حسن السلوك /العنف – التسلط – الاستبداد- القسوة – اللذة)
6 - المولى سليمان : الطيبة / القسوة

7 - المولى محمد 5

يشترك جميع السلاطين المغاربة في خاصيتين هما : سلطة اللذة و سلطة القسوة، وهذا ما عززته صورة الأسير الذي عانى من ويلات هؤلاء الحكام قسوة وعنفا وتنكيلا. إنها صورة ثابتة لا تتغير، و استمرارية الصورة هذه استراتيجية خاضعة لخلفية إيديولوجية أوربية، عملت على ترسيخها، فما يجمعها هو القسوة و شبح الموت، أما أوصاف الطيبة و الإنسانية و الرحمة التي نلمسها لدى بعض السلاطين، فهي تأتي دائما مقترنة بتغيير الظروف، لتعود صفات النفور لتطفوا في الأخير.

و قد تفننت الرحلة الأوربية في تصوير السلاطين المغاربة في أسوأ الصور، ونورد هنا وصف تعامل "المولى إسماعيل" مع الأسرى، مثلما ورد في خطاب الرحلة الأوربية :

« فكم طعن من أسير مسيحي بحربته ! أو قتله بطلقة بندقيته ! و كم قدم إلى الأسود لتلتهمه! و كم أحرق من حي بإلقائه في فرن الجير ! وليس هناك أي نوع من أنواع القساوة لم يبتدعه عقله الشيطاني، و لم تمارسه يده الدامية على هؤلاء المسيحيين المساكين، لا لأنهم جلبوا على أنفسهم ذلك بسبب خطأ ارتكبوه، ولكن فقط إرضاء لمزاجه الشرس.»[1]

و نستطيع القول في الأخير إن صورة السلطان المغربي تستجيب لميت Mytheالقسوة كما نلمسه في صورة الأسير .

و بالمقابل يوجه الباحث عنايته إلى دراسة صورة السلطان الأوربي في الرحلة المغربية، و عندها تتغير النظرة و تتحول من الخيال إلى الواقعية .

[1] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص 118/117

إنها صورة متغيرة حسب المتغيرات التاريخية، فقد كانت في البدء صورة سلبية، انطلاقا من خلفية تاريخية، بعد توجه كارلوس II الفرنسي إلى الجزائر بحرا سنة 1189، وقد كان السلطان الأوربي آنذاك يعد كافرا عدو الله. ونورد هنا وصف الرحالة "ابن عثمان" في كتابه "البدر السافر" لحكام مالطة بكونهم « **أباليس بما جُبلوا عليه من الخدع م الحيل و التلبيس و(...) لقطاء من مردة الشياطين على إذاية المسلمين»** [1] ، ثمّ تتحول النظرة شيئا فشيئا إلى نظرة مشوبة بالتحقير و التعظيم في القرن 19، أين نسجل مظاهر الإعجاب بتطور السلطة الأوربية، وبمؤسسات الحكم وسياستها التي تضمن أمن المواطنين ومصالحهم .« **وقد وصف الحسن محمد بن الغسال بدوره هذه المؤسسة الحكومية، التي تضمن العدالة الاجتماعية، بإسهاب مسميا إياها بـ"المجلس الاجتماعي الرسمي". ولعل تسميته للبرلمان بالمجلس الاجتماعي، تنمُّ عن إدراك عميق لطبيعة هذه المؤسسة الديمقراطية الاجتماعية، التي تسهر" على مصالح الرعية. يعني يحضر بها نائب عن كل إيّالة أو عمالة، وكيلا عنها في جميع مصالحها، ودفع مضارها. و بعد ذلك وصف الغسال سير الأعمال بدار مجلس نواب الأمة، التي تضم فرقتين : فرقة في جانب المخزن، و فرقة تسمى بحزب الأحرار، ثم رئيس المجلس المتميز بقلنسوته البيضاء. و في كل قضية تُعرض أمام المجلس يحضر الوزير الذي يعنيه الأمر، فإن كانت من قبيل أشغال الداخلية فيحضر وزيرها، و إن كانت من قبيل أشغال الخارجية، فيحضر وزيرها أيضا»**[2] .

وانطلاقا مما تقدّم يمكننا أن نقف على مظاهر اختلاف صورة الحاكم- السلطان- في الرحلتين الأوربية و المغربية، ففي الوقت الذي أصرّت فيه الرحلة الأوربية على قساوة الحاكم المغربي و شراسته، واستبداده، خدمة لموقف السلطة الأوربية، و ربح الرأي العام العالمي، عرفت الرحلة المغربية تحولا و انفراجا على مر التاريخ.

[1] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق. ص 123
[2] – نفسه . ص 124

ومن هنا يستنتج الباحث « **أن صفتي الطغيان و الكفر اللتين أسندتا إلى السلاطين الأوربيين، لم تكونا نابعتين من تسلطهم و استبدادهم، بل كانتا نابعتين فقط من ضرورة إيجاد صفات تحدد الكلام عن السلطان غير المسلم، في ظروف مشحونة بالصراع حول الأسرى، وحيث انتهى الصراع في القرن 19، اختفت اللفظتان أو كادتا من الرحلة المغربية** »[1].

و نخلص في النهاية إلى استنتاجين هما :

1 - الرحلة الأوربية : الخيال اللاواقعي – المنعطف الأمبريالي

2 - الرحلة المغربية : الواقعية – المنعطف الإنساني

لقد خصص الباحث الفصل الثالث لدراسة صورة الأسير و الفصل الرابع لدراسة صورة السلاطين، هتان الصورتان احتلتا حصّة الأسد من الدراسة و التحليل، وجاءت صورة المغرب :الإنسان – الأرض – الحيوان، موزعة في فصل واحد على عشر وحدات ميثية Mythiqueهي على التوالي :

1 - <u>الخصائص السلوكية :</u>

1-1 - <u>ميت المغربي الخامل</u>: تصور الرحلة الأوربية المغربي بأنه إنسان خامل و كسول ، يكره العمل و المشي والوقوف، و لا يحب إلا النوم، و الاستلقاء أو جلوس القرفصاء بالساعات أمام بيته، و هذا وصف الرحالة الايطالي "إدموند

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص 124

أميتشي" للمغربي قائلا : « **إن من لم ير العربي لا يمكن أن يتخيل: أية درجة يرتفع عنده الاستلقاء. ففي الزوايا التي نضع فيها كيس الخرق البالية، وحزمة التبن، يجدون وسيلة للانتشار، كما لو أنهم فوق سرير من الريش. إنهم يتقولبون فوقر كل إفريز، و يتسربون إلى كل كهف، و يلتصقون بالجدران كالنقوش، و يتمددون و ينبطحون على التراب، كما لو أنهم مجرد برانس بيضاء منشورة لتجف. إنهم يتقرفصون و يأخذون شكل كرات و مكعبات، أو وحوش بدون أيد أو سيقان أو رؤوس، إلى حد أن الأزقة و ساحات المدينة تبدو مغطاة بالجثث و الجذوع البشرية، مثلما هو الشأن بعد حصول مذبحة »**[1]

1 2 **<u>ميت المغربي البخيل :</u>** تصف الرحلة الوربية المغربي بالبخل و الشح ، بل أن «**البخل و القدر يشكلان قاعدة المغاربة** »[2] . و في الوقت نفسه تصفه بالكرم وحسن الضيافة، إلا أن «**كرمه بدائي و طفولي، بمعنى أنه صادر عن مصلحة أو توجس**»[3]

1 3 - **<u>ميت البدائية و التخلف</u>:** يوصف المغربي في الرحلة الأوربية بالبدائية والتخلف والبربرية، فهو يتغذى بالأعشاب واللحم النيئ،لا يعرف الطبخ، ويفترش حصيرا من سعف النخيل.

2 - <u>الخصائص العقلية و العقدية :</u>

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق. ص 130
[2] – نفسه. 134
[3] – نفسه. 135

2 -1 - **ميت العقلية الخرافية** : تجسيدا للعقلية الساذجة للمغاربة ألحقت بهم ميت الإيهام بالخرافات، و التطير، و الثقة بالسحر والتمائم و الشعوذة.

2 -2 - **الميت العيساوي :** و المقصود به الطائفة العيساوية (الطريقة العيساوية أو الموسم العيساوي)، و هو احتفال يصفه الأوربي بأنه احتفال جنوني، أو نوع من الخبل، و نسب إلى هؤلاء كل مشاهد الوحشية المفزعة، مثل أكل الحيوانات نيئة وتمزيقها بأيديهم إربا إرابا، و أكلها.

و هنا تحولت "الجذبة" لديهم إلى "هستيريا"، و أفرغت من كل دلالاتها السوسيوثقافية، لإبراز دونية المسلم و تخلفه، في مقابل تعالي الأوربي المسيحي وتقدمه.

2 -3 - ميت الولي المقدس: استعمل الأوربيون هذه التيمة مجالا خصبا للطعن في قداسة الأولياء، وإلحاق بهم كل صفات الحمق والجنون والشذوذ والنفاق، فهم أغبياء مقدسون، و يلمحون إلى أن القناع الديني يخفي وراءه الكثير من النفاق .

3 – ميت المعتقد الفاسد: كان المغرب مسرحا للعديد من المبشرين قصد تمسيحه، لذلك استغل هذا الميت للكشف عن زيف دين محمد، وحقيقة الدين المسيحي.

4 – الخصائص السيكولوجية :

4 -1 - **ميت الغيرة المفرطة:** لاسيما الغيرة على الزوجة، إذ كان المغربي شديد الغيرة على زوجته، وما "اللثام" الذي تضعه المرأة على وجهها إلا دليلا على

"الغيرة". كما كان المغربي يفضل الموت على أن يُخان، أو أن تنكشف زوجته على الطبيب بعكس الرحلة المغربية التي تصف الأوربي بقلة الغيرة على المحارم.

4 2 – <u>ميت الشبقية و لدّة القاعدة:</u> المغربي نزّاع بطبعه إلى الملذات البدائية، وفي علاقته الزوجية هو أسير الشهوة العنيفة، لا يعرف الحب الحقيقي و لا الجانب الروحي منه «**و يرى شارل ديديي أن المغاربة يجهلون المتعة الذهنية، ويحيون غائصين في أوحال الشهوات العنيفة**» [1]. أما لذة القاعدة فهي لدّة تكرار الأسلوب المعتاد. فالمغربي لا ينوع في شيء، وهو يرضخ للتكرار والرتابة حتى في علاقته الزوجية.

4 3 -<u>ميت الكذب و الخداع:</u> من العيوب التي ألحقت بالمغاربة، أنهم قوم لا يصدقون ما يعدون به، و سرعان ما ينقلبون ليس على الأجانب فقط، بل على بعضهم بعضا أيضا، من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية، بل إنهم لشدة خداعهم و خيانتهم جنس من الأفاعي و الثعالب .

1 - <u>صورة المرأة :</u>

امرأة مخلوقة لإشباع الرغبات فقط، و علاقتها بزوجها تشبه علاقة الرئيس لخادمته، فهي دون عقل ودون تربية تجيد المكر والخداع،وهي مجرد موضوع للشهوة والأكل والنوم و الثرثرة. أما بالنسبة للحجاب فيصفه الأوربي بالإزار الأبيض الذي عندما ترتديه المرأة لا يظهر منها إلا عين واحدة، و قلما يظهر الوجه أيضا،

[1] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص163

فتتحول المرأة إلى أشباح متنقلة، « **فلم ير أبناء الاستعمار –فرنسيين وغيرهم- في النساء المغربيات غير"دمى محشوة" أو"رزم بيضاء" أو" أكياس حية" أو"أطياف" أو "أشباح" أو"أكفان" أو " حزمة من الملابس الصوفية" أو "شيء لا شكل له"**»[1]، بينما تمنح الرحلة المغربية، المرأة الأوربية حقها، وتصفها بالإنسانة العملية التي تتساوى مع الرجل، وتمارس التجارة والسياسة.

2 - **ميث فصل البربري** : " تمييز البربري عن المغربي"

كان الأوربي يفرق بين البربر والعرب، و يلحق بالبربر أسوأ معاني البربرية، غير أن البربر جزء من العرب، و يشكلون أمة واحدة، وما محاولة الفصل بينهما والتميز بينهما إلا محاولة لتفكيك الكيان الداخلي للمغاربة.

3 - **ميث اليهودي المغربي المقهور** :

لأن العرب يكرهون اليهود، و يعتبرونهم أسوأ البشر، فإنه لا يوجد أهم من اليهود في بلاد البربر، و قد حاول أرتورليد تجميع قائمة عن المحذورات لليهودي في بلاد البربر وهي كالآتي :«

- **عدم لبس العمائم**
- **الانتعال ببدلة سوداء لا ببدلة صفراء**
- **المشي حفاة خارج الملاح**

[1] – عبد النبي ذاكر . المرجع السابق. ص 169

- **إذا مرّ يهودي بمسلم يجب أن ينحاز إلى اليسار**
- **لا يجوز لليهودي أن يمر راكبا في المدينة**
- **لا يجوز لليهودي حمل السلاح**
- **لا يجوز له أن يغشى الحمامات**
- **يجب أن يمارس شعائره الدينية في منزله»[1]**

4 -**صورة الطفل المغربي** : تنسحب صورة المغربي في الرحلة الأوربية على الطفل المغربي أيضا، فهي صورة ثابتة، تتسم بالشراسة والجهل وقلة التأدب والتسول والفضول والإزعاج و غيرها،على عكس الطفل الأوربي في الرحلة المغربية التي كانت أكثر واقعية وموضوعية، تصف الطفل الأوربي بالأدب والفطنة والذكاء.

5 - **صورة الطقوس الاحتفالية المغربية**: والمقصود بها الرقص و الموسيقى، وطبعا كان رقصهم نوع من التوحش و الأوضاع القبيحة، موسيقى فوضوية، مستهجنة، لا جمال فيها، مطبوعة بالتكرار و الرتابة .

6 - ميت استنساخ المأكول و انساخ الأكل : يملك المغربي طابعا تكراريا في كل شيء، فهو لا ينوع في الطعام،و لا يعرف من الطعام إلا الكسكس، و هو بدائي وغير متحضر في طريقة أكله حيث أنه يأكل الكسكس بيده دون غسلهما، و يلطخ ثيابه عند الأكل عكس الأوربي الذي يعنى بالنظافة، و ترتيب الطعام و تلوين المأكولات.

---

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق .ص 177

7 -صورة المدينة المغربية في وعي الرحالة الأوربيين:

وهي صورة متغيرة ومتنوعة تنوع تضاريس المغرب ومدنها:

مراكش: مدينة اللذة و القسوة : حيث كانت تحتفظ بطابع الدم و القسوة ، لأن الإعدامات القاسية كانت تعرض في "جامع الفنا"، و اللذة بحشود البهلوانيين والحكواتيين والمهرجين، كانت تسمى المدينة المولودة.

سلا : مدينة السطو والقرصنة، ورمز للسلب و النهب، و وكر القراصنة و قطاع المسالك البحرية .

مكناس: هي باختصار "فرساي" المغرب.

8 -**الأرض وميت الخصب** : تعد المغرب جنة الله على الأرض ،إنها الأرض المعطاء التي تطرح تفاحا ذهبيا و عناقيد بطول الذراع . إنها تعطي بلا حساب حتى من دون أن يزرعها أهلها الكسالى.

9 -**ميت الأسد الطيب:** الأسود المغربية طيعة و حنونة، لا تلحق الأذى لا بالإنسان ولا بالحيوان، وهي أحسن حظا من الإنسان . فقد ألحقت صفة الأنسنة بالحيوان وصفة الحيونة بالإنسان.

وفي نهاية الدراسة التحليلية المقارنة لكل عناصر الصورة المكونة لصورة المغربي في الرحلة الأوربية يؤكد الباحث في النهاية على أن هذه العناصر هي

عناصر متداخلة و متفاعلة بعضها بعضا، وأن هذا النوع من التشريح ما هو إلا ممارسة منهجية تسمح في النهاية من لمّ شتات الصورة وبلوغ مقصديتها.

الاستنتاجات العامة :

1 - يقدم كتاب **"المغرب وأوربا –نظرات متقاطعة"** صورة ذات بعدين ثقافيين وحضاريين :

الأولى : صورة المغربي في الرحلة الأوربية

الثانية: صورة الأوربي في الرحلة المغربية

إنها نظرة مزدوجة، تكاملية تسعى إلى الإحاطة بالعلاقة بين المغربي والأوربي من خلال ثنائية المقارنة بين الأنا والآخر – نظرات متقاطة-

غير أننا نرى أن الشق الأول من الدراسة – دراسة صورة المغربي في الرحلة الأوربية – كان مركز الدراسة ونواتها، إذ حاز على حصة الأسد من الدراسة والتحليل، أما صورة الأوربي في الرحلة المغربية فقد جاءت لخدمة صورة المغربي واستكمالها من جهة، انطلاقا من قاعدة " الشيء بنقيضه يعرف "، ومن جهة أخرى، جاء إجراء منهجيا من أجل توأمة الصورة، وخلق ثنائية المقارنة المطلوبة في الأدب المقارن .

2 - إن هذا البحث من شأنه أن يساهم في عدد هائل من الأعمال التي لا تتوفر لها المراجع اللازمة، و التي يتواجد بعضها على شكل مخطوطات نادرة صعبة المنال.

ويعد فهرس المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي استعملها الباحث دليلا واضحا على المثابرة الطويلة في تقصي كل أثر للموضوع، وجهدا رائعا في فحص هذا العدد الهائل من الأعمال، واستخلاص المعلومات المهمة، و ترتيبها، لذلك نقول أن مثل هذا البحث، وأبحاث كثيرة على شاكلته ذات طابع خاص، وتمثل جهدا تنسيقيا وتلخيصيا رائعا يلخص بدهاء وجهة نظر تاريخية.

3 - و في خاتمة الدراسة يشير عبد النبي ذاكر إلى قضية جد هامة، من شأنها أن تنير أكثر مسار البحث و تعزز نتائجه، ألا و هي ثنائية البات و المتلقي، ودورها في تشكيل الصورة، من خلال عنصرين مهمين هما :

أ - البات منتجا للصور

ب - المتلقي منتجا ومستهلك للصور

وينطلق ذاكر من البات بوصفه المسؤول الأول عن إنتاج الصورة وتشكيلها وتغذيتها. و يختلف هذا البات طبعا باختلاف الحقب الزمنية والظروف التاريخية التي تنتمي إليها الرحلة.

فالبات في الرحلة الأوربية كان، في البدء، محصورا في رجال الدين المكلفين بالرحلات التبشيرية إلى المغرب قصد تمسيحه، ومع ولوج القرن 17 و ازدهار العلاقات التجارية تغيرت هويته. و استقطبت الرحلة التجار والسفراء قصد افتكاك

الأسرى . « **ومنذ مطلع القرن 19 ،و النصف الأول من القرن 20 ، جاء بعض هؤلاء الرحالة كجندي أو غاز أو مكتشف أو جغرافي أو أديب أو صحفي أو سائح، فكانت كتاباتهم متباينة ، منها الرحلة الوثائقية ، ومنها الرسائل، و كراسات الطريق، والمقالات الصحفية إلخ...»**[1]

أما المتلقي، فهو الجمهور الذي يتوخاه البات أي المؤلف، أو القارئ الذي يتحول في لحظة من اللحظات إلى مؤلف بدوره . لأن المؤلف يضع في الحسبان ما تطلق عليه النظريات الحديثة اليوم " أفق الانتظار "، وبمعنى أن المؤلف يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المتلقي،و خلفيته الإيديولوجية، بهدف إنتاج خطاب يتوافق و أفق انتظاره. إنه بمثابة القارئ الضمني، المتموضع داخل النص، بهدف الوقوف عند خصوصيته اللغوية. وكذلك ما يكتنفه من أبعاد اجتماعية و تاريخية .[2]

و في الرحلة الأوربية يكشف المتلقي عن تواطئه السري مع البات (المرسل)، لأنه لا ينتظر منه إلا ما يشحذ خياله عن ذلك المغرب الأسطوري المتوحش المليء بالغرائبية « **لذلك كان رولان لوبيل على حق حين حمّل الجمهور مسؤولية الغرائبي، وخاصة فئات القراء الذين يمكن أن نطلق عليهم اسم السياح أيضا، لأنهم لا يلتفتون**

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق . ص 205
[2] - لمزيد من المعلومات ينظر عبد النبي ذاكر . المرجع نفسه . ص205 وما بعدها.

إلا إلى الديكور الشرقي، وإلى كل ما هو غريب. إن مثل هذا الجمهور يريد أن يقدم له البلد الأجنبي طبقا لما يحمله عنه من أفكار . »[1]

بينما جاءت الرحلة المغربية في شكل تقارير سفارية موجهة إلى السلطان، لا تحتمل الخداع ولا الكذب، خاضعة لعقلية محافظة و هذا ما يميزها عن الرحلة الأوربية وجنوحها إلى الواقعي أكثر من الخيال .

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق .ص 208

VII -النموذج التطبيقي الثاني:

صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي

من 1830–1930

بلميلود عثمان

يحقق موضوع أولاد نايل في الأدب الفرنسي من 1830 إلى 1930 ، كل شروط الدرس الأكاديمي، وهو دراسة تنتمي إلى حقل الصورائية، قائمة على دراسة صورة عرش أولاد نايل في المخيال الفرنسي، كما تمثلته أقلام الأدباء والكتاب من خلال أعمالهم الإبداعية و استكشافاتهم العسكرية والعلمية ورسائلهم الشخصية وغيرها...

ويتمثل الهدف من هذه الدراسة في استجلاء و تحديد الواقعي والمتخيل في صورة أولاد نايل لدى هؤلاء الفرنسيين الذين عنوا بهذه المنطقة التي ألهمت الأقلام الأجنبية عناية خاصة و متميزة.

و إذا كان الأدب الفرنسي ، هنا ، هو المدونة المعتمدة في هذه الدراسة، فإن موضوع هذا الحقل هو صورة " أولاد نايل " كبنية صغرى، تندرج ضمن بنية أكبر هي "الجزائري " الذي يعد النايلي فردا منه.

إلا أن تخصيص "عرش" أولاد نايل يعد اختيارا جيدا ودقيقا، يتسم بالمحورية التي تخدم أهداف البحث ونتائجه، و من ثمّ نرى أن اختيار الموضوع كان موفقا .

فقد شارك "عرش أولاد نايل"، الذي يتفرد بتقاليده و عاداته و أعرافه، وكذا بخصوصية مناخه و تضاريسه، في المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، شأنه شأن الشعب الجزائري كله، **« فقد شارك عرش أولاد نايل، مثل بني هلال، في الكفاح الوطني بالانخراط بعزم وثبات في صفوف المقاومة، حيث استنفذ في سبيلها طاقاته ومؤنه كلها إلى أن انتزعت منه قوانين العقار الاستعمارية أملاكه و أراضيه الجماعية، مما سلّط عليه المجاعات و الأوبئة التي اضطرته إلى النزوح إلى الأرياف هربا من الفقر المدقع .»**[1]

و عليه ـ تمتد الدراسة عبر فترة زمنية مترامية تغطي قرنا كاملا، من سنة 1830 إلى سنة 1930، و إن كنّا لا ندري ما السبب وراء هذا التحديد بالذات، علما بوجود أعمال أدبية أخرى عنيت بأولاد نايل وتنتمي إلى الفترة الزمنية ذاتها .

و تتكون مدونة البحث من عشر روايات فرنسية، يصفها الباحث بالأدب الاستعماري، **« لوقوعه في الفترة الاستعمارية، و لتعلقه بتيمة المستعمر، وما لازمها من تيمات شكلت كلها موضوعات خصبة للرواية والقصة و القصة القصيرة، وحتى الفن التشكيلي في ذلك الحيّز المكاني . »** [2]

---

[1] - بلميلود عثمان . صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي -من 1830-1930 .ص 556

[2] - نفسه . المقدمة

وقد حافظ الباحث على الترتيب الكرونولوجي للنماذج الأدبية لما له من أهمية قصوى في تمثل مدى دينامية الصورة وتطورها عبر الحقب الزمنية المختلفة، ونقدم الآن جدولا خاصا بالنماذج الاستعمارية المنتقاة مرتبة ترتيبا كرونولوجيا :

المؤلف	المؤلف
الجنرال أوجين دوماس EUGENE 1871Daumas -1802	Mœurs et coutumes de l'Algérie : tell-kabylie- sahara
Eugéne fromentin 1876-1820	Un été dans le sahara1857
Emile masqueray1894-1843	Souvenirs et visions d'Afriques
Guy de Maupassant1893-1850	Au soleil. La vie errante
Etienne dinet 1929-1861	Khadra, danceuse des Ouled-Nail
André gide 1951-1869	L'immoralliste
Isabelle Eberhardt 1877-1904	Portrait de l'Ouled Nail
Jérome/Jean Tharaud 1952-1877 1953-1874	La fete arabe
Marie Bugéja	Nos soeurs musulmanes
Louis Bertrand	La grenouilles de Bou saada

تعد الدراسة ذات اتجاه واحد يعكس صورة "الآخر" الأجنبي ، المتمثل في هذه الدراسة في " أولاد نايل " في المخيال الفرنسي ، الأوربي ، الاستعماري، غير

أن كشف " الأنا " عن " الآخر "، هو كشف عن صورة " الأنا " أيضا، وهو ما توصل إليه البحث. فدراسة " الآخر " هو دراسة للأنا الذي يمثل "المستعمر" القوي، المستبد و المتعطش للسلطة.

إن دراسة صورة أولاد نايل هي دراسة صورة هذا العرش كما أعادت إنتاجها ذهنية المستعمر عبر المخيلة الذاتية للمستوطنين، و الأدباء والصحفيين والجنود الذين تعاقبوا على هذه المنطقة، وعليه فإن ما يميز هذه النماذج هو أنها انعكاس للتجربة الذاتية التي يعاد إنتاجها من قبل الذهن أو الخيال، و **« لا ينبغي أن يفهم من هذا أن الصور عبارة عن مستنسخات أو أحكام تقييمية تحاك حول " الآخر" فقط، بل إنها تنسج كذلك حول " الأنا " بشكل مكوكي، ذلك أن الحديث عن " الآخر " يضمر في أعماقه خطابا عن الذات .»**[1]

وهذا يعني أن الأجنبي لا يرى صورة بلد ما كما هي ،و إنما كما يريد لها أن تكون، وهذا يعني أيضا أن هذه الصورة يغلب عليها الذاتية و العناصر العاطفية على حساب الموضوعية.

فالكاتب في هذه النماذج المنتقاة، سواء أكان ضابطا ساميا في الجيش الفرنسي، أو رساما أديبا متأثرا بالفن الاستشراقي، أو صحفيا، أو أستاذا باحثا ومستكشفا، أو

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق .ص 13

مجرد سائح) ، يشكل "الباث" أو " المرسل" الذي يجري في عروقه دم المستعمر الذي يرنو إلى تحقيق ذاته من خلال مشاريعه وأحلامه التي دفع الشعب الجزائري ثمنا غاليا من أجل تحقيقها.

و تتقاسم هذا الباث شخصيتان اثنتان هما :

1 - شخصية الباحث المستكشف، الذي تقوم مهمته على وصف تضاريس البلاد، و التنظيمات المجتمعية لسكانها، أو لإقامة أبحاث علمية ودراسات إثنوغرافية حول مختلف سكان البلاد، قبايل و عرب و ميزاب وطوارق وبدو، مركزين على استخلاص الفروق التي تميز البدو عن الحضر .

2 - شخصية الغرائبي الذي استهوته فضاءات الصحراء والقفار، وأبهرته المناظر الصحراوية بصفائها وسطوع ألوانها وشمسها، والسماء بزرقتها، وأنوارها فراح يرسم صور روائية متخيلة تعكس ميلا إلى الاستشراق ممزوجا بتراكمات مغلوطة منذ العصور القديمة تعكس نظرة سلبية من أثر الأحكام المسبقة والأفكار الجاهزة التي تصبغ مخياله.

وهذا ما يفسر أحادية الصورة وتكررها وتماثلها لدى كل كتاب النماذج المختارة باختلاف اهتماماتهم و مشاربهم، وهي النتيجة التي توصل إليها الباحث قائلا :«**وعلى ذاك النحو، أضحى وصفهم مألوفا بمؤثراته المتكررة و المتواردة**»[1]

تسير الدراسة وفق خطة منهجية موزعة على عشرة فصول، تضم أربعة محاور كبرى تشكل الأبواب المؤسسة للبحث و هي :

الباب الأول : مقاربات منهجية ونظرية

الفصل الأول: إشكالية الأدب المقارن

الفصل الثاني: مقاربة نظرية

الباب الثاني : صورة الصحراء و العربي في المخيال الغربي منذ القديم

الفصل الأول : صورة القفار في المخيال الغربي قبل ظهور الإسلام

الفصل الثاني : صورة الصحراء في المخيال الغربي بعد ظهور الإسلام

الفصل الثالث : 1830 – و احتلال الجزائر.

الباب الثالث : أولاد نايل

---

[1] ـ بلميلود عثمان . المرجع السابق . الخاالتمة

الفصل الأول : تأثير المخيالين الكتابي والاستعماري على تاريخ المغرب العربي

الفصل الثاني : أولاد نايل

الباب الرابع :

الفصل الأول : عرض الإشكالية والنماذج الاستعمارية المختارة

الفصل الثاني : السياق السياسي والاجتماعي للكتابة الاستعمارية

الفصل الثالث : أسطورة أولاد نايل في الكتابة الاستعمارية

ما يؤخذ على هذه الخطة، هو أنها ركزت على الجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي الذي يعد لب الدراسة و جوهرها ،فعلى امتداد أبواب ثلاثة بفصولها السبعة يغرق الباحث في سرد المعلومات التاريخية و النظرية التي منها ما يمكن استغلاله في الجانب التطبيقي، ومنها ما يعد حشوا في هذه الدراسة، يمكن الاستغناء عنه، لأن علاقته بالموضوع ضعيفة، و إن كان يمكن اختصاره في توطئة أو قراءة في الهامش.

فصورة القفار و الصحراء في المخيال الغربي قبل ظهور الإسلام، لا نجد لها ضرورة أو أهمية في دراسة صورة أولاد نايل، حتى و إن كان ذلك مهما بالنسبة لتتبع

نشأة الصورة المرسومة عند الغرب في الفترة المحددة بقبل ظهور الإسلام وتحولاتها، فهذا لا يخدم البحث كثيرا.

أما بالنسبة للنظرة التطورية في الكتاب المقدس حول العربي وحول الصحراء التي رصد لها الباحث فصلا كاملا، و إن كانت نظرة صحيحة، فما أهميتها ؟ وكيف استغلت؟ وهل سنجد لها صدى في مؤلفات الفرنسيين من سنة 1830 إلى 1930.

و يتكرر الأمر مع فصول أخرى، مثل فصل الدعارة و الزنا في المجتمعات القديمة الذي نراه حشوا، وكان بالإمكان استثمار معلوماته في الجانب التطبيقي عند الحديث عن تيمة الدعارة لدى أولاد نايل .

أما فصل أولاد نايل الذي هو موضوع الدراسة و جوهرها، فلا نتحدث عنه إلا في الباب الثالث و الفصل الثاني منه، وهذا يعد خطأ منهجيا، فالباحث راح يبحث عن قضايا بعيدة جدا عن الموضوع على حساب الدراسة الأساسية المتمثلة في صورة أولاد نايل .

إن مثل هذا المسعى كان بإمكانه أن يحيذ بالدراسة عن الهدف الأساسي للصورة، ويغرق البحث في دراسات أنتروبولوجية و تحليل سوسيوتاريخي، وحتى تحليل سياسي، يبتعد عن المنهج القار و المحدد في حقل الصورة .

فالصورة من أشد الحقول ارتباطا بالأنتروبولوجيا و الإيديولوجيا « **و نظرا لكونها كذلك ذات صلة " بوعي " معين ، فإنها أشد ما تكون ارتباطا بتاريخ الأفكار أو العقليات ما دام الوعي بالآخر – أو تصويره – لا يتم إلا في ظل أفكار و أنساق**

إيديولوجية، مصدرها التباين بين الأوطان و الثقافة من جهة، وسطوة الشرط الموضوعي من جهة ثانية .»[1]

ومن ثمّ كان يتعين على الباحث أن يستثمر مجهوده في الدراسة النظرية والمعلومات التي جاءت على قدر كبير من الأهمية والدقة في جانب تحليل المضمون، و يترك النصوص تفصح بنفسها عن النتائج، فتصبح الدراسة التطبيقية مسوقة لتحقيق هذه النتائج.

المتن :

قدم الباحث مدخلا نظريا، عني فيه بمقارنة مختلف القضايا المنهجية والنظرية المتعلقة بالأدب العام والمقارن، و قد قدم صورة وافية وعرضا متكاملا عن حقول الأدب المقارن، و مناهج البحث فيها، كما خصّ حقل الصورائية بدراسة مستفيضة أبرز فيها عنصرين اثنين هما :

1 -الصورة والانحراف المخيالي

2 -الصورة عندما تتحول إلى لغة رمزية.

[1] - عبد النبي ذاكر . المرجع السابق.ص 14

في الحقيقة أن هذين العنصرين على درجة كبيرة من الأهمية، لأن العنصر الأول يتعلق بالعناصر العاطفية التي تلج عوالم الصورة فتصبغها بصبغة ذاتية، تطغى على العناصر الموضوعية، فتخلق أغلاطا أسرع انتقالا من الحقائق، وهذا ما ذهب إليه كل من Pichoix و ROUSSEAU في تحديدهما أنه بإمكان العناصر العاطفية التغلب على العناصر الموضوعية مما يؤدي إلى انتقال الأخطاء بسرعة أكبر من تلك التي تنتقل بها الحقائق.*

وعليه كان ينبغي على الباحث أن يستفيد من تحليل النصوص، و أن يجعل هذه النصوص تفصح عن ذلك، لأنها توفر له المنطلقات التي سوف تؤطر الصورة، بدلا من فصل الجانب النظري عن الجانب التطبيقي من أجل دعم نتائج البحث .

و أما العنصر الثاني، فهو محاولة للإجابة عن سؤال صاغه الباحث متمثلا في ما يلي : متى تصبح الصورة لغة رمزية ؟

يثير الباحث في هذا العنصر قضية جد هامة، ألا وهي العلاقة بين الصورة واللغة، هذان العنصران المتشابهان والمتمايزان في الآن نفسه، و كيف تتحول الصورة إلى لغة ثانية :**« فحينما أنظر إلى الآخر، تنعكس من خلاله صورة ذلك الأنا الذي أنظره، أتكلمه، و أكتبه، فتصبح صورة الآخر نفيا له و امتدادا للأنا بفضائه،**

* – لمزيد من المعلومات ، ينظر روسو و بيشوا، " Littérature Comparée ". ص 88

حتى و أنا أحاول ذكره، فالحقيقة أن الذات لا تذكر إلا بنفسها. و من هنا، فإن كل ما أتصوره عن ذلك الآخر خاطئ لأنه متخيل. » [1]

غير أن الباحث لا يستفيض في هذه المسألة التي نراها جوهرية، لأنها تبرز العلاقة التي يقيمها هذا الآخر مع الثقافة الأجنبية من جهة، علما بأن هذا الآخر هو المستعمِر، أمّا الطرف الثاني فهو العربي المستعمَر. وتسمح، من جهة أخرى، بجلاء مدى " الواقعية " أو "المتخيل" في تضار هذه الصورة التي ينسجها الآخر عن الأنا.

و بالإضافة إلى هذين العنصرين لا يغفل الباحث ظاهرة التوارد وموقف الكاتب من ثقافة الآخر المنظورة، ويتحدث فيها عن الدراسة المعجمية التي تعنى بالتوارد و مختلف الفروع التي تنبثق من هذا التوارد.

فالصورة هي من نسج الآخر الذي ينتمي إلى ثقافة أخرى، فحين يواجه ثقافة أجنبية، يكون تقييمه محكوم بما تمليه عليه ثقافته وعاداته و كذا خياله، ويكون موقفه هذا أقرب إلى الهوس manie فإذا ما تعلق الأمر بالاستعمار فسينسحب موقف الهوس ليحل محله موقف الخوان la phobie **« الذي يشكل الموقف الرئيس للكاتب الفرنسي حيال الثقافة المنظورة، ثقافة أولاد نايل، تلك الثقافة الأصل التي كانت تعتبر أرفع من ثقافة الأجنبي، أي الأهالي أو عرب ضاحية بوسعادة، الذين يكنون نسبة إلى سيدي نايل الجد المشترك.»**[2]

---

[1] - بلميلود عثمان . المرجع السابق . ص 37
[2] - نفسه. ص 43

و هنا نلمس أهمية إدراج الشواهد النصية من النماذج المختارة التي تفصح بجلاء عن ظاهرة " الخواف "، لاسيما المشاهد المتعلقة بحرص النايلي على دينه وإسلامه و صلاته،وهذا ما لم يتحقق في هذه الدراسة.

- اعتمد الباحث، كذلك، في تحليله للنماذج العشرة المدروسة على تحليل مضمون هذه الأعمال غير أننا نتساءل أين الصورة من كل هذا ؟

إن الباحث لم يقدم على تحليل المضمون وفق منهج يوضح طبيعة مكونات الصورة لدى هؤلاء الكتاب و الأدوات الإجرائية التي شكلت هذه الصورة، ثمّ الحكم عليها، فنراه يخص كل عمل أدبي بدراسة تحليلية مستقلة يبرز فيها بعض مكونات الصورة .

في حين كان يجدر به أن يولي عناية أكبر إلى استخرج التيمات الكبرى المشكلة لصورة أولاد نايل في المخيال الفرنسي و تفكيكها إلى التيمات الصغرى المكونة لها، ومن ثمّ إعادة تركيبها من جديد للم شتات الصورة والوقوف على الواقعي و المتخيل منها، ونقدم الآن تخطيطا وجيزا للتيمات التي نراها بالغة الأهمية في تشكيل صورة أولاد نايل .

1 -الخصائص السلوكية :

تغلب على أولاد نايل تيمات متناقضة نسجها الفرنسي حول هذا "الآخر" الذي يستهويه استكشافه و هي :

تيمة الكرم ⟵ تيمة الجشع

تيمة الفحولة ⟵ تيمة المثلية الجنسية / الشهوة

تيمة العملية ⟵ تيمة العصبية و التوحش

و هي أوصاف متناقضة تندرج ضمن تصنيف الفرنسيين لأولاد نايل بين بدو وحضر، فالحضر هم السكان الأصليون المتمدنون، أما البدو فهم عرب غزاة يعيشون في الخيام و يتصفون بأسوأ الخصال.

أما عن الخصائص العقلية فتغلب على النايلي تيمة البلادة و التوحش.أما عن الخصائص العقدية، فيهتم "أولاد نايل" بالتصوف، و الزوايا و الطرقية و شعائر العبادة و الصلاة و الصيام، و حرصهم على عقيدتهم هو الذي يؤجج شعور الخواف la phobie لدى المستعمر لدى مواجهة الثقافة الإسلامية.

2 -صورة المرأة النايلية :

1.2- تيمة اللباس : ترتدي المرأة النايلية لباسا مزركشا، و تتزين بالحلي الثمينة، مما جعل صورة المرأة النايلية لدى كل الكتاب هي النموذج الأوحد المتمثل في التمثال الهندي.

2.2- الرقص : تقترن صورة المرأة بتيمة الرقص ، الذي أبهر الفرنسين الذين اكتشفوا ثقافة جديدة ، و بدلا من أن ينظروا إلى رقص النايليات على أنه فنا كورغرافيا نشأ في ثقافة محلية ، تطورت خلال قرون طويلة بمنطقة الحضنة، وسموا هؤلاء الراقصات بالعاهرات اللواتي يتوارين وراء الرقص من أجل المتاجرة بأجسادهن.

3.2- الدعارة: يعد المستعمر الدعارة مووثا قديما عند النايليات، في حين أن الانحلال الأخلاقي كان في الأصل ناتجا عن الأوضاع الاستعمارية المزرية التي كان أولاد نايل يعيشون تحت وطأتها.

3- صورة الطفل النايلي : الطفل النايلي هو مثال للبلادة و الاستغلال الجسدي والجنسي.

4- صورة الطقوس الاحتفالية: مرتبطة بظاهرة الكرنفالية التي اعتبرها الكتاب الغربيون طقوسا منحرفة، تميل إلى الجنون والمجون، على الرغم من إعجابهم بها .

و في ختام هذه الدراسة حول " **صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي من 1830- 1930** "، نستطيع القول أن الباحث استطاع بكل موضوعية رسم صورة "عرش أولاد نايل" في المخيال الفرنسي بالإعتماد على النتاج الأدبي للكتاب الفرنسيين، و التعليق عليها من خلال جلاء "المتخيل" و "الواقعي" في هذه الصورة.

و هي صورة، أقل ما يقال عنها، أنها مغرقة في الخيال، تصور مغالاة الرواية الاستعمارية، وعدم تطابقها مع الواقع الاستعماري الحقيقي الذي عرفته منطقة "أولاد نايل"، وواجهته ببسالة، الأمر الذي يقودنا إلى القول أنها صورة ثابتة، على الرغم من تعدد مشاربها، وتلون مصادرها، إلا أنها خاضعة لتأثير الايديولوجيا الثقافية على الكتابة الاستعمارية، التي تغذيها الأحكام المسبقة عن الجزائريين بصفة عامة، وعن "عرش أولاد نايل" بصفة خاصة، من جهة أخرى، و التي تهدف إلى الحط من قيمة الآخرين، ومن قيمهم الثقافية، ومعتقداتهم الدينية، و طمس بطولاتهم في مواجهة المستعمر دفاعا عن الحرية و الكرامة والسيادة من جهة أخرى.

الــفــصل الخامــس

حــقل الــموضــوعــاتــية.

حقل الموضوعاتية.

أ- تعريــــــفه:

تعد دراسة "الموضوعات" أو " التيماتولوجيا" من أولى الدراسات التي نشأت في الأدب المقارن. وقد أبدت المدرسة الألمانية للأدب المقارن اهتماما بارزا بهذا الحقل المقارني. وهي بحوث مستفيضة تكشف عن تبادل الصلات الفنية بين الآداب عبر العصور المختلفة. إنها بحوث « **شيقة تمثل رافدا هاما من روافد الأدب المقارن الذي يسعى لتفسير ظاهرة التشابه التيماتي، وما تنطوي عليه من دلالات». [1]**

ويقسم "ريموند تروسون Raymond TROUSSON ، الدرس التيماتولوجي إلى ثلاثة أنواع هي:

1 -"الموتيف" Le motif

2 -"التيم" Le thème

3 -" النموذج" Le type

ويحدد الفرق بينهما في النقاط التالية:

1 - **"الموتيف" Le motif** : وهو مفهوم واسع يحدد طبيعة معينة أوموتيفا محددا في صورته الطبيعية دون تجسيده في شخصية بعينها، كأن نتحدّث

[1] – عبده عبود. الأدب المقارن—مدخل نظري ودراسات تطبيقة-" . سوريا. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، 1997-1998 ، ص 241

عن موتيف" الحب" مثلا بدلا من "المحب"، أو عن "البخل" مثلا بدلا عن "البخيل".

2 "التيم" **Le thème**: مفهوم محدد، يكون « **نتيجة الانتقال من العام إلى الخاص**»[1]، يتجسد فيه الموتيف في شخصية بعينها، كأن يرتبط موتيف الرجل المثير séducteur مثلا بشخصية " دون جوان" Don Jean في الآداب العالمية.

3 - "النموذج" **Le type**: يمثل مرحلة وسطى بين "الموتيف" Motif، و"التيم" Thème ، و يحددها Raymond TROUSSON ، قائلا :

« بعض الموتيفات لا تتطور إلى أن تصبح "تيما"، بل تتوقف في مرحلة معينة من التطور نستطيع أن نطلق عليها تسمية :"نموذج"»[2].

إنها تصور أنماطا بشرية متباينة **« قد تكون هذه النماذج إنسانية عامة، أو مأخوذة عن مصدر أسطوري أوديني، أو عن تقاليد وطنية، و أخيرا قد تكون هي شخصيات تاريخية دخلت ميدان الأدب»[3] .**

ومثل هذه النماذج لا تعد من الأدب المقارن إذا لم تتعد حدود الأدب القومي، لتتناقلها الآداب العالمية المختلفة، من بين هذه النماذج :

[1]- Raymond TROUSSON. ‘ p 13
« le résultat du passage du général au particulier »
[2]- Ibid. p 14
« Certain motifs ne se décantent jamais jusqu'à devenir thèmes, s'arrêtant à un stade d'évolution que l'on pourrait nommer celui du type. »
[3] – غنيمي هلال . المرجع السابق. ص 303

أ -نماذج إنسانية عامة :

و هي نماذج إنسانية مقتبسة من مجتمع بعينه، تتحوّل إلى شخصيات أدبية عندما يوظفها الكاتب في مسرحية ما، أو قصة، أو شعر غنائي، فتتلقفها الآداب القومية، وتنتشر في الآداب العالمية، لتغدو شخصيات أدبية عالمية، مثل نموذج "البخيل" الذي يعود إلى الآداب اليونانية القديمة، ومنها اقتبسته أقلام الكتاب والأدباء العالميين، ومن ثمّ انتشر هذا النموذج الاجتماعي في جلّ الآداب العالمية، غير أنه « **لا يجوز اقتباس أنماط الشخصيات الاجتماعية بصورة اعتباطية، بل ينبغي اختيار الأنماط التي يمكن أن تعبر عن واقع المجتمع المستقبل**»[1] ، وإلا لن تجد هذه الشخصيات المنقولة من أدب إلى آخر أي نجاح يذكر.

ب – نماذج بشرية ذات أصل أسطوري:

تمثل تلك الشخصيات الأسطورية المستمدة من الأساطير القديمة و التي تعود في الأصل إلى الأدب اليوناني القديم الذي يمدنا بزاد غزير من الشخصيات «**يختار الكاتب منها ما يتسع للتأويل الخصب، وما يتحول معناه إلى رمز فلسفي أو اجتماعي، وتتنوع هذه المعاني عادة، على حسب العصور المختلفة و ما تتطلبه من كتابها من آراء و مثل** »[2]. ومن بين أشهر الشخصيات الأسطورية في الأدب العالمي نذكر "أوديب" و " بيجماليون".

[1] – عبده عبود. المرجع السابق.ص 230
[2] – غنيمي هلال. المرجع السابق، ص 306-307.

جـ - نماذج بشرية ذات أصل ديني :

هي شخصيات مقتبسة من الكتب السماوية المقدسة: التوراة الإنجيل و القرآن الكريم، مثل شخصية النبي "يوسف" و النبي "محمد"، التي تفقد قداستها و تتحول إلى شخصيات ترمز إلى شيء ما، حين « **يبعد بها الكتاب أو الشعراء قليلا أو كثيرا من مصادرها**»[1] ، و تنتشر بين الآداب القومية لتجد طريقها إلى الدراسات المقارنة.

د- نماذج بشرية مستمدّة من التراث الشعبي:

وهي نماذج مقتبسة من الأدب الشعبي والتقاليد الشعبية، مثل شخصية "**شهرزاد**" التي تعود أصولها إلى الرواية الشعبية " **ألف ليلة و ليلة**"، وشخصية "**سندرلا**" المنتشرة في أدب الأطفال العالمي والتي تعود أصولها إلى "**حكايات الأخوين جريم**"، بألمانيا، و لا تدخل هذه الشخصيات حيّز الدراسات المقارنة إلا إذا تناولها كبار الكتاب، ومن مختلف الآداب العالمية؛ أي إلا إذا تسرّبت إلى الآداب عبر البعدين الزماني والمكاني.

هـ - نماذج بشرية ذات أصل تاريخي:

هي نماذج واقعية مستمدة من التاريخ، مثل شخصية "**كيلوباترا**"، المرأة الساحرة التي استوت على عرش مصر، فألهمت عباقرة الأدب لتنتشر في الآداب العالمية، و« **تصبح قوالب أفكار عامة اجتماعية و فلسفية، وتكتسب طابعا**

[1] – غنيمي هلال. المرجع السابق. ص 312.

أسطوريا، فتتسع للتعبير عن فلسفات مختلفة، وتكون منفذا لتيارات عالمية، فنية و فكرية»[1].

II- منهجية البحث في حقل التيماتولوجيا:

قبل أن نتطرق إلى منهجية البحث المعتمدة في حقل التيماتولوجيا Thèmatologie، لا بأس أن نشير إلى التضارب الحاصل بين هذا الحقل من الدراسات المقارنة، و بين البحث "التيماتيكي" Thèmatique أو "الموضوعاتي". إذ كثيرا ما تتحول البحوث "التيماتولوجية" إلى بحوث "تيماتيكية" تغوص في بنية النص بحثا عن المضمون "الموضوعاتي" من أجل تحليله وتمحيصه، في حين أن"الدرس "التيمالتولوجي" يستند إلى نتائج الدرس "الموضوعاتي" Thèmatique، ويستثمرها، مسقطا إيّاها على اسم علم ذي دال ومفهوم وموقف محدد، **«فالتيماتولوجي ينطلق من الموضوع متجليا في الاسم، ليروح متابعا مختلف تجلياته، لا في سياق نص واحد، بل ضمن عطاءات نصوص عدّة، وهذا بحثا عن ثابت و متحول عناصره، واستكتابا تجريبيا لتاريخيته التي هي – حقيقة الأمر- استكتاب لتصور عام شمولي يخص موضوعا تتجاوز أهميته إطار الهاجس الفردي الكتابي كما هو الحال بالنسبة للموضوعاتية»[2].**

تتحدّد لنا من خلال هذا التقديم منهجية البحث المعتمدة في حقل التيماتولوجيا، والتي تقوم على :

[1] – غنيمي هلال. المرجع السابق. ص 321-322.
[2] – بن عبد الله الأخضر . "موضوعة جان دارك في الأدب العالمي- فرنسي- إنكليزي –ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة من 1429 إلى منتصف القرن 20 ". المقدمة.

أولا: البحث في أصل "الموضوع" ونشأته، و الوقوف على الأسباب التي جعلته يلج العوالم الأدبية في مختلف أنواعها.

ثانيا: تقصي اتساع "الموضوع" وانتشاره في مختلف الآداب العالمية، و في هذه المرحلة لا بأس من الاستعانة بالقواميس الخاصة بالموضوعات والشخصيات التاريخية؛ إذ توفر على الباحث عناء البحث و التنقيب في أوراق الآداب العالمية، وتقدم له نظرة بانورامية جاهزة لتطور "تيم" معين و نجاحه، و حصرا وإحصاء للدراسات التي خصصت لهذا "التيم"، فتكون نبراسا منيرا يهدي الباحث إلى النهج السليم الذي يسلكه في دراسته التيماتولوجية.

غير أننا لا نستطيع أن ننتظر من هذه القواميس أكثر من دورها، فهي صحيح تمدنا برصيد بيبليوغرافي هائل، غير أنها تبقى مجرد عمل تجميعي، تصنيفي عاجز عن رصد المسار التاريخي للتيمة أو الولوج في تأثيراتها وانعكاساتها و التغيرات الوظيفية التي أصابتها، و من ثمّ يأتي دور المقارن .

ثالثا: ضرورة احترام شرط الامتداد في الزمان والمكان، في الأعمال الأدبية المنتقاة مادة مصدرية للبحث "التيماتولوجي"، من أجل الوقوف على مظاهر تطور "التيم" وتحولاته، و تسلسله عبر العصور المختلفة.

فمن متطلبات الدس التيماتولوجي، اتساع الرقعة الجغرافية التي تشملها الدراسة، و الفضاء الزمني، وذلك برصد مظاهر انتشار "التيم" عبر آداب قومية مختلفة، تحقق الاختلاف اللغوي، والتسلسل الكرونولوجي، وكلّما اتسعت الرقعة

الجغرافية، و امتد الفضاء الزمني ليشمل حقب مترامية من الزمن، كانت النتائج أكثر علمية و مصداقية. « **أما الاقتصار على حقبة قصيرة كمجال زمني لمعالجة موضوع "تيمي" فهو – وإن كان لا يتنافى بالكامل و طبيعة الدرس التيماتـولـوجي - إلا أنه غالبا، قد لا نجده يحقق أقصى غايات هذا الحقل المعرفي المتطلع إلى وضع مما يشبه تاريخا عاما لديناميكية التحول لأشكال "التيمات" كما تفصح عن ذلك التسمية الألمانية لهذا الحقل نفسه Stoffgeschichte أي "تاريخ الموضوعات"»[1].**

رابعا: الاهتمام بالعلاقات التاريخية الجامعة بين الآداب القومية المنتقاة. والتركيز على علاقة التأثير و التأثر بينهم للضم الحلقات المشكلة "للتيم"، و ضمان تسلسله التاريخي، فيتشكل منه الجسم الحي "للتيم".

خامسا: قراءة تأويلية للأعمال المنتقاة، مع تفكيك "التيم" إلى مختلف "الوحدات التيمية" المكونة له، ورصد تطوراتها في كل عمل، قصد الوقوف على أشكال التلوّن الوظيفي للتيمة في رحاب الآداب العالمية، و تحديد الثابت و المتحول فيها. و« **يتعلق الأمر بتحديد مختلف الموتيفات المشكلة لوحدة الموضوع الذي وحدها تعطي العمل وحدته الحقيقية، و تسمح باحترام هذا العنصر الأساسي للتيم المتمثل في تعدديته».** [2]

مع إيلاء الجانب الشكلي نفس الدرجة من الاهتمام و الدراسة، و هي جزئية قلّما يلتفت إليها الدارسون في حقل التيماتولوجيا، الذين يهملون الجوانب الفنية، ويغيبونها تغييبا .

---

[1] – بن عبد الله الأخضر ، المرجع السابق، ص 11.

[2]- Raymond Trousson. Ibid.P 25

« Il s'agit de saisir la multiplicité des motifs que recouvre l'unité du thème qui seule donnera au travail sa réele unité et permettera de respecter cet élément essentiel du thème : sa polyvalence. »

إن حصر الدراسة التيماتولوجية في رسم النمط التوظيفي للتيمة، لا يعد كافيا، منهجيا، في الدرس التيماتولوجي الأدبي، لأن الشكل و المضمون وجهان لعملة واحدة.

سادسا: الالتفات إلى الدراسات التي تناولت موضوعات شبيهة بالموضوع المدروس، أو تتفق ومعناه الرمزي،« **وبهذا كلّه تتحقق الوحدة التي تجمع بين أطراف البحث المختلفة، و تثير الجوانب الأدبية و الاجتماعية والنفسية في الدراسة، ويعود ذلك على الأدب و تاريخه بخير الفوائد»**[1] .

III- دراسات التيماتولوجيا في المغرب العربي:

يعد حقل التيماتولوجيا من أهم حقول الأدب المقارن باعتباره حلقة وصل بين الأمم ووسيلة تعارف بين الشعوب، من خلال تبادل الأفكار و خلق حوار حضاري بينها.

فطبيعة الحقل المنهجية تقتضي رصدا دقيقا – شكلا ومضمونا – لمختلف التحولات الوظيفية للموضوع الواحد عبر أبعاد الزمان والمكان واللسان ؛ لذلك نجده أكثر حقول الأدب المقارن استقطابا للقلم المقارني الغربي الذي يستهويه التصدي لكل صعب وشاق، مدفوعا بروح المغامرة العلمية والبحث والاستقصاء من أجل بلوغ الغاية والهدف. والدليل على ذلك أن عناوينه و دراساته متجددة تعزز رفوف المكتبات الغربية بعناوين متلونة لشخصيات و أعلام بارزة في تاريخ تطور الآداب الغربية.

[1] – غنيمي هلال ، المرجع السابق، ص 327.

أما على صعيد الدراسات المقارنية العربية، فالحال مختلف تماما. ولعلّ فحص واقع حقل التيماتولوجيا العربي بعيون نقدية موضوعية يجعلنا نقف على حقائق يأسف لها الحال، نرى أن تعريتها و الكشف عن أسبابها جزء من المسؤولية الملقاة على عاتق كل متخصص في الأدب المقارن .

و للوقوف على أسباب هذه الوضعية المتردية ، ارتأينا أن نبادر بطرح السؤال التالي : لماذا نسجل ندرة في الدراسات الخاصة بحقل التيماتولوجيا في الوطن العربي؟

إن الإجابة عن هذا السؤال وضعتنا أمام فرضيات جمّة، نابعة من صميم الحقل نفسه، وأخرى تعود إلى العوامل الخارجية المحيطة به، نوجزها في نقطتين اثنتين :

1 - هذا الفقر ما هو إلا صورة مصغرة عن واقع الدراسات العربية في الأدب المقارن.

2 -تميز هذا الحقل عن باقي حقول الأدب المقارن الأخرى بمناهجه و طرائقه.

إن بيبليوغرافيا الدراسات المقارنة العربية في العالم العربي تجعلنا نستبعد الفرضية الأولى جزئيا، وإن كان فيها نسبة كبيرة من الصواب، لأن حقول الأدب المقارن الأخرى عرفت، و لا تزال تعرف، إقبالا واسعا، لاسيما حقلي التأثير الأدبي والصورائية، اللذين يمثلان معا مركز الثقل في مسرح الدرس الأدبي المقارن، أما حقل الموضوعاتية فيحتل المكانة الدنيا، مقارنة مع باقي الحقول الأخرى، من ناحية المجهود التحليلي والإبداعي معا .

أما الفرضية الثانية، فنراها أكثر منطقية و صوابا، إذ ما الذي يجعل المقارنين العرب يفضلون هذا الحقل عن ذاك، و يغيبون الآخر تغييبا؟ ما الذي يجعل قلم المقارنة العربي يتحمس لهذا الحقل أو ذاك و يعزف عن دونه عزوفا ؟

إن طبيعة الدراسات التيماتولوجية المعقدة، و صعوبتها من بين كل حقول الأدب المقارن الأخرى، تأتي في صدارة الأسباب التي جعلت قلم المقارنين العرب يعزف عن هذا الحقل عزوفا شبه كلي، فمستلزمات الحقل المعرفية والإجرائية مثل الإطلاع الواسع على آداب أمم شتى، و المسح الشامل لحقب زمنية برمتها ، للوقوف على حيثيات التحول الوظيفي الحاصل في تركيبة التيم المورفولوجية، والإلمام بلغات مختلفة، تتطلب من الباحث المقارن أن يتسلح بعدة معرفية موسوعية مؤسسة لا تتوفر لأي كان.

ونستطيع أن نضيف إلى ما تقدم، انصراف الاهتمام بهذا الحقل المعرفي، وازدهار الدراسات النقدية في وقت تيسرت فيه كل وسائل الالتقاء الثقافي والحضاري في زمن الانفتاح و المثاقفة و العولمة.

ولعل أهمية هذا الحقل المعرفي هي التي دفعت الغربيين إلى الخوض في هذا المضمار، أما الدراسات العربية، على قلتها، فهي حاضرة حضورا محتشما في أعمال بعض الدارسين، دراسات نجدها مبثوثة هنا وهناك، أخذت على عاتقها مهمة تأسيس لبنة و إن كانت متواضعة في بناء صرح هذا الحقل الأدبي والمساهمة في إثراء هذا الاختصاص المعرفي .

و تتصدر جهود "غنيمي هلال" قائمة الدراسات الموضوعاتية العربية، فأول دراسة منهجية كانت على يده عندما تناول شخصية المجنون في الأدبين العربي والفارسي أو تلك الدراسة حول " موضوعة هيباتيا HYPATIE في منظور الأدب الفرنسي و الإنجليزي ما بين القرن الثامن عشر و العشرين "(1952) ، و هي رسالة مقدمة في إطار أطروحته المكملة لرسالة دكتوراه في **الأدب المقارن** ، وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أول دراسة عربية تطبيقية تتناول حقل التيماتولوجيا في الوطن العربي[1].

و إلى جانب ذلك يحصي لنا الأستاذ بن عبد الله الأخضر [2] في رسالته المقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب المقارن بجامعة وهران سنة 1992 ، بعض الجهود العربية التي بالكاد نقف عليها في الدراسات العربية المقارنة، من خلال مسح تاريخي للجهود العربية في حقل التيماتولوجيا، تدليلا على فقر المكتبة العربية في هذا الحقل كما و كيفا، وهي صرخة أخرى يعلنها الباحث لضرورة الالتفات إلى هذا الحقل المعرفي وانتشاله من الاندثار، و هي :

1 -" مسرحية كيليوباترة بين الأدبين العربي و الإنجليزي " لجمال الدين الرمادي . د.ت.

2 -"كيليوباترة في الأدب والتاريخ " لمحمد حسن عبد الله (1971).

---

[1] - لمزيد من المعلومات ينظر غنيمي هلال . دراسات أدبية مقارنة.القاهرة. دار نهضة مصر للطبع والنشر.1985.
[2] - أستاذ الترجمة و الأدب المقارن بجامعة وهران

3 - أسطورة فينوس و أدونيس ما بين شكسبير و الإيراني إيراج ميزرا واللبناني حبيب ثابت" لبديع محمد جمعة (1981).

4 تقديم ملحمة " السيد " التي قدمه د. طاهر أحمد مكي.

5 العمل التجميعي للنصوص المهيكلة حول تيمة شهرزاد في الأدب العالمي الذي قام به كل من شارل بلا Charles PELLAT و هيام أبو حسن.

هذه الجهود العربية، ودراسات أخرى توصل إليها بحثنا في إطار التنقيب عن جهود المقارنين المغاربة في هذا الحقل، وجدناها مبثوثة هنا وهناك في رفوف مكتباتنا العربية من بينها الدراسة التي أجراها د.بن عبد الله نفسه حول **"موضوعة جان دارك في الأدب العالمي- فرنسي- إنكليزي –ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة من 1429 إلى منتصف القرن 20 "** من إشراف د. عبد المالك مرتاض، و التي نوقشت في رحاب جامعة وهران سنة 1992 و التي نحسبها من أولى المحاولات في هذا الحقل البكر.

و على كل حال، يمكن القول عن هذه الدراسة إنها بداية مضيئة تقدم أكثر من خدمة للباحث في حقل التيماتولوجيا، أراد لها صاحبها أن تكون دراسة نموذجية شمولية عن ماهية حقل التيماتولوجيا، ومنهجية البحث فيه، فراح يزاوج بين التطبيق والنظري في تناغم و انسجام، محاولا الأخذ بيد القارئ العربي، و ذلك بتقديم صورة واضحة ومبسطة عن الحقل التيماتولوجي، و الأسس المنهجية والنظرية للاشتغال فيه، في محاولة لسد الفراغ الرهيب الذي يعاني منه هذا الحقل في مجال الدراسات العربية

المقارنة، معتمدا في هذه الدراسة على مكتبة بيبليوغرافية على قدر من الثراء و التنوع جمعت أزيد من 300 مصدرا ومرجعا، من الدراسات المقارنة الأدبية التي تعالج القضايا و النظريات المباشرة وغير المباشرة عن الأدب المقارن عامة والحقل التيماتولوجي على وجه الخصوص، نذكر من بينها كتاب "الأدب المقارن" لماريوس فرانسوا غيار و "الأدب المقارن" لفان تيجم و" نظرية الأدب " لرينيه ويلك و اوستن واران و "التيماتولوجيا" لريمون تروسو و غيرها.

ويتضح من هذه المصادر أن الباحث كان مدفوعا بحس المسؤولية تجاه هذا التخصص الجامعي الذي لا يزال يرزخ تحت ما أطلق عليه سابقا "أزمة الأدب المقارن".

وإذا نحن استثنينا المقدمة النظرية والمنهجية التي خصّ بها الباحث "بن عبد الله" حقل التيمتاتولوجيا، فإننا لا نكاد نعثر على أيّة دراسة بعده أولت عنايتها إلى الجانب النظري، فقد نوقشت رسائل بعده أقل شمولية، و ألصقت بالطابع التطبيقي مثلما هو الحال مع دراسة الباحث الجزائري "بلعالم محمد" حول **"موضوعة يوسف النبي في الأدب العالمي – يوناني – إنجليزي – ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة"** ، وهي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة وهران، سنة 2004، من إشراف د. بن عبد الله الأخضر.

اهتم الباحث في هذه الدراسة بتقفي أثر التحولات الوظيفية لتيمة "يوسف" عبر الآداب العالمية المختلفة في فترة زمنية واسعة انطلاقا من القرن الثاني قبل الميلاد، فالقرن الثامن عشر، ثمّ القرن العشرين.

فقد استقطبت تيمة النبي "يوسف" اهتمام العديد من الكتاب والأدباء العالميين، لاسيما وأنها **« شخصية مشتركة بيننا- نحن المسلمين، و بين أصحاب الديانات الأخرى المسيحية واليهودية – إذ تُعد هذه الكتب السماوية مصدرية رئيسية»**[1] لكل الأعمال الإبداعية العالمية التي تلتف حول هذه الشخصية الدينية المحورية. وتتمثل الأعمال التي اختارها الباحث" بلعالم محمد" مادة مصدرية لدراسته التيماتولوجية في ثلاثة أعمال تنتمي جميعها إلى جنس واحد هو"الرواية"، كتبت بلغات مختلفة: اليونانية القديمة والإنجليزية و الألمانية، و هي على التوالي:

1 -**'Joseph et Aseneth'**، وهي رواية يونانية قديمة لمؤلف مجهول ، ألفت في القرن الثاني بعد الميلاد.

2 -**'Joseph Andrews'**، وهي رواية إنجليزية لـ "هنري فيلدنغ" Henry Fielding (1742).

3 -**'Joseph et ses frères'**، وهي رواية ألمانية ل تماس مان Thomas Mann، وهي ثلاثية تتكون من :

- "الفتى يوسف" Le jeune Joseph(1934)

[1] –"بلعالم محمد". "موضوعة يوسف النبي في الأدب العالمي – يوناني – إنجليزي – ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة". المقدمة. ص ب

- "يوسف في مصر" Joseph en Egypte(1936)
- "يوسف المعيل" Joseph le Nourricier (1943)

وكان تعامل الروائيين مع هذه التيمة يختلف اختلافا كبيرا يعود في جوهره إلى هاجس الذات وعلاقتها بالواقع المعاش **« فقد انطلقت الموضوعة من إطارها الديني لتُراكِم مع الأيام كماً إبداعيا يحولها من شخصية دينية إلى ما يشبه موضوعة رامزة إلى رموز عديدة، فيوسف يرمز إلى العفة الرجولية عند الكاتب الإنجليزي، كما أنه يرمز إلى رجل الدولة العادل الإنساني Humaniste الذي جمع بين السلطة و العقل أراده الروائي الألماني نموذجا يحتذى به في وقت حكم فيه الناس فاشيون ونازيون لا يولون للإنسانية أي احترام، و لا للعقل أي اهتمام ، أمثال Mussolini في إيطاليا، وهتلر في ألمانيا»**[1].

فتيمة "يوسف" التي كانت في الأصل تيمة دينية، اكتسبت مع الزمن تحولات وظيفية أكسبتها طواعية و ثراء دلاليا، تجاوز المرموز الديني ليخدم جوانب أخرى من الحياة، الاجتماعية منها و الفلسفية و السياسية.

غير أن الباحث استنزف جلّ اهتمامه وجهوده في دراسة المضمون على حساب الجانب الفني الذي يعد جزءا لا يتجزأ من الدرس التيماتولوجي، فنراه يُصرح في مقدمة بحثه قائلا:

« لأن انشغالنا بالنص كان من حيث المضمون الفكري في المقام الأول قبل أن يكون اهتماما أسلوبيا جماليا.»[2]

[1] –"بلعالم محمد . المرجع السابق. ص 153
[2] – نفسه. ص 06

و هذا من المزالق المنهجية التي يعاني منها هذا الحقل الذي لا زال يعرف إضطرابا منهجيا من قبل المقارنين في الوطن العربي عامة.

وتحيلنا دراسة "بلعالم محمد" إلى دراستين سابقتين لها، الأولى للباحثة "زاهية الدجاني" حول " **يوسف في القرآن الكريم والتوراة – دراسة مقارنة للمشاهد والعبر-**" نوقشت سنة 1994، غير أنه تعذر علينا الحصول عليها، و الثانية نوقشت بجامعة وهران، سنة 1997، حول ‘Le récit de Joseph/Youcef dans la Bible et dans le Coran . Lectures et sens’ " **قصة يوسف في التوراة والقرآن-قراءات ومعاني**" ، من إعداد الباحثة بشلاغم سميرة، و إشراف د. صاري فوزية .

وهي دراسة تحليلية مقارنة حول قصة يوسف مثلما وردت في الكتب السماوية -التوراة والقرآن الكريم- وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

غير أنه لا يمكننا أن نصنف هذه الدراسة المقارنة ضمن دراسات التيماتولوجيا، لأنها تختلف في الأهداف والمنهج عن أهداف البحث التيماتولوجي المقارني ومنهجية البحث فيه.

فالدراسة تعتمد على الكتب المصدرية لقصة"يوسف" متمثلة في الكتب السماوية الدينية- التوراة و القرآن- و لا تلتفت إلى الأعمال الأدبية التي نسجت حول هذه التيمة الدينية، التي نلمس حضورها في جميع الأجناس الأدبية شعرا ومسرحا

ورواية، وكذلك في مختلف وسائل التعبير السمعية والبصرية مثل الأفلام و السينما وغيرها.

ولعلّ مردّ هذا الاهتمام بالكتب السماوية، يعود إلى الأهداف التي وضعتها الباحثة نصب أعينها في مقارنتها بين قصة النبي "يوسف" في التوراة و القرآن من بعدها، مع أن الفارق بينهما سبعة قرون كاملة. تتمثل هذه الأهداف في الوقوف على مواطن "التعديل" أو"إعادة صياغة" الأحداث من قبل النص اللاّحق، المتمثل في القرآن الكريم، من خلال تحليل نظام العلامات المنتجة للمعنى في كلا العملين.

وتطالعنا الباحثة نسيمة مسلاتي (عيلان) برسالة دكتوراه حول "**أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند "جان جاك روسو" و"برنارد شو" و "توفيق الحكيم"**" ، تمت مناقشتها بجامعة الجزائر سنة2007.

وعلى عكس الدكتور" بن عبد الله" الذي اختار شخصية تاريخية واقعية نواة تكوينية لدراسته التيماتولوجية، والباحث "بلعالم محمد" الذي اختار شخصية دينية محورية، أولت" نسيمة عيلان" اهتمامها إلى " الأسطورة في علاقتها مع الأدب، وامتدادها عبر الآداب العالمية "، ممثلة في نموذج واحد هو"أسطورة بيجماليون " في الأدب العالمي، وكيف **« وظفتها الآداب والفنون واستوحت موضوعها، واعتمدت عناصرها و استخدمت رموزها، واتخذت منها إطارا لمعالجة موضوعات تشابهت واختلفت فيما بينها ،فعكست مدى ثراء هذه الأسطورة التي إن أمدّت الآداب والفنون العالمية بزخمها الرمزي الكثيف، فهذه الفنون والآداب أمدّتها بالحياة والاستمرار، فغذت أسطورة بيجماليون حاضرة في كل عصر وكل مكان»**[1] . وهي علاقة تلازمية،

[1] ـ نسيمة عيلان . "أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند جان جاك روسو وبرنارد شو و توفيق الحكيم"،2007 .ص 05

فالأسطورة تساهم في تغذية الأدب وإثرائه والأدب بدوره يحافظ عليها و يضمن استمراريتها ويثريها .

وهذا ما تعززه جهود " مخبر الأدب العام والأدب المقارن " بجامعة باجي مختار بعنابة ، التي تولي عنايتها إلى الكشف عن مدى تقاطع الأسطورة و الأدب من حيث البناء الفكري أومن حيث البناء المعماري المتمثل في اللغة والخيال والسرد والتقنيات التبليغية وغيرها ...، **« فانتقلت الأسطورة، إذن، بفضل تفاعلها مع الأدب، من وظيفتها المعرفية وطابعها العقدي إلى وظيفة فنيّة، وطابع جمالي ذوقي، وأصبحت العلاقة بينها و بين الأدب من اهتمامات الدرس الأدبي المقارن الأولى .»**[1]

و يسعى أفراد هذا المشروع، إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية التي ستسهم لا محالة في دراسة أدبنا العربي وكشف خباياه الفنية والمعرفية والإسهام في إثراء الفكر الإنساني. ولعل أهم مشروع هو إنجاز " معجم الأساطير الأدبية عند العرب " على غرار نظيره " معجم الأساطير الأدبية " Dictionnaire des mythes littéraires الذي أنجزه Pierre BRUNEL رفقة ثلّة من المقارنين الفرنسيين الذين أولوا عنايتهم إلى الآداب الأوروبية، مع تغييب الأدب العربي إلا لماما . فجاء هذا الجهد متمما للمجهود الفرنسي، ومعرفا بالأدب العربي، وداعيا للبحث في مجال الأسطورة و الأدب العربي، هذا المجال الذي لا يزال بكرا على الرغم من خصوبته.

كما فتح المخبر سنة2005 مشروع بحث جديد حول "الأسطورة في الرواية المغاربية"، هذا بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الرسائل الجامعية منها ما نوقش

[1] – عبد المجيد حنون، أعمال ملتقى الأدب و الأسطورة، الكلمة الافتتاحية، عنابة، 2007. ص 10

ومنها ما لم يناقش بعد، حول الأسطورة والأدب نذكر من بينها ما يخدم حقلنا التيماتولوجي، ونترك الأخرى إلى حينها : مثل بحث "ماجدة بن عميرة " حول **"أسطورة شهرزاد في الرواية العالمية"** وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، وبحث **"تجليات شهرزاد في الشعرين العربي والفرنسي – دراسة مقارنة- "** وهي رسالة دكتوراه في الأدب المقارن، و**"مريم في المتخيل الروائي "** و غيرها. مثلما نظم المخبر يومي 23 و 24 جانفي 2007 ، ملتقى علميا حول **"الأسطورة والأدب"** ساهم فيه نخبة من الدارسين والباحثين في مجال الأساطير الأدبية ببعض الدراسات التي نرى أنه كان بإمكانها أن تشكل إضاءة متواضعة في مجال البحوث التيماتولوجية العربية إن تمّ توجيهها لصالح هذا الحقل المعرفي بدلا من المنحى النقدي الذي اعتمدته نذكر من بينها – على سبيل المثال – محاولة "شادية شقروش" إثارة **«قصة يوسف التي اكتسبت "بعدا إقليميا وعالميا نظرا لشيوعها ورحلتها السندبادية الدينية والأسطورية والأدبية»**[1]. لم تتوقف الباحثة في دراستها عند حدود تتبع تيمة يوسف في الآداب العالمية وحسب، بل راحت تفكك التيمة إلى مجموعة الحوافز (الموتيفات) المكونة لها، مثل حافز الجمال والموت الرمزي والعفة والإخوة الأعداء ... وغاصت في جذور هذه الموتيفات التي تتقاطع في كثير من عناصرها مع الآلهة الأسطورية القديمة .

[1] - شادية شقروش. يوسف و الآلهة الاسطورية. أعمال ملتقى الأدب و الأسطورة.ص 96

فالشخصيات الدينية تتقاطع في السلوك و الأفعال مع الآلهة الأسطورية، ولكنها تختلف من حيث التسميات **« لأن تاريخ الدين والأسطورة هو تاريخ صراع الذات مع الموت، ولم يكن ظهوره في ضمير البشر إلا مظهرا من مظاهر الصراع للظاهرتين الكونيتين في داخل الإنسان وخارجه، صراع الموت والحياة »**[1].

وقد برهنت الباحثة كيف أن ملامح قصة سيدنا يوسف عليه السلام وجدت في الفكر الإنساني منذ عهود ضاربة في القدم، أي قبل وجود القصة نفسها، وذلك من خلال إلباس الحوافز التي شكلت قصة يوسف أبعادا دينية أسطورية، **« لما تملكته من شرعية مستقلة كنماذج قارة في الفكر الإنساني مثل نموذج الإخوة الأعداء (قابيل وهابيل ، الهار وأشنان ، أنوب و باطا ، أنكمدو و دموزي...)»**[2].

أما مقال عبد الحليم منصوري الموسوم بـ **" من عولمة الأسطورة إلى أسطورة العولمة "** فهو بحث في الأصول الشرقية لبعض الأساطير الغربية المنسوبة إلى الإغريق و الرومان، وهي في حقيقة أمرها تعود إلى قدماء البابليين و المصريين والسومريين، باعتبارها حضارات ضاربة في القدم، بل هي أقدم بكثير من الحضارات الغربية، **«إذ تعتبر الحضارة السومرية التي ازدهرت في حوض الدجلة و الفراث منذ الألف الرابع قبل الميلاد أقدم الثقافات، و يتفق جميع المؤرخين على أن بداية التاريخ تبدأ من سومر حيث تأثرت كل الثقافات، ومنها الثقافة الإغريقية، بالثقافة السومرية التي وضعت أولى الملاحم الشعرية و أولى التراتيل الدينية والقصائد الدنيوية**

[1] - شايبة شقروش.المرجع السابق . ص115

[2] - نفسه.ص 116

والقوانين المدنية .» [1]، وهذا دليل على أن معظم الأساطير اليونانية خرجت من عباءة الحضارات الشرقية، أرض الأساطير ومهدها، و يسوق لنا الباحث أمثلة عديدة عن أساطير متنوعة تعود أصولها إلى الحضارات الشرقية محاولا **« دحض مزاعم المركزية الإغريقية،والتأكيد على إسهام الحضارة الشرقية في التراث الأسطوري العالمي، بل اعتبارها أصلا للأساطير التي انتقلت إليها، وتغيرت بفعل الزمان والمكان والإنسان ، لكنها حافظت على جوهرها المكون .»** [2]

و تجنبا للوقوع في نزعة مركزية من نوع آخر ، لم يغفل عبد الحليم منصوري خلق بعض التوازن في خاتمة دراسته معترفا للأدب الإغريقي بفضله على الأساطير الشرقية التي تبقى مدينة له لأنه عمل على استلهامها و تجسيدها فنيا وأدبيا بفضل أدبائه أمثال " هوميروس " وحوّلها إلى أساطير عالمية .

وتقدم لنا سامية عليوي دراسة حول " **أسطورة فينوس في الأدب العربي – دراسة نقدية أسطورية** –" إنها دراسة حول " فينوس" الآلهة ، إلهة الحب و الجمال التي تعبّدتها الشعوب وتداولتها الثقافات و تناولتها في الآداب الغربية، في جميع الأجناس الأدبية، شعرا و رواية و مسرحا . و إن صبّت الباحثة دراستها حول أسطورة " فينوس " في الأدب العربي ، فإنها لم تغفل تناول هذه التيمة عبر الحضارات المختلفة التي وظفتها، معرجة على أثرها في الآداب الغربية أولا عند كل من الروائي مارينو Marino في رواية أدون ADONE، و سارة دونانت SARAH

[1] - عبد الحليم منصوري. من عولمة الأسطورة إلى أسطورة العولمة .. أعمال ملتقى الأدب و الأسطورة .ص 151
[2] - نفسه. ص 153

DUNANT من بريطانيا في رواية " مولد فينوس " THE BIRTH OF VENUS ، وكذا مسرحية لوبي دوفيغا LOPE DE VEGA " أدونيس وفينوس " ، و " كاليديرون دو لارباركا " بمسرحية " أرجوان الوردة " وقصيدة " أدونيس و فينوس " 1593 لوليام شكسبير ، و " لافونتين و قصيدة " أدونيس " 1669 ، **« ثم تعددت توظيفات فينوس في الشعر الغربي وتنوعت دلالتها فوظفها " بانفيل Théodore BANVILLE في قصيدة فينوس المستلقية Venus couchée التي كتبها سنة 1841 ووظفها لامرتين LAMARTINE في قصيدة بعنوان " Venus ، كما استلهمها " إدغار آلان بو " Edgar Allan Poe في قصيدة Venus ووظفها أرتور رامبو Arthur RIMBAUD في ست قصائد هي " Alchimie du verbe " ، "Soleil et chair " ، "L'esprit " ، "Comédie de la soif " ، " Venus Anadyomène (...) و قد وظفها فيكتور هوغو Victor HUGO في قصيدة venus ، كما وظفها شارل بودلير Charles BAUDELAIRE في قصيدتي Le fou et la Venus من ديوان Spleen de Paris الصدر سنة 1865 و Venus Belga من ديوان Amoenitates Belgicae.»**[1]

و بعد هذا الجمع البيبليوغرافي التاريخي لأسطورة فينوس في الآداب الغربية راحت الباحثة تبحث في الأدب العربي عن الآثار الفنية التي نهلت من أسطورة "فينوس"، وكانت أول محطة لها مع الكاتب المسرحي " توفيق الحكيم " في مسرحية

[1] - سامية عليوي . أسطورة فينوس في الأدب العربي – دراسة نقدية أسطورية . أعمال ملتقى الأدب و الأسطورة .ص 53، 54 ، 55 بتصرف

بيجماليون، ثم مسرحية " كأسك يا سقراط " 2005 للكاتب " عبد الرزاق الربيعي " ثم " العقاد " الذي يعتبر " أول من وظف أسطورة فينوس في الشعر العربي، وذلك في قصيدة فينوس على جثة آدونيس " المعربة عن شكسبير، تلاه بعد ذلك مجموعة من الشعراء مثل محمود طه من مصر وقصيدة " حانة الشعراء "، و"الطيب اللبناني " في ملحمته " عشرتوت وأدونيس " وقصيدة " الإسكندرية " للشاعر اليمني " عبد العزيز المقالح " يقارن فيها جمال الإسكندرية بجمال فينوس ، و" باسم السعدي " في قصيدة " في ذكرى استشهاد السيد عبد المجيد الخزني " ، ثم "محمد البرعي " من مصر بقصيدة " حلم ليلة " ، ثم " اسماعيل الصيفي " من مصر في قصيدة " بيجماليون والجفاف " و " أحمد شنبرتي " من سوريا بقصيدة " بطاقة شخصية " ، ثم " موسى جعفر الرضوان " من السعودية بقصيدة " أعتذر إليك يا فينوس " صورها رمزا للبراءة المغتالة في العراق ، ، ومحمد كمال من سوريا بقصيدته " شاعر الغربتين " ألقاها في حفل تأبين الشاعر الكبير عمر أبو ريشة.

و من الجزائر نجد الشاعر "الأخضر فلوس " في قصيدة " مشانق الأعراف "، وفريد ثابتي في قصيدة " مرتبة فينوس " ، وكتب عبد اللطيف بن شهيدة باللغة الفرنسية قصيدة "الآلهة و الآلهات " Les dieux et les déesses.[1]

يعد هذا المسح البيبليوغرافي لأسطورة " فينوس " في الأدب العالمي مرحلة حاسمة من مراحل البحث التيماتولوجي، غير أن الباحثة وجّهت دراستها بعد ذلك وجهة نقدية، مقتصرة دراستها على الأدب العربي فقط، في محاولة لتقصي أشكال

[1] ـ ينظر سامية عليوي. المرجع السابق .ص 72

التلوينات التوظيفة للأسطورة الفينوسية عند هؤلاء الكتاب الذين صبغوا الأسطورة بألوان متباينة و متضاربة. فهي رمز للوطن الجميل المغتصب تارة، و هي رمز للجمال الآفل والكرامة المهدورة تارة أخرى، كما هي رمز لإعادة الجمال إلى هذا العالم المشوّه تارات أخرى [1].

إنها، إذن، دراسات نقدية تحليلية، وإن كان في المادة المقدمة مادة خصبة لدراسة تيماتولوجية طموحة على قدر بالغ من الأهمية، لكن عزوف قلم المقارنة العربي عن الدرس التيماتولوجي، و توجهه لنظيره النقدي حال دون استمتاعنا برحلة تيماتولوجية عالمية، نقتفي خلالها أثر التلونات التاريخية و الفكرية والثقافية على أشكال التلون التوظيفي للتيمة الفينوسية عبر الآداب العالمية .

و عليه تمّ اصطفاؤنا لنموذجين تطبيقيين من الدراسات التيماتولوجية متمثلين في رسالتي دكتوراة دولة في الأدب المقارن سنحاول أن نستعرض من خلالهما منهج البحث في الدراسات التيماتولوجية وهما :

1- **" موضوعة جان دارك في الأدب العالمي فرنسي –إنكليزي- ألماني دراسة تيماتولوجية مقارنة من 1429 إلى منتصف القرن 20"** للدكتور بن عبد الله الأخضر، إشراف ، د. عبد الملك مرتاض، (1992).

3 -**" أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند جان جاك روسو و برنارد شو و توفيق الحكيم"** من إعداد الدكتورة نسيمة عيلان، إشراف د.مختار نويوات، (2007).

[1] - ينظر سامية عليوي. المرجع السابق. ص 73

النموذج التطبيقي الأول:

"موضوعة جان دارك في الأدب العالمي

فرنسي –إنكليزي– ألماني

دراسة تيماتولوجية مقارنة

من 1429 إلى منتصف القرن 20"

إن أهم ما يطالعنا في العنوان هو شخصية " جان دارك " (1411-1431)، وهي شخصية تاريخية حقيقية ولجت عوالم الأسطورة الأدبية من أوسع أبوابها، فحلقت في ربوع الآداب العالمية ـ وتناولتها أقلام الأدباء ، وتباينت توظيفاتها ، ولكن لماذا وقع اختيار الباحث على تيمة جان دارك بالذات ؟

لماذا تيمة جان دارك ؟

فازت شخصية جان دارك باهتمام الباحث منذ سنوات الدراسة و التدريس في الديار الفرنسية، و تحولت إلى هاجس موضوعي ترجم في صورة رسالة جامعية نوقشت سنة 1992-1993 ، مدفوعا بالقوائم البيبليوغرافية الطويلة للروائع الأدبية العالمية المستوحاة شرقا فغربا من واقع تاريخ هذه الشخصية التاريخية .

حيث وقع اختيار الباحث على بعض من هذه المؤلفات العالمية ، في لغات عدّة و هي : الألمانية و الإنجليزية و الفرنسية، و إن كان في تغييب اللّسان العربي نقصا حال دون السماح للغة الضاد بان تكون طرفا في هذا الحوار الحضاري، غير أن هذا النقص لا نعزوه للباحث، و إنما للأقلام العربية التي غيّبت هذه الشخصية التاريخية من لفائف الأدب العربي، تغييبا شبه كلي، و هو واقع لم يغيبه الباحث في دراسته، فراح يبحث في أسبابه المتعددة و التي نوجزها في نقطتين :

1 - وجود حساسية عربية حيال هذه الشخصية المسيحية، على الرغم من أن الأدب العربي – قديمه و حديثه – لم تخل ساحته يوما من تواجد عناصر إبداع مسيحية .

2 -صدور قرار مقاطعة رسمي من قبل ما أعلنته لجنة الشعر فيما يخص الرموز المسيحية، على الرغم من أن جان دارك ليست رمزا كهنوتيا بل رمزا تاريخيا، و قناعة نضالية مؤمنة.

و عليه استقر اختيار الباحث على ستة مؤلفات عالمية، مادة مصدرية للبحث هي على التوالي :

1- Christine de PISAN et " Le Ditie de Jeanne d'ARC"

2- W.SHAKESPEARE et " Jeanne d'ARC "

3- Voltaire et " La Pucelle d'Orléans" (1852)

4- Schiller und " Die Jungfrau von Orleans" (1932)

5- "G.B.Shaw and "Saint Joanد.ت

6- "B.Brecht und " Die Heilige Johanna der (1961)

وهو اختيار نراه بعيدا عن العشوائية والاعتباطية، وإنما يستند إلى قاعدة تاريخية موسوعية شكلّت العدّة التي تسلح بها الباحث إلى طرق موضوع مترام المشارب. إن المادة المصدرية التي اصطفاها وفرّت له قوّة دفع مغذية للتيمة الجانداركية، لاسيما و أنها أعمال تنتمي إلى بيئات تاريخية وسوسيوثقافية مختلفة. ولكن كيف يتّم هذا الاصطفاء ؟ وما هي الأسس المنهجية المتبّعة لاختيار هذه النماذج الأدبية بالذات دونا عن غيرها ؟ هذا ما سنعمل على توضيحه من خلال تناولنا للجوانب المنهجية المتبعة لطرق الموضوع .

1 منهجية البحث:

تقدم لنا **"الموسوعة العالمية للشخصيات الأدبية"** (1968) Dictionnaire universel des personnages littéraires et dramatiques de tous les temps قائمة طويلة عن المؤلفات والأعمال الأدبية التي تناولت شخصية جان دارك، إذ تكفي مطالعة بسيطة لهذه القواميس حتى تمدنا بقوائم طويلة من الأعمال والمؤلفات التي تناولت شخصية جان دارك في مختلف الألوان الأدبية، شعرا و مسرحا و رواية . فقد غدّت هذه التيمة قريحة المؤلفين و أثارت حميتهم، منهم من

مجدّها و رفعها إلى مصاف القديسين، ومنهم من قدحها و أسقطها إلى مستوى الدجالين والمشعوذين والسحرة .

و انطلاقا من هذه القوائم انطلقت دراسة "بن عبد الله الأخضر"، واختياره للنماذج التمثيلية، متوخيا في اختياره عناصر عدّة أهمها:

1- التعدد الألسني

2- الإطار الزمني

وذلك استجابة لمنطلقات الدرس التيماتولوجي الذي يقتضي مبحثه العام أفقا زمنيا رحبا، و فضاء جغرافيا شاسعا يسمح بتعقب أشكال التيمة في رحلتها عبر أبعاده، وتطورها وتناميها في علاقاتها بعوالم جديدة داخل إطار الزمن. وكلما كان الفضاء رحبا و الرقعة أكثر شساعة، كلما كانت نتائج الدراسة التيماتولوجية أكثر شرعية ومصداقية، و في ذلك نأخذ برأي بن عبد الله قائلا : **« التشكل و التلون لألوان التيمة يقتضي – حتى يتجلى بالوضوح الكافي – مدارا زمنيا شاسع الرقعة ..أما الاقتصار على حقبة زمنية قصيرة كمجال زمني لمعالجة موضوع تيمي فهو – و إن لا يتنافى بالكامل و طبيعة الدرس التيماتولوجي – إلا أنه غالبا قد لا نجده يحقق أقصى غايات هذا الحقل المعرفي المتطلع إلى وضع ما يشبه تاريخا عاما**

لديناميكية التحول لأشكال "التيمات" كما تفصح عن ذلك التسمية الألمانية لهذا الحقل نفسه STOFFGESCHICHTE أي "تاريخ الموضوعات ".» [1]

1- التعدد الالسني :

يرتبط اللسان بالمكان ارتباطا وثيقا، لأن اللغة ليست مجرد رموز وعلامات، إنها حاملة لثقافة الشعوب وعليه تمتد الدراسة وفق فضاء لغوي مترامي الأطراف، يغطي اللغات التالية :

الفرنسية، الألمانية و الإنجليزية، و هي أطراف لغوية مختلفة غير أنها تشترك في الأصل اللغوي أي أنها جميعا تنتمي إلى أصل لغوي واحد.

إن التقصي الجزئي لطبيعة العلاقات السياسية والتاريخية التي تحكم هذه اللغات و بالتالي هذه الدول فيما بينها ، يكشف سلفا عن تاريخ مشحون بالتوترات والصراعات الطاحنة **« فالماضي الفرنسي الإنكليزي الذي يمتد من القرن 15 حتى حدود منتصف القرن 20، هو مشكل في مساحته الكبرى من فراغات سديمية في صورة صراعات مسلحة ومجابهات عقائدية مذهبية دامية لم تهدأ لها عواصف إلا بعقد تصالح سيأخذ طابع التحالف المبرم ما بين " الأخوين العدوين " ضد الجارة الألمانية، هذا البلد الذي هي حروبه مع فرنسا على قصر أمدها نسبيا، لم تكن مع ذلك، دون سابقاتها عدوانية ومستوى تدميريا »** [1].

[1] - بن عبد الله الاخضر. المرجع السابق. ص 11.

[1] - بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق. ص 10

هذه الصراعات و التوترات ستنعكس لا محالة انعكاسا متفاوت الدرجات على النواة الموضوعية لتيمة " جان دارك " Jeanne d'Arc ، وما سيترتب عن ذلك من تشنجات وتصدعات وظيفية كبرى لدى مختلف أطراف الحوار الذي يربطهم، إلى جانب علاقاتهم التاريخية، أصلا عقائديا واحدا، ألا وهو اعتناق العقيدة المسيحية مع اختلاف في الفرع المذهبي، وما انجر عنه من وبال على هذه الشعوب،وانتماء تاريخي إلى الأصل اللغوي نفسه، فكل هذا اللغات " الفرنسية " و "الإنجليزية " و"الألمانية " تنتمي إلى اللغات الأوربية، وما عرفته من صراع بيّن بين اللغات من أجل السيادة والريادة .

كل هذه العوامل و العلاقات التاريخية ستكفل لا محالة "للجنين"التيمي الجنداركي العناصر العضوية المغذية والضرورية لحياة دائمة ومتميزة .[1]

2 - الإطار الزمني :

يُحدد الإطار الزمني، حدود الدراسة التيماتولوجية، بدايتها ونهايتها. أما بدايتها، فغالبا ما تكون في العودة إلى الإرهاصات الكتابية الأولى في الموضوع، وأمّا نهايتها فتحددها طبيعة الموضوع المنهجية، و **« نستطيع القول إن الموضوع يحوي حدوده الخاصة به، و أنه يحدد بنفسه مجال عمله»**[2]، هذا يعني أنه لا يوجد حدود قارّة للدرس التيماتولوجي، و إنما كل موضوع يرسم حدوده بنفسه، و بناء على اعتبارات عدّة قائمة على لحظة ولادة التيمة و تطوراتها عبر التاريخ وعلى امتداد الزمان والمكان .

---

[1] - ينظر بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق.ص 11

[2] - R.Trousson . Les études de thèmes – Essai de méthodologie. "Dans ce cas , l'on peut dire que le sujet comporte ses propres limites , qu'il définit lui-meme le champ de l'action". P 61

و بالعودة إلى دراسة الدكتور بن عبد الله، نجدها تغطي فضاء زمنيا يمتد من سنة 1429 إلى سنة 1950 أي زهاء ما يربو عن خمسة قرون ونيف. فرواية Christine de Pisan تمثل أول عمل أدبي تناول التيمة الجانداركية، فهي بذلك تمثل المرحلة الجنينية للتيمة، وهو ما تستلزمه طبيعة الدرس التيماتولوجي – كما سبق وأسلفنا –

أما عن باقي المحطات الأدبية، فهو اختيار قائم على قاعدة مؤسسة تحكمها أغراض سياسية وتاريخية،لأنها تعبر عن أحداث تاريخية، شهدها العالم على مصرع التاريخ السياسي الحافل بين الأمم المختارة ، آخرها عمل بريخت الذي يتزامن والحرب العالمية الثانية،**« و هي نقطة تحول كبرى على مسار الصراع الآدمي، لا نعتقد أن موضوعة Jeanne d'Arc ستفلت من انعكاسها »** [1]، و يقدم لنا الدكتور ين عبد الله مراحل تشكل التيم الجنداركي وفق التقسيم الموالي :

« 1- طور جنيني ويميزه الطابع الإحتفائي الإنشادي ممثلا في Christine de PISAN .

2- طور تحاملي تشهيري و يشترك في دوره كل من شكسبير SHAKSPEARو فولتير Voltaire.

3 -طور تصالحي مهادن للوجه الجانداركي ، ويشخصه أجنبيان : شيلرSchiller وشوShaw.

4 -**طور عدائي متجذر متحامل على المرموز الديني القداسي لجان دارك يمثله بريشت Brecht. »**[2]

الإطار الزمني والتعدد الألسني هما القاعدة التي يعوّل عليها الدرس التيماتولوجي، لكنهما ليسا كل شيء : ينتظر الدارس المقارن الآن مهمة أكثر صعوبة، تتمثل في إخضاع النماذج الأدبية المختارة إلى دراسة تحليلية نقدية، ترتكز

[1] - بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق .ص 400
[2] - نفسه. ص 401

على الإجابة على الأسئلة المنهجية التي حددها RAYMOND TROUSSON في كتابه Les études de thèmes – Essai de méthodologie (1965)، و هي ثلاثة :

« 1- Quand؟ متى ؟ أي متى وظفت التيمة؟

2- Comment؟ كيف ؟ أي كيف وظفت التيمة ؟

3- Pourquoi؟ لماذا ؟ أي لماذا وظفت التيمة بهذه الشاكلة؟»[1]

أما السؤال الأول فهو ما حاولنا الإجابة عنه في العناصر السابقة، أما بقية الأسئلة فهي أساس الدراسة التحليلية التي تعد أصعب محطات الدرس التيماتولوجي، لأنها تستدعي من الباحث المقارن الاحتكام إلى زاده المعرفي الموسوعي كي يتسنى له استنطاق قاعدة النص الخلفية، متمثلة في الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والحضارية، التي رافقت تطور التيمة الجنداركية في الآداب العالمية، واستقراء تفاعل التيمة ومتغيرات هذه الظروف .

هذا ما سعى "بن عبد الله" جاهدا إلى تمثيله من خلال تناوله تيمة جان دارك في قلب الأحداث التي رافقت النماذج الأدبية، و هي أحداث تاريخية و سياسية طاحنة غذّت التيمة بمجموعة من التراكمات الوظيفية ، شكلت مجموعة من الموتيفات يربطها فيما بينها علاقة ذات نسق تناقضي [2]، يشخصها الباحث وفق الجدول[3] الموالي

:

---

[1] - ينظر RAYMOND TROUSSON . المرجع السابق.بدءا من ص 32

[2] - إن الأعمال المدروسة تنتمي إلى بلدان متصارعة ، فلا ريب إذن أن تعرف الموتيفات الجانداركية علاقة ذات نسق تناقضي، فجان دارك دي بيزان مثلا هي مثال البسالة والطهر المسيحي ، هي رمز القضية النسوية المطالبة بحق المساواة مع الرجل ، تتحول لدى شكسبير إلى رمز السفالة و الخطيئة والجبن ، مثال المرأة التي تحاول الإطاحة من كرامة العرش الإنجليزي والنيل منه.

[3] - بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق .ص402

الموتيفات المؤلفون	التاريخية	البطولة	القداسة	الشعوذة	الأنوثة
Christine de PISAN	×	×	×		×
شكسبير	×			×	×
فولتير		×؟		×	×
شيلر	×	×	×		×
برنارد شو	×	×	×		
بريشت			×؟		

إن تتبع تشكل هذه الموتيفات، و تتبع تحولاتها الوظيفية و الإجراءات التجديدية التي مسّت المكونات التيميية للموضوعة، جعلت الباحث يقف على مجموعة من الاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:

1 - الوقوف على التابث والمتحول من هذه الموتيفات المختلفة، فالقداسة والبطولة مثلا فعلان ملازمان للتيمة الجنداركية على مدار الحقب الزمنية التي ألمت بها الدراسة، على الرغم من تلك الموتيفات الآنية المتحولة التي أفرزتها تحولات العصر السياسية والإيديولوجية الطارئة ، التي أطاح بها التطور الفكري والتشريعي، من ذلك

ما عرفه موتيف "السحر" و "الشعوذة " ، **« الذي مع تعاقب النصوص في الزمن بدأ يفقد الكثير من وزنه ، كعنصر إدانة في ملف التوظيف والاتهام للوجه الجنداركي . تلاش في الفعالية الوظيفية يعود سره إلى ما شاهده الفكر الإنساني من تطورات متواكبة في شتى علوم المعرفة، دفع بالكثير من تشريعات الأمم إلى إلغاء عقوبة السحر و الشعوذة »**[1] .

2 - الوقوف على المتحول داخل الموتيفات الثابتة، لأن الموتيف الموضوعاتي يمكنه أن يحظى بأكثر من قراءة أو تأويل، شأنه في ذلك شأن التيمة نفسها التي تزخر بأكثر من دلالة، وهذا ما ينطبق مثلا على موتيف "القداسي " الذي شهد تغييرا في مفهومه من ثابت تيمي ظلّ يحتل مركز الصدارة إلى موتيف مدان من قبل أعمال أدبية تحولت إلى سجلات محاكمة، فتحولت القداسة من قناعة مسلم بها إلى تيمة مستهدفة مشكوك في عفّتها و عفافها بل يتجاوز ذلك إلى حد السحر والشعوذة.

3 - تراجع الفكر اللاّهوتي الذي لازم "االتيمة الجانداركية " طويلا والذي برز لدى كل من " كريستين دي بيزان " CHRISTINE DE PIZANو"شكسبير"SHAKSPEARE ليحل محله فكرا سياسيا فلسفيا لدى باقي أطراف الحوار الأخرى ، " فولتير"VOLTAIRE ، " شيلر"SCHILLER، "شو"SHAW ، "بريشت "BRECHT تماشيا مع عهد اللائكية وبروز الفكر الإيديولوجي. فمسرحية فولتيرVOLTAIRE مثلا اتخذت من جان دارك رمزا لطرح كبرى انشغالات الكاتب الفلسفية و العقائدية، في مرحلة ملغمة عقائديا وفكريا وسياسيا.

[1] ـ بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق ص 405

4 - تحوّل تيمة جان دارك من" تيمة –موقف" Thème - Situation إلى "تيمة – بطل " Thème – Héros[1]، و يتحدد الفرق بينهما في كون أن الأولى تتطلب العودة إلى أصول "التيم" وظروف نشأته في اللآداب، للوقوف على معناه كاملا. وهذا لن يتأت إلا من خلال العودة إلى الأعمال الأدبية، واستنطاقها، و استخراج المعنى. أما النوع الثانيThème – Héros ، فيتجلى من خلال عبارة بسيطة، أوتلميح ، أو حتى بعض الكلمات ، لأنه يحوي نوعا من الرموز "المكثفة"،يتكشف معناها من خلال فكرة مقدمة مسبقا.

ومن ثمّ نلاحظ أن "تيمة جان دارك" قد تحوّلت من" تيمة –موقف" Thème - Situation إلى "تيمة – بطل " Thème – Héros ، وذلك لتجردها من ضوابطها الزمانية وخصوصياتها التاريخية. فتفاعل التيمة مع متغيرات الساحة السياسية والإيديولوجية، وتوظيفاتها المختلفة عبر أطوار رحلتها الأدبية الشاقة و الشائقة، جعلها تتجاوز تاريخيتها و تتجرد شيئا فشيئا من تبعات الزمان والمكان، لتتحول إلى اسم بطولي رامز دون اللحظة التاريخية التي أبدعته، **« فجان دارك التي انطلقت من عمق حرب المئة سنة ستظل تلازمها ظرفيتها التاريخية على مدى حقب طويلة عرفت خلالها توظيفات شتى من مثل نص " دي بيزان " وشكسبير لتفقدها كاملة بين يدي فولتير لتستعيدها مبثورة من نهايتها التراجيدية (المحاكمة فالحرق) عند " شيلر" ليلتقطها " برنارد شو " ويركز جهده التحليلي على فصل المحاكمة**

[1] - ينظر RAYMOND TROUSSON. المرجع السابق. ص40

المغيّب " شيلريا " ليكون لها انبعاث جديد بالكامل على يد" بريشت "كشخصية مغربّة عن محيطها القروطسي الأصلي»[1] .

و لكن ماذا عن الشكل الفني ؟

كثيرة هي الدراسات التيماتولوجية التي تقف عند حدود "الموضوع "، ملغية من حساباتها "الجانب الفني " الذي يمثل الوجه الثاني من عملة هذا الحقل المعرفي ، فلا وجود لدراسة تيماتولوجية كاملة شاملة، إن لم ترفق دراسة المضمون بدراسة شكلية فنية تسمح بتقصي أثر التلوينات الفنية على ديناميكية التيمة، و إلا سقطت الدراسة في فخ الدرس التيماتيكي وشتان بين الاثنين.

إن طبيعة الدرس التيماتولوجي تختلف عن الدراسة التيماتيكية التي تعنى بالمضمون الفكري و الإيديولوجي، و تتبع التحولات الفكرية داخل النص مع إغفال شبه كلي للجانب الشكلي، أما الدراسة التيماتولوجية، فتولي عنايتها إلى الشكل والمضمون معا .

ونحسب أن "بن عبد الله" لم يغفل هذا الجانب المهم من الدراسة، فراح يخضع كل مادته المصدرية إلى دراسة تحليلية موازية، سمحت للبناء الفني أن يشارك في ذلك الحوار الحضاري الذي أفرزته رحلة التيمة الجانداركية عبر الآداب المختلفة، وكشف التلوينات الفنية والتقنيات التبليغية التي أمدّت البناء الفكري بعناصر دعم قوية

[1] ـ بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق .ص 408

ساهمت في الكشف عن حركية موضوعة جان دارك عبر منعرجات التاريخ المتقلب وكشفت عن مراحل ازدهارها و اندحارها في مسارها التاريخي.

ويقودنا الحديث هنا، إلى تحبيذ بعض المقارنين العرب اعتماد النصوص المترجمة بدل العودة إلى النص الأصلي، في لغته الأصلية، وما ينجر عن ذلك من تبعات على الدراسة الفنية التي تحيلنا إلى التساؤل عن مدى مطابقة نص الترجمة للنص الأصلي، مبررين تصرفهم ذلك بانشغالهم بالنص من حيث المضمون الفكري في المقام الأول قبل أن يكون اهتماما أسلوبيا جماليا، وهو عذر نراه أقبح من ذنب، وهو أمر كان محط انتقادات شديدة من لدن أفذاذ الأدب المقارن وهذا هو "ريموند ترووسونRAYMOND TROUSSON" يقول :

« إن معرفة غير كافية باللغات والآداب الأجنبية، هي مدعاة للانسحاب بشرف من البحث في الحقل التيماتولوجي، و ليست أبدا سببا مقنعا للغش أو التزوير في نتائجه»[1] .

وبالرجوع إلى النماذج الأدبية المعتمدة في دراسة بن عبد الله ، نلاحظ أن كل هذه الأعمال تصنف ضمن جنس أدبي واحد هو المسرحية ما عدا نص Christine de Pisan الذي يحيد عن القاعدة ، فهو الاستثناء الوحيد الذي جاء نصا شعريا مطولا،

---

[1]- RAYMOND TROUSSON. Ibid.P69 .
"...Une insuffisante connaissance des langues et des littératures étrangères sont des motifs parfaitement honorables d'abstention, ce ne sont jamais des raisons valables pour "truquer" la thèmatologie et fausser d'avance les

résultats de l'examen"p 69

فرضته الضرورة المنهجية بوصفه يمثل الإرهاصات الكتابية الأولى للتيمة الجانداركية. أما باقي الأعمال فهي تنتمي إلى جنس المسرحية، على الرغم من أن "جان دارك" تناولتها كل الأجناس الأدبية، ونحسب أن في اختيار بن عبد الله لجنس المسرحية نوعا من التحيز يبرره كالآتي :

« وتبقى المسرحية – كخشبة نابضة – الجنس الأدبي ذا الشعرية التعبيرية الجامعة لامكانات فنية قد لا تجتمع لسواها ، هو القالب الأدبي الأقرب قابلية في تصورنا إلى تحقيق انعكاس شبه أمين لطبيعة " التيم" المركبة : و هي المقاربة التي ربما حدت بعدد كبير من دارسي التيمات إلى إعطاء الأفضلية الأولى للقالب المسرحي كجنس أدبي تدرس من خلاله التحولات الوظيفية المختلفة التي تطرأ على "التيمة " »[1].

إلا أننا نرى إلى جنس أدبي بعينه مهما كانت مبرراته ، يفوت على البحث التيماتولوجي دراسة فنية شائقة تسمح بتقصي أثر التلوينات الفنية في ديناميكية تحول "التيمة"، لأن في تنوع الشكل الفني وتعدد الحقول الأدبية وتباين خصائصها الفنية دورا في توظيف "التيمة " داخل إطارها الزماني والمكاني واللساني .

و في ختام هذه الدراسة التحليلية حول " **موضوعة جان دارك في الأدب العالمي فرنسي – إنكليزي- ألماني، دراسة تيماتولوجية مقارنة، من 1429 إلى منتصف القرن 20**" ، يمكننا القول أنها استطاعت أن تحقق أهدافها المتمثلة ففي

[1] - بن عبد الله الاخضر . المرجع السابق .ص 12

المساهمة في فك اللغز الجنداركي الذي حقق البقاء والاستمرار في بديع الأعمال الأدبية التي تلقفته "تيمة" محورية، نسجت حولها كثير من الأعمال الخالدة، خلود هذه الشخصية التاريخية التي عرفت الكثير من التلوينات الوظيفية، والتحولات الديناميكية في بنيتها الموضوعية، وهذا ما تمثلته دراسة د. بن عبد الله الأخضر في مقاربته التيماتولوجية لتيمة القديسة الخالدة "جان دارك" في الآداب العالمية.

مثلما استطاعت أيضا أن تحقق كل شروط الدرس التيماتولوجي، من خلال احترامها – منهجيا – للتلون الزماني و الألسني، الذي يعد أساس البحوث التيماتولوجي- حيث غطّت فضاء زمنيا امتد من القرن الخامس (1429) إلى منتصف القرن العشرين، وسمحت للغات متباينة من المشاركة في هذا التفاعل الحضاري، فكانت اللغة الفرنسية، و اللغة الإنجليزية، و اللغة الألمانية ثلاثة أقطاب لغوية، استلهم الباحث من آدابها و ثقافتها مادة مصدرية متناغمة في بعديها الزماني والمكاني.

و لم يغفل الباحث،أيضا، إلى جانب اهتمامه بالجانب التيماتيكي، التركيز على الجانب الفني، لأنه جزء لا يتجزأ من الدرس التيماتولوجي، و إن إهماله تقصير ينبغي أن تتداركه كل دراسة تيماتولوجية.

إن هذه الدراسة تعد لبنة أساسية في صناعة الدرس التيماتولوجي العربي عامة، و المغاربي خاصة، ومرجعا يستفيد منه الطالب و الباحث معا، ذلك أن "د. بن عبد الله" توخى المزج بين الجانب النظري والتطبيقي من أجل تحقيق أقصى أهداف الدراسة.

النموذج التطبيقي الثاني:

"أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند جان جاك روسو و برنارد شو و توفيق الحكيم"

ينطوي عنوان الرسالة على العلاقة بين الأسطورة والأدب، و هي علاقة ضاربة في القدم ، فالأدب وريث الأسطورة وحاملها ، يمتاح من نبعها ، ويستلهم معانيها ومواعظها ، وينسج من خطابها خطابا أدبيا إيديولوجيا عميقا ذو مغزى وهدف. و الأسطورة أيضا تستمد من الأدب بقاءها و استمراريتها.

ومن هذا المنطلق تكمن الأهمية الأولى لدراسة نسيمة عيلان ، أما النقطة الثانية فهي سماحها للغة الضاد من أن تشارك في هذا الحوار الحضاري الجامع بين الآداب العالمية. فقد كان الأدب العربي حاضرا وبقوة ممثلا في شخص توفيق الحكيم أبي الفن المسرحي في الأدب العربي .

وبذلك ركزت الدراسة على ثلاث محطات بارزة في مسار الأدب العالمي، جامعة بين ثلاثة أقطاب، لهم مكانتهم وشهرتهم ودورهم في النهوض بآدابهم القومية وبالأدب العالمي إجمالا، وهم على التوالي :

1 - جان جاك روسو JEAN JACQUES ROUSSEAU (1712-1778) بمسرحيته " بيجماليون" PYGMALION في الأدب الفرنسي.

2 - جورج بيرنارد شو Georges Bernard Shaw (1856-1950) "بيجماليون" PYGMALION (1971) في الأدب الإنجليزي

3 - توفيق الحكيم (1898-1987) " بيجماليون" (1984) في الأدب العربي

دون إغفال الرجوع إلى أصل الأسطورة مثلما أوردها أوفيد الإنجليزي في كتابه "مسخ الكائنات "[1] ، استجابة للمتطلبات المنهجية لهذا الحقل .

وتروي الأسطورة قصة فنان أعزب، كان حاكما على قبرص، قام بنحث تمثال عاجي في صورة إمرأة، أسقط عليه كل آيات الجمال والفتنة، فأخذ بما صنعت يداه، ووقع في حب التمثال، لذلك توسل الآلهة أفروديت (إلهة الجمال والخصب عند اليونان) أن تبعث الروح في معشوقته، فاستجابت الآلهة وتحول التمثال إلى امرأة حقيقية هي " غالاتيا "، تزوجها بيجماليون و أنجبت له "بافوس"، و أطلق اسمه على إحدى مدن قبرص.[2]

ويتمثل جوهر هذه الأسطورة في أنها تقدم « **أعماق كل فنان، إنه يحس بروعة ما أبدعه، كما يحس بأن الفن هو ذاته، لذا يرغب في التوحد معه، نظرا لفرادته وروعته، لذلك يستحق أن ينبض بالحياة، وينال الإعجاب والخلود** »[3].

[1] - ينظر ، أوفيدوس، مسخ الكائنات، ترجمة : د. ثروت عكاشة ، مراجعة د. مجدي وهبة ، الهيأة المصرية للكتاب ،القاهرة، ط2

[2] – ينظر، المرجع نفسه.

[3] - ماجدة حمود. مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن. ، دمشق، اتحاد الكتاب العرب،2000. ص 11

و قد تمثلت أسطورة " بيجماليون" الآداب و الفنون المختلفة، لأن الأساطير ليست حكرا فقط على الآداب وحدها، و إنما ينبغي **«أن نقرا الأساطير باعتبارها خطابا قصصيا سرديا له قوانينه الخاصة، مراعيا في ذلك أنها قد تتشظى مفردات، كما قد تتجلى في شفرة أخرى غير السرد و المكتوب فتكون مكتوبة بـ " لغة " النحت أو المسرح أو الرقص وما إلى ذلك »**[1]، لذلك قد نجد أسطورة " بيجماليون" ممثلة في لوحة زيتية مثلا تدعى "بيغماليون وغالاتيا " بريشة الفنان "جان راوكس"، معروضة بمتحف اللوفر بباريس، أو فلما سينمائيا مقتبسا من مسرحية " بيجماليون" لبيرنارد شو، كما نجدها مسرحية أو قصيدة مثل مسرحية " بيجماليون" لروسو، وقصيدة " نفخ الروح في صورة بيجماليون " للشاعر الإنجليزي جون مارستون.

إن ثراء هذه الأسطورة، وتداولها من قبل مختلف الألوان الأدبية و الفنية، كان مدعاة لالتفات قلم المقارنة العربي إليها، للبحث عن أشكال التأثير و التأثر التي مارستها هذه الأسطورة على الآداب المختلفة، نذكر من بين هذه الدراسات، دراسة محمد زكي العشماوي حول " بيجماليون عند بيرنارد شو وتوفيق الحكيم" في كتابه " دراسات في النقد المسرحي و الأدب المقارن" 1983 ،ودراسة عز الدين المناصرة، ودراسة ماجدة حمود حول " تأثير أسطورة بيجماليون في الأدب العالمي و العربي" في كتابها " مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن". غير أن هذه الدراسات اقتصرت على دراسة تأثير أسطورة " بيجماليون" في كل من مسرحية " بيجماليون" عند بيرنارد شو ومسرحية " بيجماليون" لدى توفيق الحكيم. وتمثل نقاط التشابه

[1] - محمد عجينة – حفريات في الأدب والأساطير . ، تونس، دار المعرفة للنشر، ط1، 2006. ص 222

والاختلاف بين هذين العملين ، بينما تتجاوز رسالة "نسيمة عيلان " نطاق الثنائية، فاسحة المجال لطرف ثالث أن يشارك في هذا الحوار الحضاري العالمي، ممثلا في مسرحية "بيجماليون " لجون جاك روسو، وهي أسبق في الظهور من مسرحية بيرنارد شو.

نلاحظ مما سبق أن دراسة نسيمة عيلان تستوفي شرط الامتداد في المكان، فماذا عن الزمان ؟

جاءت الدراسة لتغطي حقبة زمنية مترامية. فتعدد أطراف الحوار وتلونها، وتباين أزمنتها، يسمح بتتبع أسطورة " بيجماليون" في مختلف تجلياتها ضمن نصوص عدّة، وسياقات متلونة، وكما يسمح أيضا بملاحقة التيمة في رحلتها التحولية على امتداد الزمان و المكان و اللسان .

أما المرحلة الثانية التي يجدر على كل دراسة تيماتولوجية احترامها فهي الترتيب الكرونولوجي – التاريخي – للنماذج المدروسة .

1 -<u>الترتيب الكرونولوجي :</u>

لا يخفى على دارس التيماتولوجيا، أهمية اعتماد الترتيب الكرونولوجي للنصوص المنتقاة. فهي خطوة تكفل للدارس تتبع ديناميكية الموضوع وحركيته عبر الحقب التاريخية المتعاقبة،وتيسر عملية تتبع تطورات كل وحدة وظيفية داخل البناء العام للتيمة .

فالتيمة عبر رحلتها التحويلية، تبتعد عن مرحلتها الجنينية، مستسلمة لتقلبات العصور المختلفة، مستجيبة للتحولات الثقافية و السياسية و الإيديولوجية، ولن نتمكن من رصد التطورات الوظيفية للتيمة وجلاء أصيلها من دخيلها، أي الكشف عن الثابت والمتحول فيها، إلا إذا اعتمدنا العرض الكرونولوجي لمتوالية النصوص الأدبية. ناهيك عن الترتيب الكرونولوجي داخل أعمال الأديب الواحد.

وقد أولت نسيمة عيلان عنايتها لهذه الخطوة المنهجية مقدمة المادة المصدرية موضوع المقارنة مرتبة ترتيبا كرونولوجيا كالآتي :

***أسطورة بيجماليون عند روسو**

ا- جان جاك روسو

1- الإنسان

2- الأديب و المفكر

أ- حديث في العلوم و الفنون

ب- حديث في أصل وأسس عدم المساواة بين الناس

ج – رواية جوليا أوهلويز الجديدة

د- إميل أو في التربية

ه –العقد الاجتماعي

و- الاعترافات

ز– المسرحيات

II - ملخص مسرحية بيجماليون لروسو

III- دراسة المسرحية

- **أسطورة بيجماليون عند شو**

I- جورج بيرنارد شو

1- مولده ونشأته

2- حياته في دبلن

3- حياته في لندن (1885/1876)

ا- حياته في لندن

ب – ما بعد المرحلة الأولى (بعد 1885)

4- الكاتب المسرحي

II- ملخص مسرحية بيجماليون لشو

III - دراسة المسرحية

- **أسطورة بيجماليون عند الحكيم**

I- توفيق الحكيم

1- الإنسان

2- الحكيم الكاتب المفكر المسرحي

ا- المسرح الذهني (أو مسرح الأفكار والعقل)

ب- مسرح اللامعقول

ج- المسرح الاجتماعي

د- خصائص مسرح الحكيم

II- ملخص مسرحية بيجماليون لتوفيق الحكيم

III- دراسة المسرحية

يعقب الترتيب الكرونولوجي، تقديم **« تعريف بالأعمال وبأصحاب الأعمال في إطار العلاقات التي ربطت بينهم،وأثمرت مؤثرات أدّت إلى تقاربهم وتشابه أعمالهم، في الوقت نفسه أبرزت تميّز كل أديب منهم و قدرته على صياغة تجربة إبداعية جديدة صارت وجها جديدا للأسطورة، فأضافت بذلك إلى الركام المعرفي الإنساني،**

لأنها حملت بصمة كل أديب وجعلت كل مسرحية من هذه المسرحيات الثلاث نصا شفافا ناطقا بعصر صاحبه و بيئته و كل الملابسات التي أحاطت بحياته.»[1]

وهي خطوة هامة من خطوات الدرس التيماتولوجي، كثيرا ما تستهلك من الباحث جهدا جهيدا، في حين أنها لا تمثل إلا نقطة البدء فقط. إنها الانطلاقة التي تمهد للباحث المقارن السبيل للخوض في مرحلة أكثر عمقا وحسما، ألا وهي البحث في الأسباب و الأساليب التي رافقت التيم في رحلته التحولية عبر الآداب .

غير اننا نلاحظ أن أغلب الدراسات التيماتولوجية تقع في فخ التلخيص والترتيب الزمني، محولة الدرس التيماتولوجي إلى عمل تجميعي بيبليوغرافي، فتنصرف إلى إحصاء قوائم المؤلفات العالمية التي تلتف حول عنوان واحد، و تيمة واحدة دون عناية أو تبصر بالسياق التاريخي والأدبي الذي ينتمي إليه الأديب أو دراسة الأفكار والقيم التي تحملها التيمات ، فتحيد المقارنة عن الدور المنوط بها.

إن دراسة الموضوعات في رحلتها التحولية، دون التوقف للبحث عن الروابط، ودون البحث عن مصادر الرفد، والتأثيرات المختلفة أمر يكشف عن اضطراب منهجي ظاهر، لطالما أدانه متخصصوا الأدب المقارن واصفين هذه الدراسات بأنها

---

[1] - نسيمة مسلاتي. أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند جان جاك روسو و برنارد شو وتوفيق الحكيم .ص 06

دراسات تتوقف حيث كان ينبغي لها أن تنطلق[1] ، وهذا الأمر يؤثر لا محالة في النتائج النهائية، ويبعد الحقل عن بلوغ أحكام تقييمية. فتتحول هذه الدراسات إلى عمل إحصائي يتسم بالسطحية، دراسات تحيط بالموضوع لكنها لا تتغلغل إلى جوهره، لا تصغي إلى الظروف التاريخية، و لا تبحث عن الأسباب التي جعلت من هذه التيمة، موضوعا حيّا، يعيش عبر أبعاد الزمان و المكان، وينتقل من قارة إلى قارة، ويمتد بين ربوع الآداب العالمية.

وبالرجوع إلى عمل نسيمة عيلان، نجد أن الباحثة قد خصصّت دراسة مستقلة راحت تبحث فيها عن التواصل بين جون جاك روسو وبيرنارد شو وتوفيق الحكيم، للكشف عن العلاقات التاريخية، السببية التي جمعت بينهم، غير أننا نرى أن دراسة العلاقات التاريخية لا يمكنه أن يأتي بمعزل عن الدراسة التحليلية النقدية للأعمال المقارنة، إذ كان يجدر بالباحثة أن تعرض لدراسة الأعمال المنتقاة في علاقتها بعضا ببعض، لا بوصفها محطات مستقلة تمثل كل واحدة منها حلقة منفردة في سلسلة [2] طويلة تحتاج إلى رابط يجمعها و يلم شتاتها .

إن وظيفة الحقل التيماتولوجي تنعكس في جمع شتات الصورة، والبحث عن الخيط الذي يربط بين أطراف الحوار، وذلك لا يتأتى إلا بالحرص والتبصر على متابعة الامتدادات الوشائجية تأثرا وتأثيرا فيما بينها، و التي تعد عصب البحث بل عموده الفقري، فإن اختلت وحدة من وحداته انهار البنيان كلّه.

[1] - ينظرRAYMOND TROUSSON . المرجع السابق .ص 23 و ما يليها
[2] - ينطر نفس المرجع .ص27

فبقدر أهمية الترتيب الكرونولوجي داخل الدراسة الوظيفية للتيمة، لا تقل الدراسة النقدية التي يخصصها الباحث لهذه الأعمال أهمية هي الأخرى ، بل ينبغي أن تستغل نتائجها لخدمة الدراسة المقارنة ، فتيسر على الباحث مهمة بلوغ الاستنتاجات المنتظرة من هذه الدراسة. وعليه كان على الباحثة أن توجه دراستها وفق خطة منهجية تسعى للإجابة عنه الإشكاليات المؤسسة لجوهر الدراسة ألا وهي:

1 -ماذا أضاف روسو إلى الأسطورة الأم؟

2 -ماذا أضاف شو إلى روسو و إلى الأسطورة الأم؟

3 -ماذا أضاف الحكيم إلى كل من شو و روسو والأسطورة الأم؟

ومن هنا نستطيع تبين مدى أهمية احترام الترتيب الكرونولوجي في البناء الوظيفي للتيمة، و التحول الذي رافقها عبر الآداب المختلفة .

فمسرحية "روسو" مثلا ظلت وفية للإطار العام للأسطورة الأم، أما "شو" فقد ابتعد جذريا عن الإطار الأسطوري ليقدم لنا أجواء واقعية، مدفوعا بانشغاله بهموم الإنسان المعاصر و أزماته في عصر العلم، إلا أنه استفاد من الأسطورة في فكرة التحويل، حيث نجح في استخدام علم الأصوات ليحول المرأة الفقيرة الريفية، بائعة الزهور إلى امرأة راقية، مثلما حوّلت الآلهة التمثال إلى امرأة حقيقية في الأسطورة. أما الحكيم فقد أعادنا من جديد إلى أجواء الأسطورة اليونانية ، لكنه اختلف عن سابقيه في أنه أطلق العنان لخياله ليتابع سيرة بيجماليون بعد زواجه.

وتقوم الدراسة المقارنة في الحقل التيماتولوجي على منهجية خاصة تميزها عن باقي حقول الأدب المقارن الأخرى. إن المقارنة المبنية على رصد مظاهر التشابه والاختلاف بين الآداب المختلفة ليست كافية هنا لتجيب على الأسئلة التي يطرحها الدرس التيماتولوجبي.

فمقاربة المسرحيات الثلاث على مستوى الشخصيات، والزمان و المكان والأفكار التي تطرحها، ومحاولة تمثل نقاط التشابه والاختلاف بينها ومن ثمّ مقارنتها بالأسطورة الأصلية لا نراه طرحا وفيا للبناء المنهجي للحقل التيماتولوجي. وفي هذا نعود إلى رأي ريموند تروسون RAYMOND TROUSSON الذي يرى أنه **«بإمكان المقارنة أن تثري الموضوع، غير أنه لا يمكن اعتبارها أهم ما في هذا التخصص الذي، وعلى عكس قناعات بعض المقارنين، لا يتحقق إلا بعد بحث مستمر في المصادر والتأثيرات. وهو بحث، عليه أن يساهم، إلى جانب المقارنة وتقييم المعايير الجمالية، في الكشف عن تفرّد الشخصيات العظيمة، وذلك بتمكين تقييم أهمية المضمون المشترك عن قرب، ومدى إسهام كل كاتب في "الموضوع " ».**[1]

فالتيماتولوجيا تقوم، إذن، على تفكيك " التيمة " إلى عناصرها المكونة لها، يتعلق الأمر باستخراج وتحديد المعاني والدلالات المتعددة للتيم الواحد، بمعنى تحتاج

[1]- RAYMOND TROUSSON . Ibid. P59 .
« La comparaison peut être enrichissante , mais elle ne peut être considérée comme l'essentiel d'une discipline qui contrairement à la conviction de certains comparatistes , ne se conçoit pas sans une constante recherche des sources et des influences , recherche qui ,unie à la comparaison et à l'appréciation des valeurs esthétiques, doit contribuer à mieux faire ressortir l'originalité des grandes individualités en permettant d'évaluer de plus près l'importance du fonds commun et la puissance d'intervention de chaque auteur sur le thème. »

إلى تقسيم موضوعاتي داخلي، يكشف عن مختلف الموتيفات التي تشملها وحدة الموضوعة.

إن هذا التقسيم من شأنه أن يساعد الباحث على تقفي أثر التحولات الوظيفية لمختلف العناصر المكونة للتيمة، وتكييفها وفقا للسياقات الثقافية والسياسية والإيديولوجية التي تنتمي إليها.

و بالعودة إلى دراسة نسيمة عيلان نجد أنها انصرفت عن تقسيم التيمة إلى تقسيم دراستها المقارنة إلى ثلاثة أجزاء هي :

1 -جزء مخصص للكشف عن نقاط التلاقي بين الأعمال المسرحية الثلاث والأسطورة القديمة.
2 -جزء مخصص للكشف عن نقاط التلاقي بين الأعمال المسرحية الثلاث
3 -جزء مخصص للكشف عن نقاط الاختلاف بين الأعمال المسرحية الثلاث

إن هذا الاستعمال يكشف عن اضطراب في المفاهيم الخاصة بالمنهجية المتبعة في حقل التماتولوجيا، الذي كثيرا ما عانى من التداخل بينه وبين باقي حقول الأدب المقارن الأخرى خاصة حقل التأثير و التأثر و الصورائية، لا سيما إذا كانت المراجع المعتمدة تفتقر إلى الكتب المتخصصة في الأدب المقارن، ولا سيما حقل التيماتولوجيا مثل دراسات بيشوا برونيل وتروسون و غيرهم.

فشخصية بيجماليون التي تناولتها الباحثة على أنها الشخصية المحورية في البحث تتحول في الحقل التيماتولوجي إلى "تيمة بيجماليون" وشتان بين الاثنين. إن الدراسة التيماتولوجية لا تدرس الشخصيات، و إنما تدرس المواقف التي تتجلى فيها صورة هذه الشخصيات داخل النص يقول :

« من الخطأ أن نركز دائما، في الدراسة الموضوعاتية، على الشخصية، وحده الموقف ينبغي أن يثير اهتمامنا».[1]

و استخراج الموتيفات ينبغي أن يكون مرتبطا بالزمان والمكان الملازمين لظهور العمل الأدبي ، بمعنى أن يكون مرتبطا بمجموع العلاقات السياسية و الفكرية والتاريخية و العقائدية التي ستؤثر لا محالة سلبا أو إيجابا على ظهور هذه الموتيفات وتطورها، أو اختفائها، فاسحة المجال لظهور موتيفات أخرى، وهذا ما كان مغيبا تماما من بحث نسيمة عيلان، رغم أنها لم تغفل تحليل النصوص وفق الإطار الإيديولوجي و السياسي الذي أحاط بظروف نشأتها وظهورها.

[1]- RAYMOND TROUSSON.Ibid.P36 المرجع السابق ..ص .
« il est faut de considérer toujours le personnage , dans une étude thématique, seule la "situation" doit nous préoccuper »

و يمكننا القول،إجمالا، عن الإسهامات العربية في الحقل التيماتولوجي، أنها تعاني من الضآلة الكميّة والنوعية معا ، فجل الدراسات في هذا الحقل نجدها تعاني من:

1- إعتماد المنهج النقدي في التحليل، و الابتعاد عن منطلقات البحث في حقل الدراسات التيماتولوجية الذي يستدعي رصدا دقيقا و شاملا لمختلف التحولات الوظيفية للموضوع الواحد في الآداب المختلفة.

2- التداخل بين منهج البحث في الحقل التيماتولوجي و باقي حقول الأدب المقارن الأخرى لا سيما حقلي الصورائية و التأثير و التأثر.

3- التداخل المنهجي بين الدرس التيماتولوجي و الدرس التيماتيكي الذي لا يلتفت إلى دراسة الجانب الفني، وإنما يصب كل اهتمامه على دراسة البناء الفكري للعمل الأدبي ،بينما تستدعي الأسس المنهجية لحقل التيماتولوجيا إيلاء العناية اللازمة بالجانبين الموضوعي والشكلي معا، لأن الدراسة الشكلية من شأنها أنت ستاهم أيضا في جلاء التحولات الوظيفية للتيمة المدروسة .

4- إغفال الدراسة الشكلية التي نجد معالجتها قد لا تتعدى إطار صفحات قلائل، و هو ما لا يعطي لهذا الجانب حقه من الاهتمام والتبصر.

الفصل السادس

حقل الأنواع والمذاهب الأدبية

ا- الأنواع الأدبية:

يعنى الأدب المقارن بدراسة الأجناس الأدبية، في وحدتها وخصائصها الفنية المميزة لها، والتي يتفرد بها كل جنس عن الآخر. فالأجناس الأدبية لا تصنف بحسب موضوعاتها ، بل بحسب أسسها الفنية المرتبطة بالمضمون « **ففي تمييز الأجناس الأدبية تراعى خصائص مختلفة، فبعض هذه الخصائص يرجع إلى الشكل، من إيقاع ووزن وقافية، ومن بنية خاصة في ترتيب أحداث العمل الفني(الوحدة العضوية)، ومن حجم هذا العمل وطوله أو قصره (كما في القصيدة والمسرحية، ثم القصة مثلا)، ثم من الزمن الذي يشغله العمل الفني ... و بعض هذه الخصائص يرجع إلى المضمون، في صلته بالصياغة الفنية»**[1].

غير أن هذه الخصائص ليست ثابتة، فهي في حركة دائبة، تنمو وتتطور، وتنضج فنيا من عصر إلى عصر، ومن مذهب فكري إلى مذهب فكري آخر، استجابة للمتغيرات الاجتماعية و الثقافية للشعوب، عبر القرون المتعاقبة من الزمن، فتدخل عليها بعض العناصر الفنية الأجنبية.

وبين ثابت ومتحول، استطاعت الأجناس الأدبية أن تكفل لنفسها الاستمرارية والبقاء، مثلما هو الحال مع جنسي "المسرحية" و" الملحمة"، الذي يعود تاريخ نشأتهما إلى الآداب القديمة.

[1] – محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، ص 139

و قد كان "أرسطو" أوّل من حاول أن يقنن للأجناس الأدبية، ويحدد قواعدها، وسماتها الفنية الخاصة، في كتابه "فن الشعر"* ، مقتصرا على المسرحية والملحمة والمقارنة بينهما، منطلقا من نظرية المحاكاة، كما ربط الأجناس الأدبية بالمتعة والوظيفة الاجتماعية.[1]

فالفن لدى أرسطو هو محاكاة الطبيعة لأنها تشكل نموذجا ومعيارا له، مثلما يجمل الفن الطبيعة ويهذبها. فالمحاكاة مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنه، و هي لا تعني النقل المباشر أو التقليد الأعمى، وإنما هي دعوة إلى الخلق الجديد، وكم من حضارة بنت مجدها بمحاكاة الحضارات السابقة، مثلما هو الحال مع الرومان الذين حاكوا اليونان في الأجناس الأدبية فنما بها أدبهم و ازدهر.

و عليه « **أصبح من المسلم به أن هذا النمو للأدب من خلال الأجناس الأدبية، قد أدّى إلى استدامة هذه الأجناس في ثنايا الآداب المختلفة، كما أدّى إلى قيام صلات فنية تبعتها سمات اجتماعية في القرون المتعاقبة، و قد كشفت الدراسات العلمية والوصفية لهذه الأجناس الأدبية عن قيام صلات أدبية دولية لها أثرها و خطرها.**»[2]

* ـ كتاب "فن الشعر" (335 - 334 ق م)، لأرسطو طاليس ، وهو مجموعةمن المذكرات ألقاها على تلاميذه ، نقله إلى اللغةالعربية " عبد الرحمن بدوي " سنة 1963.

[1] لمزيد من المعلومات ، ينظر المرجع نفسه.

[2] – غنيمي هلال. المرجع السابق . ص 140

يتجلى ممّا تقدم العلاقة الكامنة بين الأدب المقارن والأجناس الأدبية، وهي علاقة تعاقبية، تسمح بتقفي أصول المصادر الفنية للأجناس الأدبية داخل الآداب القومية.

فالجنس الأدبي، في وحدته و أصالته، يكشف عن نمو الأدب، وتطوره من الداخل، وذلك لن يتأت إلا بتعاون الآداب القومية، فتنهل من بعضها البعض، و يغني بعضها البعض الآخر، وتستمد بقاءها و استمراريتها. فالأجناس الأدبية تنشأ « **طبيعية في الآداب القومية، دون الاستعانة في نشأتها بآداب أخرى، ولكنها حين تنهض وتنضج فنيا، استجابة لحاجات المجتمع الفنية والفكرية، تستمد عادة أكثر عوامل نموها ونهوضها من الآداب الأخرى.»** [1]

أو ربما ينشأ بفعل تأثره بالآداب الأخرى، مثلما هو الحال بالنسبة لجنسي "المسرحية" و "الرواية"، في أدبنا العربي، فالشعر كان يعتبر سجل العرب، و لسان حالهم، لكن سرعان ما تضاءلت مكانته وتراجعت لتفسح المجال لهذين "الجنسين" (المسرحية والرواية)، اللذان احتلا الصدارة في أدبنا العربي الحديث و المعاصر في فترة قياسية من الزمن.

و مرد هذا الاهتمام بهذين اللونين الأدبيين في أدبنا العربي، يعود إلى حركة البعث و التجديد التي مارسها دعاة التجديد و الإصلاح من المتبحرين في اللغة العربية وآدابها، نذكر من بينهم "توفيق الحكيم"، أبو المسرح في الأدب العربي، الذي مهدّ

[1] – غنيمي هلال. المرجع السابق. ص 141.

ولوج جنس "المسرحية" إلى الأدب العربي، و" محمد حسين هيكل "، صانع أوّل رواية فنية في الأدب العربي " زينب".

الأنواع الأدبية في المغرب العربي:

توجه المقارنون المغاربة إلى البحث في موضوع الأجناس الأدبية، فبرزت دراسات متنوعة، من بين هذه الدراسات، نذكر دراسة الباحث المغربي "محمد غرناط" حول **"مؤثرات الرواية الجديدة في الرواية العربية1970-1980 – ألف ليلة وليلتان نموذجا-"**، و هي رسالة معدّة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب، نوقشت سنة 1989 بفاس – جامعة سيدي محمد بن عبد الله، تحت إشراف الدكتور حسين المنيعي.

و في سنة 1992، تقدّم الباحث الجزائري "داود محمد" بدراسة حول **"أثر الرواية الجديدة في الرواية العربية – نجمة أغسطس نموذجا-"**، و هي رسالة ماجستير في الأدب المقارن، من إشراف الدكتور بن حلي عبد الله، نوقشت بجامعة وهران، سنة 1992*.

تهتم الدراستان بنشأة جنس "الرواية " في الأدب العربي، و المراحل التاريخية لتطورها، وهي ثلاثة مراحل:

* ـ أتبع الباحث دراسته هذه ، برسالة دكتوراه دولة حول " الرواية الجديدة في فرنسا (1950-1970)، مقاربة سوسيو نقدية" إشراف الدكتور بن حلي عبد الله ، نوقشت بجامعة وهران ، سنة 2004

1 -مرحلة التأسيس (1870-1914) .

2 -مرحلة انتقالية (من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية)

3 -مرحلة تأصيل الشكل الروائي.

كما تهتم، أيضا، برصد مظاهر التجديد في الرواية العربية بدءا من منتصف الستينات، بحكم تأثرها بالرواية الجديدة التي ظهرت في الغرب كرد فعل ضد الأشكال الروائية التقليدية.

وتجدر الإشارة إلى أن هتين الدراستين، إلى جانب اعتنائهما بظاهرة التأثير والتأثر بين الرواية الجديدة والرواية العربية، يعدّان من الدراسات النقدية، لاعتمادهما على تطبيق مناهج النقد الأدبي.

فهما تتعاملان مع قضية جوهرية في الأدب العربي، تتمثل في تأثر الرواية العربية بالرواية الجديدة الذي يظهر بجلاء على مستوى بنائها الفني، لأنه مهما بلغت درجة المؤثرات الأجنبية يبقى التأثير خارجيا، أمّا المضامين التي تعالجها الرواية العربية، فهي تنتمي إلى محيطها الأدبي و الاجتماعي خاصة، و أمّا « **لجوؤها إلى تقنيات الرواية الغربية، بصورة عامة، محكوم برغبة الروائيين العرب بتطويع هذه التقنيات لتلائم الرواية العربية» .** [1]

[1] – محمد غرناط . "مؤثرات الرواية الجديدة في الرواية العربية1970-1980 – ألف ليلة و ليلتان نموذجا-".ص 05

ومن بين أكثر الروايات تأثرا في بنائها الفني بالرواية الجديدة، نذكر"الحرافيش" لنجيب محفوظ، وثلاثية صنع الله إبراهيم " اللجنة"، "تلك الرائحة" و"نجمة أغسطس "، و"الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد و "ألف ليلة وليلتان" لهاني الراهب و غيرها .

و يتحدد تأثير الرواية الجديدة في الرواية العربية على مستوى التقنيات الفنية التي طوّرها الروائيون الغربيون لتجاوز التقنيات الكلاسيكية التقليدية، والتي حدّدها الباحث "محمد غرناط" في دراسته في خمسة عناصر :

1 -السرد الروائي

2 -الزمن الروائي

3 -الشخصية الروائية

4 -الوصف الروائي

5 -الحبكة الروائية

أما على مستوى الرؤية السردية للأحداث أو التقطيع السردي، فقد انتقلت الرواية « **من السرد المتسلسل للأحداث إلى السرد المتقطع الذي يقدم فيه الراوي المحكي على شكل لقطات ومشاهد حكائية منفصلة.**»[1]

[1] – محمد غرناط. المرجع السابق. ص 213

أما على مستوى زمن السرد، فقد انتقلت الرواية الجديدة من التسلسل الطبيعي للأحداث (ماضي، حاضر، مستقبل) إلى ما يطلق عليه تداخل الأزمنة، من خلال استعمال تقنيات مختلفة مثل الاسترجاع أو الفلاش باك، و الحلم...

مثلما تغير مفهوم الشخصية الروائية التقليدي، فاختفت الشخصية الرئيسية، لتحل محلّها ما أطلق عيه اسم" الشخصية المشيّأة"،**«حيث فقدت كل مقوماتها التي كانت تتميّز بها في الماضي، وصارت مجرد"شيء" بعدما صار الروائي، والقارئ على حد سواء، لا يستطيعان الإيمان بها»**[1].

أما فيما يخص "الوصف الروائي" فقد أفادت الرواية العربية من تقنيات الرواية الجديدة في جانب الوصف بأنواعه، "وصف المكان"، "وصف الشخصيات"، "وصف الأشياء"، كما تحرّرت الرواية الجديدة من القواعد الكلاسيكية الخاضعة للمخطط التقليدي :

العقدة

البداية حل العقدة

لتظهر روايات تكاد تخلو من الحبكة. و استطاعت هذه الدراسة، أن تبين أن الرواية العربية لم تقم بتقليد الرواية الجديدة تقليدا أعمى، في مضامينها و أشكالها، فهذا فهم خاطئ، وتعليل سطحي لطبيعة التأثير الحاصل بين الطرفين، لأنه يلغي دور

[1] – محمد غرناط. المرجع السابق. ص 214

العوامل الاجتماعية والتاريخية الفاعلة في عملية الإبداع، المتحكمة في نشأة الأجناس الأدبية وتطورها داخل مجتمع بعينه. «**فالرواية العربية في نشأتها وتطورها خاضعة لعوامل داخلية وعوامل خارجية. أما الداخلية فتتمثل في العوامل الاجتماعية والتاريخية المتحكمة في ولادة الأجناس الأدبية وتطورها بصورة عامة. أما الخارجية، فتتمثل بصفة أساسية في علاقة الشرق بالغرب التي تدخل ضمنها علاقات الجنس الروائي»** [1].

و في ختام هذه الدراسة، يمكن القول أن الرواية الجديدة بالمفهوم الذي نظّر له كتابها، مرتبطة بظروفها الخاصة، وواقعها الخاص الذي برزت فيه، و ترعرعت، أما الرواية العربية فتتسم بدورها بخصائصها المميزة التي تجعل منها نصا إبداعيا قائما بذاته، ومتفتحا على كل ألوان الإبداع الإنساني، و ما لجوءها إلى توظيف تقنياتها الجديدة إلا تجديدا يخدم أهدافا فكرية و إبداعية.

و إلى جانب "الرواية" حظيت "المسرحية"، بدورها، باهتمام المقارنين المغاربة، إذ نسجل عددا من الدراسات المقارنة التي أولت هذا الجنس الأدبي اهتمامها، لاسيما في علاقة "المسرح العربي" بالآداب العالمية، لأنه ليس بالإمكان أن نفكر في تطوير هذا المسرح دون ن ندرس مصادره و مكوناته، ومن ثمّ ظهرت أعمال متميزة نذكر منها رسالة الباحث "مناد الطيب" حول" **أثر المسرح الملحمي البريختي على أعمال ولد عبد الرحمن كاكي المسرحية – دراسة مقارنة لنموذجي "الإنسان الطيب**

---

[1] – محمد غرناط". المرجع السابق. ص 217.

في ستشوان" لبرتولت بريخت و "القراب و الصالحين" لولد عبد الرحمن كاكي" ، وهي رسالة ماجستير من إشراف الدكتور أمين الزاوي، نوقشت بجامعة وهران سنة 1996.

وفي سنة 2002، قدّمت الباحثة المغربية "عليوي فاطمة" رسالة دكتوراه دولة حول " **صورة البطل التراجيدي في المسرح الغربي و المسرح العربي** "، من إشراف الدكتور يونس لوليدي ، تمت مناقشها بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

وفي نفس السنة، قدّم البحث المغربي "كاريمي سعيد" بحثا **حول "مسرح القسوة وانعكاساته على التجريب في المسرح الغربي و المغربي"** ،و هي رسالة دكتوراه من إشراف الدكتور يونس لوليدي، نوقشت بجامعة المولى اسماعيل بمكناس، سنة 2002.

وفي سنة 2004، ناقشت الباحثة الجزائرية "فرقاني جازية" بجامعة وهران، رسالة دكتوراه دولة في تخصص الأدب المقارن حول موضوع : " **تجليات التغريب في المسرح العربي –سعد الله ونوس نموذجا-"**، من إشراف الدكتور عبد الملك مرتاض، وهي دراسة محكمة، تشكل لبنة صلبة في الساحة المقارنية العربية.

جاءت الدراسة في تمهيد و بابين، تناول الباب الأول أصول المسرح الملحمي، وأثره في المسرح العربي، وهو مقسم إلى أربعة فصول:

عنيت الباحثة من خلال الفصل الأول و الثاني بالتعريف بالجانب المؤثر من المقارنة، ألا وهو المسرح الملحمي لدى الكاتب المسرحي الألماني ب. بريخت B.BRECHT من خلال دراسة "الخلفيات التاريخية لنشأة المسرح الملحمي" وتقنيات التغريب وإجراءاته في المسرح البريختي.

ثم انتقلت في الفصلين الثالث والرابع من الباب الأول إلى دراسة أثر المسرح البريختي في مسرح المشرق والمغرب العربيين، من خلال إبراز قنوات انتقال بريخت والمسرح الملحمي إلى الوطن العربي معتمدة على نماذج كثيرة من الأعمال المسرحية لكتاب من مختلف الأمصار العربية، من بينهم الكاتب "سعد الله ونوس" وهو كاتب مسرحي سوري سعى إل تشييد مسرح أصيل، ملتحم بالمجتمع الذي ينتمي إليه.

وهكذا استطاعت الباحثة أن تبرهن عمليا مدى تأثر "سعد الله ونوس" بمسرح "بريخت" BRICHT الملحمي، مدعمة تحليلها بالوثائق والشواهد الضرورية.

انتقلت الباحثة في الباب الثاني إلى دراسة تحليلية مقارنة أكثر دقة وعمقا، لإبراز مظاهر تأثر مسرح"ونوس" بالمسرح البريختي، على مستوى المضمون والتقنيات الفنية، وجهود "ونوس للتأسيس لمسرح ملحمي عربي"، من خلال المزج بين دراسات التأثير والدراسات النقدية من أجل فحص الجوانب الجمالية و الفنية وتحليلها.

واستطاع هذا البحث أن يبين أن مسرح "سعد الله ونوس" هو مسرح أصيل وفعّال، لأنه لم يتأثر بالآخرين إلى درجة التقليد الأعمى، وإنما كان فنانا أصيلا استطاع

أن يحول التأثر إلى طاقة إبداعية، متجاوزا وبتفوق الجماليات التقليدية والوحدات الثلاث، مستفيدا من تقنيات المسرح الشعبي و الجماليات التراثية، و توظيفها لإغناء الفكرة و تقريبها من الجمهور.

و إلى جانب "الرواية" و"المسرحية" يطالعنا الباحث المغربي "سعيد علوش" بدراسة جديدة ومتميزة في الأجناس الأدبية، معرّفا القارئ العربي بنوع جديد كل الجدّة من الأنواع الأدبية، قلّما تناقلته الدراسات العربية، ألا وهو "شريط القصة المصورة" les bandes déssinées، أو ما اصطلح عليه في لغة النقد " الفن التاسع" من خلال مؤلفه الحديث الموسوم بـ " **الفن التاسع- نهارات الحكي في شريط القصة المصورة**" الصادر عن دار أبي رقراق للطباعة و النشر بالرباط، سنة 2003.

II -التيارات الأدبية :

تعد التيارات الأدبية ظواهر تاريخية تعكس الاتجاهات الفكرية والفنية والاجتماعية والفلسفية للشعوب، عبر توالي الحقب الزمنية المختلفة. إنها تمثل نظاما مفتوحا على كل التحولات، والتطورات التي تسمح بتعاقب الأنظمة التاريخية وتتابعها، فإذا «**تأملنا أدب الفترة المعاصرة، منذ بداية تكون المجتمع البرجوازي، لأدركنا عند مختلف الشعوب تلاحقا طبيعيا للتيارات الأدبية، فالتغييرات المتتابعة وصراع الأساليب الأدبية الكبرى الخاصة بكل تيار، لا يمكن أن تكون تشابهاتها مجرد نتيجة صدفوية، ولكنها تتحدد تاريخيا بشروط مشابهة للتطور الاجتماعي – النهضوي/الكلاسيكي/الرومانسي/الواقعي/الطبيعي/الحداثي في الفضاءات التي شهدت تطورا تاريخيا مطردا وطبيعيا.** »[1]

[1] ـ سعيد علوش .التيارات والتأثيرات الأدبية. ص 81

وهكذا يمكننا اعتبار أن التيارات الأدبية، هي ظواهر انتقالية تعبر عن روح العصر الذي نشأت فيه، وتنتمي إليه، وتمثله خير تمثيل، فكانت فيه « **بمثابة تيار عام فرضه العصر على صفوة كتابه المفكرين كي يستجيبوا لمطالبه، ويقودوا إمكانياته، ويبلوروا مثله، ويشاركوا في وجوه نشاطه الإنسانية. وهذه المذاهب لدى دعاتها وممثليها الحقيقيين ليست مفروضة عليهم من خارج نطاق الفن، لأنها صادرة عن اقتناعهم وولائهم لروح عصرهم وإيمانهم برسالتهم الإنسانية فيه**»[1].

فكل مذهب يعكس الجوانب الفكرية والاجتماعية والفلسفية لعصره، و يحرص على تصوير مشكلاته وتجسيد قضاياه، ومع توالي العصور تتلاحق التيارات الأدبية، وتظهر ظواهر انتقالية «**هي عبارة عن توارث أنظمة ذات وظائف محددة لأنظمة أخرى مستكملة لها، في شكل تداخلات حلقية غير متناهية تعمل فيها تناقضات المذاهب في العمل الواحد أدوارا يصعب تأويلها** »[2].

فعلى الرغم من تعدد التيارات الأدبية وتباين أوطانها واختلاف وظائفها إلا أنها تشترك في خصائص معينة أهمها التعبير عن الإنسان و الأشياء والكون، وهذا ما يجعل الدراسات المقارنة تهتم بالتيارات الأدبية بوصفها اتجاهات فكرية و فنية عالمية تعاونت الآداب الكبرى في صناعتها . فهذا الحس المشترك بين هذه الاتجاهات الفكرية « **هو ما يدفع المقارن إلى البحث عن مقابلة هذه النزعة في كل أدب وطني بالأدب**

[1] - غنيمي هلال. المرجع السابق. ص 374

[2] - سعيد علوش. المرجع السابق .ص82

الثاني والثالث، لحصر أوجه الأخذ والعطاء، بل والصدق»[1] ،و هذا ما يؤكد وجود صلات ثقافية و تأثيرات متبادلة بينها يتفرد الأدب المقارن بمهمة جلاء طبيعتها ودواعيها.

التيارات الأدبية في الوطن العربي :

تعد التيارات الأدبية تيارات غربية المنشأ، لا نعثر على نظائر لها في أدبنا العربي القديم، ظهرت في سياق تاريخي خاص لتعبر عن وضعيات فكرية وأدبية مختلفة عن السياق التاريخي الذي ظهرت فيه في الثقافة العربية، لذلك يمكن القول مع سعيد علوش أن التيارات الأدبية في الوطن العربي هي «**ظواهر انتزعت من سياقاتها التاريخية وكيفت لتعبر عن وضعيات ثقافية و أدبية تخالف تاريخيا العصر الذي ظهرت كرد فعل فيه على ظواهر سابقة»** [2].

فالتيارات الأدبية في الوطن العربي أفرزتها ظروف مختلفة لا مناص لفهمها من الرجوع إلى مثيلاتها في العالم الغربي، للوقوف على أسبابها.

وحري بالذكر في هذا المقام، أننا في الوطن العربي لم نتأثر بمذهب بعينه من المذاهب الغربية، ولكن تأثرنا بها جميعا بصورة غير ممنهجة، بمعنى « **أن الطريقة التي ظهرت بها المذاهب و التيارات في الأدب العربي كانت جد معقدة لتداخل الأفكار، بل وتناقضها في الاتجاه الواحد** »[3]،بسبب تلقي أغلب هذه التيارات دفعة واحدة، «**لذلك**

[1] - سعيد علوش. المرجع السابق.ص 83
[2] - نفسه. ص 79
[3] - نفسه . ص 80

كان الاحتياط المنهجي ضروريا لكل مقاربة لموضوع التيارات، ولا يعني بحث التيارات الأدبية ضرورة الكشف عن أصولها الأجنبية أو المحلية فقط بعيدا عن الإلمام بالكيفية التي تتكون بها، واستجابتها للحاجيات الفكرية و الأدبية التي يتطلبها»[1] .

فأشكال التأثيرات الأدبية العربية في حقل التيارات الأدبية مفتوحة ومتنوعة، لذلك تقتضي الضرورة المنهجية إلى معالجة الوقائع و الأحداث الأدبية العربية بمقابلتها بنظيرتها في الأدب الغربي، « **فالتأثير الأدبي يصبح ممكنا بواسطة وجود تقابلات نتيجة التطور الأدبي والاجتماعي، و يقود غياب هذا التمكين الأساسي بالتأكيد إلى تشويه الوجه الواقعي للعلائق و الروابط العالمية من الوجهة المنهجية ومنهج البحث العلمي .»**[2]

وتمكن هذه المقابلة، لا محالة، من جلاء تقاليد الأدب الغربي، و خصوصياته التاريخية والوطنية والاجتماعية، و مقابلتها بخصوصيات الأدب العربي، والوقوف على حقيقة الحاجة الداخلية للتأثر لديه بوصفه الطرف المتأثر.

---

[1] - سعيد علوش. المرجع السابق.ص 80
[2] - نفسه . ص 80

النموذج التطبيقي الأول:

"الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"

يعد مؤلف **"الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"**، لعبد القادر شرشار من الكتابات القلائل التي تناولت "جنس الرواية البوليسية" في الوطن العربي، و الدراسة في الأصل أطروحة دكتوراه دولة في الأدب المقارن، نوقشت سنة 1992، بجامعة وهران من إشراف الدكتور أمين الزاوي .

تبحث هذه الدراسة في الأصول التاريخية الأولى للرواية البوليسية، وخصائصها الجمالية الفنية التي سمحت لها بولوج عالم "الأدب"، وأثر ذلك كلّه على الرواية العربية. وهو اختيار متميّز، يمتاز بالجرأة العلمية لاتساع مساحة الجدل التي أثارتها "الرواية البوليسية" منذ نشأتها، إلى درجة التشكيك في شرعية انتمائها إلى حقل الآداب من جهة، و إلى قلة الدراسات العربية التي التفتت إلى هذا الجنس الروائي من جهة أخرى.

ومن ثمّ، جاءت دراسة "عبد القادر شرشار" للرواية البوليسية لتسدي خدمة كبيرة إلى الدراسات الأدبية المقارنة التي اهتمت بدراسة الرواية في نشأتها وتطورها في الوطن العربي، و إغنائها وتنويعها.

ويعزو الباحث اختياره هذا إلى سببين أساسين هما :

« 1- اتساع كتلة الكتابات البوليسية وتنوعها.

2- رفض هذه الكتابات وعدم الاعتراف بشرعيتها، كآداب جادة و تستحق اهتمام الدارسين»[1].

فعلى الرغم من النقاش الحاد الذي يثيره هذا اللون الأدبي، إلاّ أنه عرف منذ نشأته، إقبالا لا متناه، وحقق انتشارا واسعا، و أصبح له جمهوره المتذوق، و شعبيته الخاصة، ولعلّ هذه الأسباب هي التي كانت وراء التحقيقات الأدبية التي مورست على "الرواية البوليسية" من أجل فك رموزها.

فهذه الدراسة، من حيث كونها تبحث عن قضية جوهرية ألا وهي نشأة الرواية البوليسية في العالم العربي، لم تهتم بظاهرة التأثير و التأثر فحسب، وإنما تصدّت أيضا لفحص الجوانب الجمالية و الفنية للأعمال الروائية، وتحليلها وتقييمها. وعليه سطّر الباحث لدراسته خطّة منهجية تنقسم إلى قسمين اثنين على المنوال الآتي :

[1] – عبدالقادر شرشار. "الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"، ص06.

القسم الأوّل: "الرواية البوليسية من حيث النظرية والأصول التاريخية والخصائص الجمالية".

الفصل الأوّل: تحديد الرواية البوليسية و انتمائها لحقل الآداب

الفصل الثاني: إشكالية الجنس الروائي

الفصل الثالث: أصول الرواية البوليسية

الفصل الرابع: الخصائص الفنية للرواية البوليسية من خلال بعض نصوصها.

القسم الثاني: "أثر الرواية البوليسية في الرواية العربية"

الفصل الأول: مسوغات غياب النص البوليسي في الرواية العربية بالمواصفات الغربية

الفصل الثاني: الحس البوليسي في الرواية العربية

الفصل الثالث: الرواية البوليسية الجزائرية

خصص الباحث القسم الأول من بحثه إلى دراسة تاريخية تحليلية لجنس "الرواية البوليسية" منذ نشأتها في أوروبا، وانتشارها بصورة واسعة، وحضورها في أغلب أفلام التلفزيون و السينما، و هو الأمر الذي أثار اهتمام النقاد و الدارسين من جميع الاختصاصات، أدبيين كانوا أم صحفيين، وحتى رجال الاقتصاد الذين اعتبروها مادة استهلاكية ذات رواج عال.

وبين رافض ومؤيد لشرعيتها الأدبية، صنفت الرواية البوليسية، في المراتب الأدبية الدنيا، ونعتت بأنها لون للتسلية لا غير، في حين تزايد عدد كتابها في أوروبا، ثمّ أمريكا، و أطلق عليها في فرنسا تسمية POLAR (ومعناها رواية بوليسية ذات طابع شعبي) .

سلّط الباحث الضوء على الأصول التاريخية للرواية البوليسية مستندا إلى تعاريف النقاد ودراساتهم، إلا أن تضارب هذه الدراسات، وعدم اتفاقها، لم يُسعف الباحث إلى التوصل إلى ظروف نشأة الرواية "البوليسية" و تطورها، فهناك من يعيد أصولها إلى الأساطير الأدبية القديمة، وهناك من ينسبها إلى "إدغار آلان بو"، ليخلص في النهاية إلى إمكانية عودتها إلى « **الأساطير الشعبية القديمة من عربية و إغريقية، و فولكلور سلتيكي وغيرها...»** [1] **.**

مثلما أدّت الظروف الاجتماعية المتغيرة، وفلسفة المجتمع العامة دورا كبيرا في تطور "الجنس الأدبي البوليسي"، ناهيك عن العوامل الفنية الجمالية التي تميّز هذا النوع الأدبي عن باقي الأنواع الأدبية الأخرى، « **فقد كشفت الرواية البوليسية في بداية هذا العصر عن نفسها، فبدت في ثوب جذاب، مصوغة بلغة سهلة، تستلطف – أحيانا- عبارات هجينة (METISSAGE LINGUISTIQUE) مطعمة بألغاز تشحذ عقول القراء، وتنمي طاقاتهم الفكرية، مستندة إلى بناء خاص، يستهدف إلى جلب القراء بما يتضمنه من مادة تتناسب و الذهنية المعاصرة، (من إجرام وعمليات سطو، وفضح أسرار شخصيات معتبرة اعتداء على شرف...إلخ) »**[2]**.**

وبعد رصد مسار نشأة الرواية البوليسية في الأدب الغربي، و تطورها، و تحليل أسسها الفنية، ينتقل الباحث في القسم الثاني من الدراسة إلى دراسة "أثر الرواية البوليسية في الرواية العربية"، وقنوات اتصالها بالعالم العربي عن طريق الترجمة من

[1] – عبد القادر شرشار. المرجع السابق . ص167.
[2] – نفسه . ص 167/166.

جهة، وكتابات الروائيين العرب الذين تأثروا بهذا النوع الجديد، وكتبوا على منواله من جهة أخرى.

ولم يكن المغزى من هذه الدراسة يكمن في التعريف بروّاد الاتجاه البوليسي في الوطن العربي، و إنما يكمن في رصد مظاهر تكيّف هذا النوع الأدبي، وتطوره، وسط فضاء جغرافي، و أدبي، و اجتماعي محدّد. فلا يمكن لأي دراسة في الأجناس الأدبية أن تتم بمعزل عن العوامل التاريخية و الدينية والبيئية و الفكرية للمجتمع الذي ظهرت فيه.

وفي تحليله لأثر الحس البوليسي في الرواية العربية، اعتمد الباحث على استخراج مقومات هذا الحس من خلال الأعمال الروائية مباشرة، ووقع اختياره على رواية "الشيء الآخر"* لغسان كنفاني (1936 – 1972)، وكانت ابرز نتيجة أفضت إليها الدراسة هي ما أطلق عليه الباحث عنوان: "مسوغات غياب النص البوليسي في الرواية العربية بالمواصفات الغربية"، بمعنى أن الروائي "غسان كنفاني"، قد تأثر فعلا بتقنيات الرواية البوليسية الغربية في روايته "الشيء الآخر"، أومن قتل ليلى الحايك؟ إلا أنّه ظلّ وفيا لخصوصية المجتمع العربي، وطبيعة كتابته، فالمضامين التي تناولتها الرواية، والمعاني الفنية تعكس واقع المجتمع العربي وثقافته.

وتوصل الباحث إلى تحديد أسباب غياب النص البوليسي في الأدب العربي بالمواصفات الغربية والتي تعود إلى عوامل مختلفة، منها ما له علاقة بطبيعة المجتمع

* - صدرت هذه الرواية في تسع حلقات متتالية بمجلة "الأسبوعية" ابتداء من25 حزيران 1966، تحت عنوان " من قتل ليلى الحايك؟" ، لكنها لم تنشر إلا سنة 1980من قبل مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت.

العربي نفسه، ومنها ما له علاقة بالخصائص الجمالية للغة العربية التي تميزها عن باقي اللغات العالمية، ويحصرها في العناصر الآتية:

« أ- طبيعة الحكم في الوطن العربي، وعدم الفصل بين السلطات.

ب – التأثر السلبي بأشكال الحكم المستوردة، و المطبقة في الوطن العربي، والتي تعكس تناقضا صارخا بين المظهر الخارجي لقواعد الحكم، والبنية الاجتماعية للتفكير العربي الإسلامي، و من ثمّ تجلى الانفصال بين الشكل المستورد، والواقع المعيش، لذلك استعصى على الحداثة العربية تمثل هذا الجنس الأدبي الذي اعتبره الغربيون قناة لبث شرعية البرجوازية الحاكمة وإيديولوجيتها.

ت - طبيعة اللغة العربية، وخصائصها النحوية و الصرفية و الفكرية، حيث لا يزال التعامل مع اللغة يخضع لصرامة القواعد النحوية، ولا يسمح بأي انفجار لها، على غرار ما هو الحال في لغة السرد في النص البوليسي الغربي.

ث – أثر الثقافة العربية الإسلامية في الكتابات الأدبية و الفكرية، والرافضة لبعض المضامين المتعلقة بالجنس، و الخمر، والعلاقات الاجتماعية الشاذة بصورة عامة.

ج- اختلاف مفهوم الجريمة في البيئة العربية الإسلامية عن مفهومها في البيئة الغربية ، و ما يترتب من نتائج عن هذا التباين في الفهم و التعامل »[1].

[1] – عبد القادر شرشار. المرجع السابق. ص 168-169

وانصرفت الدراسة في آخر فصولها إلى الرواية البوليسية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و قد اجتهد الباحث في التأريخ لنشأتها في الجزائر بدءا بأعمال الروائي يوسف خضير الصادرة ما بين سنة1970 و 1972 و هي :

1 - تحرير فدائية DELIVREZ LA FIDAYA 1970

2 - الانتقام يمر بغزّة LA VENGEANCE PASSE PAR GHAZA

3 - توقيف مخطط الإرهاب HALTE AU PLAN TERREUR 1970

4 - الجلادون يموتون أيضا LES BOURREAUX MEURENT AUSSI 1970

5 - منع الطائرة فونتوم عن تل أبيب PAS DE PHONTOM POUR TEL AVIVE 1970

6 - النمور تتدخل LES PANTHERES ATTAQUENT

والكاتبة "زهيرة عوفاني":

1 - صورة مفقود LE PORTRAIT DU DISPARU 1985

2 - قراصنة الصحراء LES PIRATES DU DESERT 1987.

و الكاتب "جمال ذيب":

1 - بعث عنترة RESURECTION D'ANTAR 1986

2 - ساغا الجن LA SAGA DE JINS 1987

3 - أرخبيل شلاق L'ARCHIPEL DU STALAG

و الكاتب "سليم عيسى":

1 - ميمونة MIMOUNA

2 - عادل يعرقل ADEL SE MALE

و الكاتب "عبد العزيز عمراني":

1 - هجوم مضاد CONTRE ATTAQUE

2 - مصيدة من أجل تل أبيب PIEGE POUR TEL AVIVE

واستطاع الكاتب من خلال تحليله لعينة من هذه الأعمال الروائية الوقوف على بعض من مميزات الرواية البوليسية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و التي جاءت للتعبير عن التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بلغة فرنسية اللسان، غير أنها عربية الروح، كتبت بأسلوب يتواءم مع التيار الفرنكفوني بالجزائر الذي أفرزته الظروف الاستعمارية. فالرواية البوليسية الجزائرية تأثرت بالأعمال الغربية تأثيرا عميقا و خلاقا على مستوى الشكل، إلا أن الفرق بينها واضح على مستوى المضامين المعالجة.

ويستنتج في نهاية هذا الفصل « **أن الرواية البوليسية الجزائرية الفرنسية اللغة، لا يمكن مقارنتها بأعمال (د. هاميلت) و(شندلر) أو (أجاتا كرستي)، ولكن يمكن اعتبارها محاولات أولية واعدة، إذا أحسن استثمارها من خلال القراءات النقدية الجادة والمعمقة، وتمّ نقلها إلى العربية لتكون حافزا للكتاب الشباب للاتجاه بهذا**

الجنس الأدبي إلى غاية نبيلة، وذلك من خلال استغلال فنيات الرواية البوليسية وأسلوبها البسيط لإمتاع جمهور القراء وتعليمهم، في زمن فقد فيه الناس متعة القراءة، نظرا لتأثير وسائل الإعلام السمعية البصرية، و انتشار شبكات الإنترنيت، وانعكاساتها السلبية – أحيانا – على الكتاب.»[1]

وفي ختام هذه الدراسة حول **"الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"**، يمكننا القول أنها دراسة جديدة في موضوعها ومضامينها، استطاعت أن تحيط بعالم "الرواية البوليسية" منذ بداياتها المترامية في القدم، و التي تعود إلى الأساطير الشعبية القديمة، إلى يومنا هذا، حيث استقلت بخصائصها و لقطاتها الفنية، ومضامينها البوليسية التي ميّزتها عن باقي الأجناس الأدبية، و كفلت لها شرعية الانتساب إلى الألوان "الأدبية" بعد صراع استمر ردحا من الزمن بين مؤيّد و معارض لهذا التوجه الجديد.

وتطورت الرواية البوليسية عبر الآداب المختلفة، و مهدت لظهور أجناس أخرى تنحدر جميعها من أصل واحد، ألا وهو " الرواية البوليسية الأم"، نذكر من بين هذه الأجناس "رواية التجسس" التي تعد شكلا متطورا من الرواية البوليسية.

و لم تتوقف الدراسة عند حدود نشأة الرواية البوليسية وتطورها في مختلف الآداب الغربية، بل أضفى على المقارنة طابعا أكثر عمقا ودقة، وذلك من خلال إحلال الأدب العربي طرفا ثانيا في المقارنة بينه و بين الأعمال الروائية الغربية، من أجل تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين طبيعة الكتابة وخصوصية المجتمعين المتباينين

[1] - عبد القادر شرشار، المرجع السابق، ص 165.

والمتباعدين ثقافيا و حضاريا، أي بين فضاءين حضاريين مختلفين بكل ما تحمله لفظة حضارة من أبعاد ثقافية وسوسيولوجية وانتروبولوجية. و إن كنّا نأمل أن يذيّل الدراسة بثبت بيبليوغرافي شامل حول الرواية البوليسية في الوطن العربي من أجل تعزيز الدراسة و التدليل على نسبة النتاج العربي داخل هذا اللون الأدبي الحديث.

وفي دراسة أكثر تحديدا، خصّ الباحث جنس "الرواية البوليسية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية" بفصل مستقل تناول فيه إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، و إشكالية الجنس الروائي البوليسي فيه، إلاّ أننا نرى أن مثل هذه الدراسة تستحق أن يفرد إليها مساحة أوسع وأشمل.

فالرواية البوليسية عرفت بالجزائر إقبالا خاصا، لاسيما بعد الأحداث الدامية التي عرفتها المنطقة، وبرزت أسماء بارزة مثل الكاتب "ياسمينة خضرة" YASMINA KHADRA الذي استطاع بكتاباته التي صوّرت بريشة صادقة معاناة الشعب الجزائري، أن يصحح نظرة الرأي العام العالمي تجاه النكبة الجزائرية في التسعينيات من القرن 20، وكان لرواياته البوليسية أثرها ليس على القراء فقط، بل على الصحافة و الإعلام أيضا.

النموذج التطبيقي الثاني:

أثر الرمزية في مسرح توفيق الحكيم

تسعديت آيت حمودي

تقوم هذه الدراسة على إبراز أثر التيار "الرمزي" في الأدب العربي ممثلا في أعمال الكاتب و الأديب المسرحي الكبير"توفيق الحكيم" الذي « **استطاع أن يستوعب المسرح الغربي، ويتمثل تقاليده، واتجاهاته تمثلا واعيا، و يمزجها بثقافته العربية مزجا أصيلا وذكيا يتلاءم مع طبيعته الخاصة، وحالة المجتمع العربي الذي نشأ فيه»**[1]**.** والذي يعود له الفضل في تعريف الأدب العربي بهذا الجنس الأدبي.

ولعل هذا هو الدافع الذي كان وراء اختيار الباحثة لمسرحيات "توفيق الحكيم" مادة تطبيقية لدراستها المقارنة حول تأثير الاتجاه الرمزي في أدبنا العربي، وهي على التوالي:

1 ـمسرحية "أهل الكهف"

2 ـمسرحية " بيجماليون"

3 ـمسرحية " الملك أوديب"

4 ـمسرحية " شهرزاد"

5 ـمسرحية " يا طالع الشجرة"

[1] ـ تسعديت آيت حمودي . أثر الرمزية في مسرح توفيق الحكيم. بيروت . دارالحداثة، 1986. ص 05

وقد تمّ اصطفاء هذه الأعمال المسرحية لكونها تمثل الاتجاه "الرمزي" بشكل أكثر وضوحا عن غيرها من مجموع أعمال " توفيق الحكيم".

ولما كانت الضرورة المنهجية تقتضي من الباحث تحديد أهداف الدراسة ودوافعها مسبقا، نجد الباحثة تحدد أهدافها من الدراسة قائلة :

« إن هذه الدراسة لا تستهدف وضع توفيق الحكيم في "خانة" معينة، فهذا الانتماء للاتجاه الرمزي ليس معناه التمسك بحرفية هذا الاتجاه، وخلو أعمال الحكيم من التأثيرات الأخرى، إنما يعني بروز عناصر معينة وغالبة في هذه الآثار تشير إلى هذا الانتماء، إن الهدف الأول من هذا البحث هو دراسة آثار توفيق الحكيم، دراسة تكفي لوضع أيدينا على نقاط الالتقاء مع الكتاب الآخرين، وكيفية الاستفادة منهم، وطريقته الخاصة في المعالجة، ولعل هذه الطريقة في تناول الأعمال الفنية، هي التي تيسر لنا الدخول في عالمها الفني، و تتيح لنا فهمها فهما صحيحا وسليما.»[1]

تطرح الباحثة، في هذا التحديد، نقطتين جوهريتين هما من صميم البحث في حقل التيارات الأدبية، وهما على التوالي :

1 - إن الزعم بانتماء الأدب العربي إلى هذا التيار أو ذاك من التيارات الأدبية الغربية، ضرب يشوبه الكثير من الخطأ، لأن فضاء العالم العربي تلقى هذه التيارات الأدبية دفعة واحدة، **« وهكذا يستعصي الحسم في سيطرة مذهب واحد على فترة واحدة أو إبداعية عمل أدبي واحد»**[2]، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة مؤكدة أن هذه الدراسة لا تهدف إلى وضع "توفيق الحكيم" في "خانة" معينة، بل تهدف إلى جلاء

[1] - تسعديت آيت حمودي.المرجع السابق. ص 08
[2] - سعيد علوش. المرجع السابق.ص 82

بعض الملامح البارزة للتيار الرمزي في أعمال الكاتب، من أجل تفنيد الاعتقاد السائد عن مسرح "توفيق الحكيم" المتمثل في كونه مسرح ذهني مجرد، يجمد الرمز، ويحصر معناه في إطار ضيق، الأمر الذي أدّى إلى « **إهمال البحث في النواحي الفنية والدرامية في هذا المسرح باعتباره تجسيدا لتجربة إنسانية في إطار تقليد فني معين.**»[1]

2 - إن المنهج المقارن هو المنهج الأنسب لدارسة تأثير التيارات الأدبية بين الآداب، لأنه يسمح بتقييم الأعمال الأدبية، ومقارنتها بالأعمال السابقة، وجلاء مواطن الاتفاق و إيّاها في الاتجاه، ومواطن الاختلاف، وبالتالي تحديد مبلغ التأثر بها، وطريقة تمثل أفكارها والاستفادة منها، ومن ثمّ الكشف عن القيمة الفكرية والفنية للأثر الأدبي المنتج.

المنــهج :

قسمت الباحثة دراستها إلى فصول أربعة هي:

الفصل الأول: تعرضت فيه الباحثة إلى مفهوم مصطلح الرمزية، وحدوده التاريخية وفلسفته الخاصة، ومساره فيما بعد حتى تغلغل في فن القرن 20 وآدابه، بمختلف أجناسه واتجاهاته.

الفصل الثاني : تعرضت فيه إلى لمسرح الرمزي للتعرف على أسسه ومقوماته وتحليل نماذج منه.

[1] - تسعديت آيت حمودي.المرجع السابق. ص 08

الفصل الثالث: دراسة لطبيعة الرمز في مسرح توفيق الحكيم ببعديه الأسطوري والتوليدي.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية مقارنة لثلاثة نماذج من مسرح توفيق الحكيم الرمزي، ومقارنتها بالأعمال الفنية الغربية .

اعتنت الباحثة بالتعريف بالاتجاه المؤثر ألا وهو " المذهب الرمزي"، وذلك على مدار فصلين كاملين كانا بمثابة " الأرضية" لمادة البحث، و النهج المنير لتمثل خصائص المذهب الرمزي، و التعرف على أسسه ومقوماته.

إن هذا التقديم ضروري وملح بالنسبة للدراسة المقارنة، لأنه يعرفنا على الاتجاه الرمزي Le symbolisme ، وهو « **أحد الاتجاهات المهمة في الأدب والفن في القرن الماضي، وبخاصة في فرنسا، كما تأثرت بها بعض الكتابات الفلسفية واللغوية، وإن كان المصطلح يطلق في العادة على مدرسة الشعر التي ازدهرت على أيدي بعض أتباع الشاعرين ستيفان مالارميه Stéphane Mallarmé و بول فرلين Paul Verlaine الذين خرجوا على النمط السائد فيما يعرف باسم المدرسة البرناسية في الشعر،وكذلك المسرح الواقعي و على الرواية " الطبيعية "، وحاولوا أن يعبروا عن طريق استخدام الرموز عن سر الوجود**»[1].

---

[1] - يوسف عيد. المدارس الأدبية ومذاهبها . ج 1 .بيروت. دار الفكر اللبناني.ط1، 1994. ص 170

فالرمزية اتجاه فني يقوم على الرمز والخيال والإيحاء، وبدل أن يعبر الكاتب عن أفكاره بطريقة مباشرة نجده يلبس الفكرة من خياله رموزا من المعاني العقلية، والمشاعر العاطفية تشير في النهاية إلى الفكرة أو العاطفة بصورة غير مباشرة وملتوية، و لعلّ هذا ما سوغ للنقاد القول أن معظم « **التيارات التي ظهرت في فرنسا، وخارجها، ما هي إلاّ أشكالا جديدة للرمزية، وتنمية لبعض مبادئها، وتعميقا لخصائصها، وخاصة فيما يتصل بالعلاقات بين الفنان و الواقع، و الفكر والمادة أو الذات و الموضوع»**[1]، لأن الأدب بكل أنواعه، وفي جميع عصوره، لا يحقق أهدافه عن طريق التصريح و التقرير، و إنما عن طريق التلميح والإيحاء.

ومن أجل الوقوف أكثر على خصائص ومميزات هذا المذهب الرمزي لجأت الباحثة إلى تحليل بعض الأعمال الأدبية من المسرح الرمزي الغربي، و هي :

1 -مسرحية " يلياس وميليزاند" للكاتب البلجيكي "موريس ميترلينك".

2 -مسرحية " البطة البريّة" للكاتب النرويجي "هنريك إبسن".

3 -مسرحية "طائر البحر" أو"النورس" للكاتب الروسي " أنطوان تشيكوف".

وسعت الباحثة جاهدة في تحليلها لهذه الأعمال المسرحية إلى تبيين أهمية البناء الفني ودوره في جلاء الفكرة، و أثر الرمزية على المسرح الذي كان يتنازعه اتجاهان أساسيان هما :

- الاتجاه الواقعي
- الاتجاه الكلاسيكي

[1] - تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق. ص 36

وكيف تمكنت الرمزية من أن تجعل المسرح يتخلّص من قيوده ليتحرر من «**تقليد الطبيعة تقليدا حرفيا، و أصبح يعتمد على الفكر والخيال، والتأمل فيما وراء الطبيعة، وإضفاء روح من الشاعرية والتركيز على الإيحاء حتى فيما يتعلق "بتكنيك المنصة" والديكور المسرحي**»[1]، وذلك بالاستعانة بالأسطورة والرمز والجو غير الواقعي، وبالتعويل على خيال المتفرجين وتفاعلهم أيضا.

وبعد التفصيل في التعريف بخصائص المذهب الرمزي، تلتفت الباحثة انطلاقا من الفصل الثالث إلى الطرف الثاني من المقارنة- المتأثر- مجسدا في الأعمال المسرحية لتوفيق الحكيم.

وقد كانت حريصة في مستهل هذا العنصر على الكشف عن العلاقات التاريخية التي جمعت "توفيق الحكيم" بالاتجاه الرمزي، و التي تعود في جوهرها إلى عنصرين أساسيين هما:

1 -سفره إلى فرنسا

2 -نزعته الروحية

فقد كان لسفر الحكيم إلى فرنسا أثره في تكوينه الفكري و الفني، إذ سمح له بالانفتاح على مجتمع مختلف، غاية في الرقي و التحضر، فانصهر فيه، وتزود من علومه وفنونه، فدرس الفن والرسم، وتعرف على الأدب الإغريقي، والتراجيديا اليونانية، بالإضافة إلى نزعته الروحية الميتافيزيقية. وكانت هذه العوامل مجتمعة وراء توجهه نحو الاتجاه الرمزي، « **فهذا التعلق الشديد بالفنون المختلفة باعتبارها تمثل**

[1] - تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق . ص 60

وحدة أساسية في البناء والجوهر والغاية إحدى المبادئ الأساسية للمذهب الرمزي.»[1]

ومن ثمّ عمدت الباحثة إلى انتقاء ثلاثة أعمال مسرحية للحكيم، تعد ثمرة نتاجه الفني، ومقارنتها فنيا بأعمال أجنبية على النحو الآتي :

1 للبناء الرمزي في مسرحية "بجماليون" مقارنة بينها و بين مسرحية "ابسن"،"عندما نبعث نحن الموتى".

2 للبناء الرمزي في مسرحية "شهرزاد"، مقارنة بينها و بين مسرحية موريس ميترنيك "يلياس وميليزاند".

3 للبناء الرمزي في مسرحية "يا طالع الشجرة" مقارنة بينها وبين مسرحية يوجين يونسكو " الكراسي".

[1] - تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق. ص 92

و عن دواعي هذا الاختيار، تؤكد الباحثة أنها «**عمدت إلى تحليل ثلاثة نماذج من مسرح الحكيم الرمزي مع مقارنتها بالأعمال الفنية التي لا تتفق مع مسرحيات "توفيق الحكيم" في الموضوع والتفاصيل، و إنما تتفق معها في التكنيك وفي وسائل الأداء الفني التي هي عدّة الكاتب الأساسية». [1]**

ومعنى ذلك أن الباحثة كرّست دراستها عند حدود مقارنة الأسلوب للكشف عن مقومات البناء الفني بين الحكيم والأدباء الأجانب، وقد تمّت المقارنة على مستوى العناصر الآتية:

1 ـ الشخصيات

2 ـ استخدام الصورة والرمز للتعبير عن الفكرة.

3 ـ استعمال اللغة الشاعرية التي تتغلغل إلى العالم الداخلي، لأن « **اللغة مثلها مثل الموسيقى هي مادة حدسية لم يستطع النقد أن يحددها أو يقيدها وإلا لغدت نظاما باليا»** [2] .وهي قوام المذهب الرمزي و سر كينونته.

4 ـ التركيز على الفكرة وجعلها ترتدي أثواب الرموز لأن «**الرمزية هي إدراك أقصى غاية الإبلاغ والبلاغة.»**[3]

5 ـ توظيف الموسيقى.

6 ـ توظيف الأسطورة التي لطالما أمدت التيار الرمزي للأدب بمادّة رمزية خلاقة لما لها من قوّة الدلالة و الإيحاء، ويبدو أن الحكيم كان يتمتع بقدرة

[1] ـ تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق. ص 10-11

[2]- يوسف عيد. المرجع السابق.ص 175

[3]- نفسه . ص 175

فنية هائلة في استغلال الرموز الأسطورية، بل كان يفضلها عن سائر وسائل التعبير الأخرى، فهو« **لم يتقيد بموضوع الأسطورة ومادتها الأساسية، بل استفاد من الرموز التي تقدمها، وشكلها تشكيلا فنيا وفكريا جديدا ابتعد بها عن المضمون الفكري للأسطورة القديمة، و بذلك يحقق المبدأ المعاصر في استخدام الأسطورة كشكل من أشكال التعبير عن تجربة إنسانية معاصرة لا بوصفها مادة في حد ذاتها»**[1]**.**

و كان الحكيم يستقي مادته الأسطورية من مصادر متنوعة هي :

1 -القرآن الكريم

2 -التاريخ

3 -التراث الإسلامي

4 -الأساطير الإغريقية

5 -الأساطير الفرعونية

6 - الأساطير المستمدة من الفولكلور والتي بها بعض الرموز تؤدي وظيفة الأسطورة.

وكان يوظفها وفقا لما يخدم أفكاره عن الذات الإنسانية في تطلعها الروحي وفي صراعها مع القوى الخفية، فهو يضفي بذلك أبعادا جديدة على الأسطورة لم تكن في الأصل.

[1] - تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق ص 181

وعليه تخلص الباحثة في النهاية أن مسرح "توفيق الحكيم" يتنازعه نوعان من الرمز هما :

1 -الرمز الأسطوري

2 -الرمز التوليدي

أما الرمز الأسطوري، فهو الذي يستند إلى توظيف الأسطورة في العمل الفني توظيفا يحتكم إلى شبكة من المدلولات تنزاح بموجبها عن دلالتها الأصلية، **«فالعناصر الأسطورية تخضع داخل العمل الفني إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح هذه العناصر تبعا لسياقها في الاستعمال عن دلالتها الوضعية الأصلية»**[1] .

و أمّا الرمز التوليدي فهو يتولد من خلال توظيف اللغة توظيفا إيحائيا.**«وهذان البعدان يتجاذبان البناء الدرامي كلّه في مسرح الحكيم الرمزي، و تحسن الإشارة هنا إلى أن كل منهما يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، ماهية كل عنصر وقف على بقية العناصر، بحيث لا يتحدد أحدهما إلا بعلاقته بالآخر مما يجعلهما يلتحمان التحاما وثيقا بالغايات والمرامي التي أرادها الكاتب، وهي ما يسمى بالرؤية الفنية أو الدلالة الكلية للعمل الفني»**[2] .

[1] - تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق ص10
[2] – نفسه ص 10

و خلاصة القول أن توفيق الحكيم قد استفاد أيّما استفادة من الاتجاه الرمزي في أعماله المسرحية، ممّا أسعفه على التعبير عن أفكاره بحرية ووضوح، و وفر لنصوصه قوّة خلق إبداعية جعلت أعماله الدرامية تنحوا منحى التجديد في التعبير المسرحي، وإن كانت المواضيع التي تناولها الحكيم تعكس خصوصية العالم العربي بثقافته واتجاهاته الفكرية والاجتماعية والفلسفية، إلا أنّ الرمز فيها كان «**القانون المنظم للعالم الداخلي للنص، أي أنه وسيلة فنية يتخذ وضعا بنائيا وتركيبيا أكثر مما يحيل أو يشير إلى شيء خارجي أو فكرة معينة لا يتعداها،فهو يتخذ شكل الأداة الإيقاعية القادرة على إمداد العمل الفني بالإيقاع الصحيح المتناسب مع إيقاع التجربة.**»[1]

وقد استطاعت هذه الدراسة أن تبرز طبيعة التأثير الذي مارسه الأدباء الرمزيون على الأدب العربي، ممثلا في أعمال الحكيم ، الذي لا نسعى إلى تحديد انتماءاته، أو وضعه في خانة معينة. فالأدب العربي لم يتأثر بمذهب معيّن من المذاهب الغربية، وفي فترة محددة، وإنما استقبل أغلب هذه التيارات دفعة واحدة بحكم الصلات الثقافية والتأثيرات المتبادلة بينه و بين الآداب الغربية .

[1] ـ تسعديت آيت حمودي. المرجع السابق. ص 11

وعليه، كانت الدراسة حريصة على جلاء ملامح الاتجاه الرمزي في كتابات الحكيم المسرحية التي تكشف عن تمثله للاتجاه الرمزي، و إعجابه به، وتأثره به على مستوى البناء الفني، أمّا المواضيع فتبقى وثيقة الصلة بالمعطيات الثقافية و الأوضاع الاجتماعية للبيئة التي ينتمي إليها الكاتب، ويعبر عنها.

وخلاصة القول، إن أي نهضة أدبية لأي أمة من الأمم لا تقوم إلا بفضل اتصالها بآداب الأمم التي سبقتها في مضمار التطور الثقافي والحضاري، وبفضل الاستفادة من تجاربها، واستثمارها لإقامة صرح نهضة قومية، فتنتقل التيارات الأدبية من أدب أمة إلى أدب أمة أخرى تفعيلا وتفاعلا، وتنشأ الأجناس الأدبية وتتطور بفضل انتقالها بين الآداب المختلفة والنهل من عبقريتها، شاهدة على شمولية الأدب ولا محدوديته، بفضل ظاهرة التأثير والتأثر التي تتخذ عدّة أشكال ، وتتجلى على عدّة مستويات.

خاتـــمــة

انطلقت هذه الدراسة باحثة عن أجوبة لإشكاليتها المؤسسة المتمثلة في واقع الدراسات المقارنة بالمغرب العربي، و تطلعاتها من أجل خدمة الأدب المقارن عربيا.

فكانت الانطلاقة نظريا على أساس فحص واقع الأدب المقارن عالميا وعربيا، وأفردنا للأعمال المغاربية مساحة واسعة سواء في جوانبها النظرية أو التطبيقية، فعمدنا عمليّا إلى تقسيم هذه الأعمال وفقا لحقول الأدب المقارن الأكثر شيوعا لدى المقارنين بالمغرب العربي. فعرّفنا بهذه الحقول، ووصفنا درجة انتشارها والإقبال عليها ضمن حقول المقارنة المتعددة.

وقارنّا بين المنجز المغاربي في مجال الأدب المقارن، وبين نظيره بالمشرق العربي، للتعرف أكثر على خصوصية الدراسات المقارنة بين هذين القطرين اللذين إن وحّدا جهودهما لساهما في صناعة مدرسة عربية مقارنة مأمولة.

فقيّمنا الدراسات المغاربية، وبحثنا في توجهاتها، والعوامل والظروف التاريخية التي ساهمت في توجيه اهتمامات روّادها.

ويمكن أن نوجز فيما يلي أهم النتائج المحققة:

1 - إن نشأة الأدب المقارن في أوروبا وخارجها، وتطوره كانت وثيقة الصلة بالاتجاهات والمذاهب الفكرية التي أمدّته بأسسه النظرية وتوجهاته التطبيقية،

فاتسعت مساحته أكثر ليستوعب كل الأفكار والاتجاهات الحديثة والمعاصرة، مثل البنيوية والسيميائية ونظرية التناص وغيرها.

2 - انتقل الأدب المقارن إلى البلاد العربية، حيث حظي باهتمام متنام اتسم بالإعجاب به والتهافت عليه بمواصفاته الغربية دون أن يتمكن العرب من تخطي حيّز التبعية والاستيلاب إلى الغرب الذي كثيرا ما طبع دراساتنا المعاصرة.

3 - شهد الأدب المقارن بالمغرب العربي اهتماما يضاهي اهتمام المشارقة، وإقبالهم عليه، نظرا لأهميته الكبرى في مجال العلوم الإنسانية، وتعهّدته الجامعات المغاربية بالرعاية اللازمة، فترعرع بين أحضانها، وتجلّى ذلك على مستوى الإصدارات الغزيرة للمقارنين المغاربة التي تنوعت ما بين كتب ومقالات ودراسات أكاديمية بالغة الأهمية، بالإضافة إلى صدور مجلتين متخصصتين في الأدب المقارن هما :

أ - "دفاتر جزائرية"

ب - "الأدب المغاربي و المقارن".

4 - ازدهار الدراسات التطبيقية المغاربية وتنوعها على حساب الدراسات التنظيرية في الأدب المقارن؛ إذ لا نكاد نحصي إلا دراسات قليلة جدا اهتمت بالجانب التنظيري للأدب المقارن، عكس نظيرتها بالمشرق العربي. ولعلّ أهمها دراسة "سعيد علوش" حول "**مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي**" ، الذي كان

له فضل كبير في التعريف بعلم الأدب المقارن في الوطن العربي وتحديد اتجاهاته وحقوله المتباينة، ومؤلف "محمد طرشونة" من تونس، وهو مؤلف تعليمي بعنوان **" مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقاته على ألف ليلة و ليلة"** (1986).

5 - إن ما يميّز النتاج التطبيقي المغاربي في الأدب المقارن هو المواضيع الجديدة التي استحدثها المقارنون المغاربة، الذين حرصوا في أعمالهم على مقاربة كل ما هو جاد و مفيد، والإفلات من تكرار نفس البحوث التي صبغت الدراسات العربية المقارنة، ولعلّ ذلك من أخطر أوجه القصور التي حالت دون إمكانية التأسيس لنظرية عربية في الأدب المقارن، لأن مثل هذه التطبيقات تعد جهدا مهدورا لا يشكل إضافات لدراسات الأدب المقارن العربي.

6 - تنوع الدراسات الأدبية المقارنة بالمغرب العربي، واختلاف توجهاتها، وذلك راجع إلى تنوع روافد المقارنين المغاربة الذين استفادوا من مختلف التوجهات العالمية، نذكر على سبيل المثال المرحوم "أبو العيد دودو" الذي كرّس جهوده إلى التعريف بالتوجه الألماني في المقارنة بعد عودته من بعثته من هناك، فأغنى الساحة المقارنية بترجمة أعمال المقارنين الألمان، و تعريف القارئ العربي بهذا التوجه الجديد.

و "د.عبد القادر بوزيدة" الذي تكشف أعماله عن توجهه السوسيولوجي، وتأثره بأقطاب المدرسة السلافية أمثال "فيكتور جيرمونسكي" VICTOR GIRMONSKI ، وبول كورنيا .PAUL CORNEA . و "د.حفناوي بعلي" وتوجهه الأمريكي النقدي الذي تكشف عنه أعماله التطبيقية و النظرية معا. أمّا التوجه الفرنسي، فهو التوجه الغالب على أغلب المقارنين المغاربة.

وإن دلّ هذا التنوع على شيء فهو يدلّ على انفتاح الدراسات المغاربية على آفاق الأدب المقارن العالمية، ومواكبتها لكل تحولاته، ومحاولة ملاحقته في تطوراته السريعة المترادفة. مثلما يدلّ أيضا على وعي الأقلام المغاربية بهنّات الدراسات المقارنة، وحرصهم على تلافيها من خلال الجهود الفردية لرجال اختلفت مشاربهم ومستوياتهم، عرفوا الثقافات الأجنبية، وتوفرّت لهم العدّة الضرورية للتصدي لمثل هذه الدراسات.

7 - استقطبت مختلف حقول الأدب المقارن اهتمام المقارنين المغاربة، فبالإضافة إلى دراسات التأثير الأدبي والمصادر الأدبية، تعرف حقول الأدب المقارن الأخرى إقبالا ملحوظا، لاسيما حقل الصورائية. وعرفت هذه الحقول نوعا جديدا من التجريب منطلقة من واقع المعطيات الفكرية والثقافية للمغرب العربي.

8 - استغل المقارنون المغاربة طبيعة الدرس الصورائي النافذة في أعماق القضايا الوطنية للمجتمع، لخدمة دوافع قومية تعكس حسّاً بالمسؤولية ويقظة وطنية وغيرة عارمة تجاه الأرض والوطن، فظهرت دراسات سعت إلى استثمار هذا

الحقل لتصحيح التاريخ الذي شوّهه الأجنبي الذي يربطه بالمغرب العربي تاريخا من الصدام والصراع السياسي في فترة ما قبل الاستعمار وبعده. و لدينا في أعمال "عبد المجيد حنون" و "عبد النبي ذاكر"و"بلميلود عثمان" أدلة على ذلك.

9 - استطاع المقارنون المغاربة حصر الصعوبات المنهجية التي تعاني منها دراسات "التيماتولوجيا" بالوطن العربي، وكانت سببا وراء عزوف المقارنين العرب عن هذا النوع من البحوث، مثلما استطاعوا أيضا استحداث مواضيع جديدة، من أجل كسر الموضوعات الروتينية التي حدّت من آفاق الدرس التيماتولوجي، نحو دراسة "د.عبد الله الأخضر" حل **"موضوعة جاندارك في الآداب العالمية"**، ودراسة " د.حفناوي بعلي" حول" **يوغارطة في الآداب العالمية"**، وهي دراسات جديدة، تكشف عن التنويع الذي يعرفه هذا الحقل الذي بدأ يعرف إقبالا محتشما يعد بدراسات مستقبلية رائدة.

10 - اعتنى الباحثون المغاربة، أيضا، بحقلي الأجناس الأدبية والمذاهب الأدبية، وكشفت أعمالهم عن نتاج أصيل و متنوع، سواء من ناحية المنهج أو من ناحية المواضيع المستحدثة التي التفتت إليها كتاباتهم.

وختاما، فإن هذه الدراسة تعد محاولة لتحرّي واقع الدراسات المقارنة ببلدان المغرب العربي، و التعريف بجهود باحثيها الذين كان همهم هو تحقيق وجودهم كطرف لا يدين بالولاء لأحد، فعملوا على مقاربة اتجاهات متنوعة، واستحداث مواضيع جديدة، وانصرف نشاطهم البحثي بين التراث الأدبي العربي الذي يقدم مادة خصبة للدراسة المقارنة من جهة، و بين استحداث مواضيع جديدة مراعين في ذلك المعطيات الفكرية والحضارية للمغرب العربي خاصة، و العالم العربي عامة. وعرف نتاجهم ازديادا محسوسا، وتميّزا من الناحيتين الكيفية و الكمية معا.

ولا تدّعي هذه الدراسة أنها توصلتا إلى حل معضلة الأدب المقارن "عربيا"، فهذه مهمة لا تقع على فرد مهما كانت درجته ومستواه، و إنما هي مسؤولية جماعية تقع على كاهل كل المقارنين العرب، بغض النظر عن انتماءاتهم الإقليمية و اختلافاتهم العرقية، فإذا أردنا منطلقا صحيحا نؤمن به سلامة الوصول، علينا أن نكتّل جهودنا ونوجهها، ونلّم شتات المقارنين العرب، و إلا ذهبت جهودهم هباء منثورا، فلا هي حققت طموحاتهم، ولاهي شكلّت دعامة لتأسيس توجه عربي خاص.

ولذلك علينا أن نوجه جهودنا وجهة صحيحة، وأن لا نتعصب لمدرسة من المدارس الغربية، و إنما أن تحملنا الحميّة لدعم مدرسة عربية، أو توجه عربي مستقل ليس صعب المنال، وأن نسعى إلى خلق فضاءات علمية تسمح بلم الشمل، وتبادل

الآراء، ومدارسة قضايا الأدب المقارن المختلفة عن طريق إحياء الملتقيات العلمية والندوات المتخصصة، و إعادة بعث رابطة الأدب المقارن من جديد.

و حبّذا لو تصدر بحوث الأدب المقارن عن مراكز معتمدة، يشرف عليها أساتذة متخصصون، فيوجهون أعمال المقارنين العرب ويشجعونها. و يبقى الافتقار إلى مكتبة خاصة بالدراسات المقارنة من أكبر النواقص التي يعاني منها الباحث العربي، مكتبة تعرفنا بجهود الباحثين من كل الأقطار العربية والعالمية، وتؤمن المصادر الضرورية لهذا النوع من البحوث.

إنها جملة من الاقتراحات الموضوعية، من باب الاجتهاد في هذا الموضوع الخصب الذي يتعلق بتلاقي جهود الفكر الإنساني على الصعيد العربي والعالمي، ونرجو أن نكون من خلال هذه الدراسة قد أدّينا بعض ما علينا من واجب تجاه هذا التخصص الهام و الهادف، و الذي لا زال ينتظرنا الكثير من أجل تقديره حقّ قدره.

الملاحق

الملحق I:

بيبلوغرافيا الأدب المقارن في الوطن العربي:

1. أبو شبكة (إلياس)، روابط الفكر و الروح بين العرب و الفرنجة ، بيروت. دار المكشوف ، 1943 .

2. خوري (رئيف) ، الفكر العربي الحديث و أثره في الثورة الفرنسية في توجيهه، بيروت. دار المكشوف. 1943 .

3. أمين(أحمد) و محمود (زكي نجيب) ، قصة الأدب في العالم ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة. 1945

4. حميدة (عبد الرزاق)، في الأدب المقارن، القاهرة، مطبعة العلوم،1948.

5. العقيقي (نجيب)، من الأدب المقارن، القاهرة، دار المعارف، 1948.

6. كرو (أنطوان غطاس) ، الرمزية و الأدب العربي الحديث ، بيروت ، دار الكاشف،1949 .

7. عبد القادر (حامد)، القصص الحيواني و كليلة و دمنة في الآداب الشرقية والغربية ، القاهرة ، لجنة البيان العربي. 1950 .

8. حميدة (عبد الرزاق). قصص الحيوان في الأدب العربي ، القاهرة. المكتبة الأنجلو المصرية. 1951.

9. سلامة (ابراهيم) ، تيارات أدبية بين الشرق و الغرب ، القاهرة ، مطبعة سخيمر،1951.

10. سلامة (إبراهيم)، دراسات في الأدب المقارن، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1،1951، ط2، 1957.

11. البحيري محمد (محمد)، الأدب المقارن، القاهرة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر،1953.

12. هلال (محمد غنيمي)، الأدب المقارن، القاهرة، مطبعة سخيمر، ط1، 1953.

- ط2، 1961.
- ط3، 1962.
- ط4، المطبعة الأنجلو المصرية، 1970.
- ط5، بيروت، دار العودة، دار الثقافة.د.ت .

13. سعيد (جميل) ، نظرات في التيارات الأدبية في العراق ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، 1954 .

14. مندور (محمد) ، نماذج بشرية ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف و الترجمة النشر،1956

15. هلال (محمد غنيمي)، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، 1956. ط2، 1992.

16. خلوصي (صفاء)، دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية، بغداد، مطبعة الرابطة،1957.

17. طاهر (عبد السلام)، نظرات جديدة في الأدب المقارن وبعض المساجلات الشعرية، مكة المكرمة، 1957.

18. العدوي (ابراهيم أحمد) السفارات الإسلامية إلى أروبا في العصور الوسطى، القاهرة ، دار الهلال 1957.

19. هلال (محمد غنيمي)، " النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة" ، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1،1957. ط2، 1964.

20. الجندي (درويش) ، الرمزية في الأدب العربي ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر 1958.

21. صليبا (جميل) ، الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام و أثرها في الأدب العربي الحديث ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، 1958 .

22. النقاش (زكي) ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبية ، بيروت ، دار الكتاب ، 1958.

23. بلاطة (عيسى يوسف) ، الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، بيروت ، دار الثقافة ، 1960.

24. العقاد (عباس محمود) ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، القاهرة ، دار المعارف، ط2 ، 1960 .

25. خشبة (دريني) ، أشهر المذاهب المسرحية و نماذج من أشهر المسرحيات ، مصر، وزارة الثقافة ، 1961 .

26. المصري (حسين مجيب) ، في الأدب العربي و التركي : دراسة في الأدب الإسلامي المقارن ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، 1962 ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 2 ، 1985.

27. بن ذريل (عدنان) ، فن المسرحية ، دمشق، مطابع دار الفكر ، 1963 .

28. عوض (لويس) ، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث ، جزءان ، القاهرة،1963 .

29. عوض (لويس) ، المسرح العالمي من أنسخيليوس إلى آرثر ميلر ، القاهرة ، دار المعارف ، 1964.

30. الكعاك (عثمان) ، الحضارة الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، القاهرة، مطبوعات جامعة الدول العربية ، 1965 .

31. موسى (فاطمة) ، بين أدبين ، دراسات في الأدب العربي و الإنجليزي ، القاهرة ، المكتبة الأنجلو ، المصرية 1965 .

32. ابراهيم (زكريا) ، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، القاهرة 1966

33. خفاجة (محمد عبد المنعم)، دراسات في الأدب المقارن، القاهرة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، ط1، 1966/ط2، 1970.

34. طرفان (إبراهيم علي)، المسلمون في أوربا في القرون الوسطى، القاهرة، 1966

35. جاد حسن (حسن)، الأدب المقارن، القاهرة، مطبعة الأزهر، 1967.

36. نور (علي)، ملامح مصرية في المسرح الإفريقي ،القاهرة، دار الكتاب العربي،1967

37. أحمد (يوسف فهمي)، صحائف من تاريخ الأدب العربي ، القاهرة، دار المعارف،1968

38. جبر (رجاء عبد المنعم)، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، جزءان، 1968.

39. الشوياشي (محمد مفيد)، رحلة الأدب العربي إلى أوربا ، القاهرة ، دار المعارف،1968

40. عوض (لويس) ، أسطورة أوريست والملاحم العربية، دار الكتاب العربي، 1968

41. شعيب (محمد عبد الرحمن)، الأدب المقارن، مسائله ومباحثه، بنغاري.

42. الشاروني (يوسف) اللامعقول في الأدب ، القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر،1969

43. اليوسف (أحمد عبد القادر)، علاقات بين الشرق و الغرب ، (بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر)، بيروت، المكتبة المصرية، 1969 .

44. القلماوي (سهير) وآخرون، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، القاهرة ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1970 .

45. عبد الله (محمد محسن)، كليوباتراه في الأدب و التاريخ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، 1971 .

46. عفيفي (محمد الصادق)، نموذج البخيل في الأدب العربي و الفرنسي، بيروت، دار الفكر، 1971 .

47. شرابي (هشام)، المتفقون العرب و الغرب، دار النهار للنشر، ط2،1972.

48. صالح (عبد المطلب)، دراسات في الأدب المقارن والنقد المقارن، بغداد، مطبعة الشعب،1972، 1973.

49. الطحان (ريمون)، الأدب المقارن والأدب العام، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1،1972.

50. كفافي، (محمد عبد السلام)، في الأدب المقارن – دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، بيروت، دار النهضة العربية، 1972.

51. الخطيب (حسام)، أبحاث نقدية ومقارنة، دمشق، 1973.

52. عباس (حسن محمود)، حي بن يقضان وروبنيسون كروزو، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1973، ط2،1980 .

53. غنيمي هلال (محمد)، الرومنتيكية ، بيروت ، دار العودة ودار الثقافة،1973

54. أحمد (مقبول سيد)، العلاقات العربية الهندية، بيروت، دار المتحدة للنشر،1974

55. الخطيب (حسام)، سبل المؤثرات الأجنبية و أشكالها في القصة السورية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط2، 1974

56. الراهب (هاني)، الشخصية الصهيونية في الرواية الأنجليزية ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1974

57. الحجاجي (أحمد شمس الدين)، الأسطورة في المسرح المصري المعاصر جزءان ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة، 1975

58. ندا (طه)، الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 1975/ ط2، 1991.

59. تليمة (عبد المنعم)، مقدمة في نظرية الأدب، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر،1976.

60. جمعة (محمد بديع)، الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1976.

61. الخطيب (محمد كامل)، المغامرة المعقدة ، مقدمة في تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغرب كما يظهرها الفن الروائي في نشوئه و تطوره. دمشق ، وزارة الثقافة،1976

62. عبد الرحمن (إبراهيم محمد)، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الشباب، ط1، 1976.

- ط2، 1978.
- ط3، 1990.
- بيروت، مكتبة لبنان، القاهرة، الشركة المصرية العالمية، ط4، 2002.

63. عاشور (عبد الفاتح)، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار النهضة، 1976 .

64. هلال (محمد غنيمي)، الحياة العاطفية بين العذرية و الصوفية، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة، 1976.

65. أحمد (محمد فتوح)، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، القاهرة، دار المعارف،1977.

66. إسماعيل (عبد المنعم)، نظرية الأدب ومناهج البحث الأدبي، القاهرة، الناشر العربي،1977.

67. راغب (نبيل)، المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.

68. سعد الدين (ليلى حسن)، كليلة ودمنة في الأدب العربي، عمان، مكتبة الرسالة، 1977.

69. عباس (إحسان)، ملامح يونانية في الأدب العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977.

70. المقدسي (أنيس الخوري)، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، دار العلم للملايين، 1977/ط7، 1982.

71. جاسم محمد (حياة)، الدراما التجريبية في مصر والتأثير الغربي عليها، بيروت، دار الآداب، 1978.

72. جمعة (محمد بديع)، دراسات في الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة، ط1، 1978/ط2، 1980.

73. الحوفي (أحمد محمد)، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، القاهرة، دار نهضة مصر، ط3، 1978.

74. عثمان (أحمد)، المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.

75. البحيري (كوثر عبد السلام)، " الاتجاهات الحديثة للنقد الأدبي مع دراسة مقارنة بين النقد الأدبي العربي و الغربي"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979.

76. بدوي (عبد الرحمن)، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، بيروت، دار القلم، ط3،1979 .

77. حسان (عبد الحكيم)،" مذاهب الأدب في أوروبا- دراسة تطبيقية مقارنة – الكلاسيكية-"، القاهرة، دار المعارف، 1979.

78. عوض (يوسف نور)، فن المقامات بين والشرق والغرب، بيروت، دار القلم، 1979.

79. محسن(حسن)، المؤثرات الغربية في المسرح المصري المعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، 1979.

80. الحاوي (إيليا)، البرناسية في الشعر الغربي والعربي، بيروت، دار الثقافة، 1980.

81. الخطيب (الحسام)، سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، دمشق، المكتب العربي لتنسيق الترجمة، 1980.

82. دقاق (عمر) وإخلاصي (وليد)، المسرح والدراسات المسرحية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1980.

83. عصمت (رياض)، البطل التراجيدي في المسرح العالمي، بيروت، دار الطليعة، ط1،1980.

84. محمد (أبو الأنوار)، " مصطفى لطفي المنفلوطي: القصة في أدبه- دراسة تحليلية مقارنة-"، القاهرة، مكتبة الشباب، 1981.

85. فضل (صلاح)، تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، القاهرة، ط1،1980. بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1985.

86. المصري (حسين مجيب)، في الأدب الشعبي الإسلامي المقارن، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1980. القاهرة، الدار الثقافية، ط2، 2001.

87. مناف (منصور)، مدخل إلى الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة، 1980.

88. البغدادي (مريم)، شعراء التروبادور، جدة، دار تهامة، 1981.

89. جمعة (بديع محمد)، فينوس وآدونيس، بيروت، دار النهضة العربية، 1981.

90. حمدان (أمية)، الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، بغداد، دار الرشيد، 1981.

91. زكي (أحمد كمال)، الأدب المقارن، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1981.

92. بدير (حلمي)، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، القاهرة، دار المعارف،1982.

93. التونجي (محمد)، دراسات في الأدب المقارن، حلب، دار النشر، 1982.

94. الخطيب (حسام)، الأدب المقارن، دمشق، مطبوعات الجامعة، 1982.

95. الخطيب (حسام)، جوانب من الأدب والنقد في الغرب، دمشق، جامعة دمشق، 1982.

96. رؤوف (جيهان صفوت)، شيلي في الأدب العربي في مصر، القاهرة، دار المعارف،1982.

97. السامرائي (عبد الجبار محمد)، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوربية، بغداد، الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ، 1982.

98. عبد الرحمن (إبراهيم محمد)، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن، بيروت، دار العودة،1982.

99. عبد المحسن (محمد حسن)، الأدب الشعبي الحلبي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي: دراسة وتحليل، حلب، جامعة حلب، 1982.

100. لؤلؤة (عبد الواحد)، النفخ في الرماد، بغداد، دار الرشيد، 1982.

101. الموسوي (محسن جاسم)، ألف ليلة وليلة في النقد الأدبي الإنجليزي (1704–1910)، بغداد، وزارة الثقافة، ط1، 1982/بيروت، مركز الإنماء العربي، ط2، 1983.

102. الحكمي (عبد الوهاب علي)، الأدب المقارن، جدة، 1983.

103. سعد الدين (كاظم)، حكايات كنتربري، بغداد، الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ، 1983.

104. العشماوي (محمد زكي)، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية، 1983. القاهرة، دار الشروق، 1984.

105. العظمة (نذير)، بدر شاكر السياب وإديث سيتويل، الكويت، دار المعرفة، ط1، 1983. دمشق، دار علاء الدين للنشر و التوزيع والترجمة، ط2 ، 2004.

106. فهمي (عبد السلام عبد العزيز)، " إيوان المدائن بين البحتري والخاقاني، دراسة أدبية مقارنة بين القصيدتين العربية و الفارسية – سينية البحتري ونونية الخاقاني–"، جدّة ، دار البيان العربي ، 1983.

107. مرزوق (حلمي)، الرومانتيكية والواقعية في الآداب، بيروت، دار النهضة العربية،1983.

108. وزان عدنان (محمد)، مطالعات في الأدب المقارن، الرياض، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1983.

109. البطل (علي)، شبح قايين بين إديت سيتول وبدر شاكر السياب، بيروت، دار الأندلس،1984.

110. الخالدي (روحي)، تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب وفيكتور هيغو، تقديم: د. حسام الخطيب، دمشق، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط4، 1984.

111. درويش (أحمد)، الأدب المقارن– النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الزهراء، ط1، 1984. دار الفكر الحديث، ط2، 1996.

112. زكي كمال (أحمد)، الأدب المقارن، الرياض، 1984.

113. سلوم (داوود)، أثر الفكر العربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي، دراسة ونصوص، بغداد، كلية الآداب، 1984.

114. علاء الدين (ماجد)، الواقعية بين/في الأدبين السوفيتي والعربي، دمشق، دار الثقافة،1984.

115. قاسم (سيزا أحمد)، بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

116. ياسين (الأيوبي)، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، بيروت، دار العلم للملايين، 1984.

117. البقاعي (شفيق)، الأنواع الأدبية – مذاهب ومدارس في الأدب المقارن–، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، 1985.

118. الخليفة (مبارك حسن)، في الأدب والأدب المقارن: دراسة وتطبيق، عدن، دار الهنداني،1985.

119. العراقي (السيد)، الأدب المقارن منهجا وتطبيقا، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985.

120. عرسان (علي عقلة)، الظواهر المسرحية عند العرب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط3،1985.

121. محمد (أحمد سيد)، الرواية الإنسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب، القاهرة، دار المعارف، 1985.

122. مسلم (سامي)، صورة العرب في صحافة ألمانية الاتحادية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.

123. غنيمي هلال (محمد) ، دراسات أدبية مقارنة: مجنون ليلى –أنطونيو وكليوباترة وهيباتيا، القاهرة، دار نهضة مصر، 1985.

124. جبر (رجاء)، في الأدب المقارن، القاهرة، 1986.

125. سلوم (داوود)، دراسات في الأدب المقارن التطبيقي، بغداد، دار الرشيد، 1986.

126. طرشونة (محمد)، مدخل إلى الأدب المقارن و تطبيقاته على ألف ليلة وليلة، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986.

127. هونكسه (زيغريد)، شمس العرب تسطع على الغرب، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط8، 1986.

128. أحمد مكي (الطاهر)، الأدب المقارن في أصوله وتطوره ومناهجه، القاهرة ، دار المعارف، 1987.

129. بدير (حلمي)، بحوث تجريبية في الأدب المقارن، القاهرة، الدار الفنية للطباعة والنشر،1987–1988.

130. صالح (عبد المطلب)، مباحث في الأدب المقارن، بغداد، وزارة الثقافة، 1987.

131. العظمة (نذير)، جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية –دراسة مقارنة، دمشق، دار طلاس، ط2، 1987.

132. كاظم (نجم عبد الإله)، الرواية في العراق وتأثير الرواية الأمريكية فيها (1965–980)، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1987.

133. ويليك(رينيه) و وارين (أوستن)، " نظرية الأدب"، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

134. بدير (حلمي)، بحوث تجريبية في الأدب المقارن، القاهرة، الدار الفنية، 1988.

135. بكار (يوسف حسين)، الترجمات العربية لرباعيات الخيام، قطر، جامعة قطر، 1988.

136. ساري (حلمي خضر)، صورة العرب في الصحافة البريطانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.

137. غالي (إلياس سعد)، رسالة الغفران والكوميديا الإلهية لدانتي في لمحات تاريخية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1988.

138. قباني (رنا)، أساطير أوربا عن الشرق، دمشق، دار طلاس، 1988.

139. مناصرة (عز الدين)، مقدمة في نظرية المقارنة، بيروت، دار الكرمل، 1988

140. إبراهيم (أبراش)، صورة العرب في عقول الأمريكيين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989.

141. أحمد مكي (الطاهر)، نحو أدب إسلامي، القاهرة، 1989.

142. البدوي (أحمد محمد)،" أوتار شرقية في القيتار الغربي: مقالات في الأدب المقارن"، بنغازي ، جامعة قارونس، 1989.

143. جبر (رجاء عبد المنعم)، تاريخ الأدب المقارن: المبادلات الأدبية بين الأمم، القاهرة، مكتبة الشباب، 1989.

144. جمال الدين (محمد السعيد)، الأدب المقارن– دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، القاهرة، دار ثابت، 1989.

145. السيد (شفيع)، فصول من الأدب المقارن، القاهرة، دار الفكر العربي، 1989.

146. العاكوب (عيسى علي)، تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول – دراسة تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، دار طلاس، 1989.

147. عامر (عطية)، دراسات في الأدب المقارن، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1989.

148. فضل (صلاح)،" ملحمة المغازي الموريسكية : دراسة في الأدب الشعبي المقارن"، القاهرة ، دار المعارف، ط1، 1989، ط2، 1992.

149. حمدان (حمدان عبد الرحمن أحمد)، "الأجناس الأدبية – دراسة تحليلية مقارنة–"، القاهرة،مطبعة الأمانة، 1989.

150. نوفل (نبيل رشاد)، الأدب المقارن، قضايا ومشكلات، الإسكندرية، منشأة المعارف،1989.

151. رضوان (أحمد شوقي)، مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن، بيروت، دار العلوم، 1990.

152. عبد الدايم (صابر)، الأدب المقارن، دراسة في الظاهرة والمصطلح والتأثير، القاهرة،1990.

153. عز الدين (يونس)، أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي، الرياض، دار الصافي،1990.

154. عناني (محمد زكريا) ورمضان (سعيدة)، مدخل لدراسة الأدب المقارن، الإسكندرية،1990.

155. الاختيار (نجلاء نجيب)، تحرر المرأة عبر أعمال سيمون دوبوفوار وغادة السمان، بيروت، 1991.

156. عبود (عبده)، الأدب المقارن – مدخل نظري ودراسات تطبيقية–، حمص، جامعة البحث،1991.

157. قلقيلة (عبده عبد العزيز)، مقالة الأدب المقارن، القاهرة، دار المعارف، 1991.

158. وهبة (مجدي)، الأدب المقارن ومطالعات أخرى، القاهرة، الشركة المصرية العالمية،1991.

159. الخطيب (حسام)، آفاق الأدب المقارن، عربيا وعالميا، دمشق، دار الفكر، 1992.

160. عبود (عبده)، الرواية الألمانية الحديثة –دراسة نقدية مقارنة– دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1993.

161. مكي (الطاهر أحمد)، دراسة نظرية وتطبيقية، القاهرة، دار المعارف، 1993.

162. المصري (حسين مجيبب)، " المسجد بين شعراء العربية والفارسية والتركية والأوردية – دراسة في الأدب الإسلامي المقارن"، القاهرة، مكتبة مدبولي،1993.

163. مكي (الطاهر أحمد)، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، القاهرة، دار المعارف،1994.

164. حاج معتوق (محبه)، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994.

165. السيد (غسان)، الحرية الوجودية بين الفكر والواقع –دراسة في الأدب المقارن، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، 1994.

166. صالح (فخري)، المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات 1994–1995.

167. عيد (يوسف)، المدارس الأدبية ومذاهبها– القسم النظري 1– ، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1 ، 1994.

168. عيد (يوسف)، المدارس الأدبية ومذاهبها– القسم التطبيقي 2– ، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1 ، 1994.

169. مكي (الطاهر أحمد)، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1994.

170. التونجي (محمد)، " الآداب المقارنة"، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1995.

171. سلوم (داود)، الشخصية العربية في روايات أمريكا اللاتينية، بيروت، دار الجيل، ط1،1995.

172. شلش (علي)، الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية، الرياض، دار الفيصل الثقافية، 1995.

173. عبود (عبده)، هجرة النصوص، دمشق، إتحاد الكتاب العرب،1995.

174. عبود (عبده يونس)، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995.

175. عبود (عبده)، القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، 1996.

176. المناصرة (عز الدين)، المثاقفة والنقد المقارن –منظور إشكالي–، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1995–1996.

177. برونيل(ببير) و بيشوا(كلود) و روسو(أندريه ميشال)، ما الأدب المقارن؟، ترجمة: غسان السيد. دمشق، منشورات دار علاء الدين ،1996.

178. بوشعير (الرشيد)، أثر برتولد بريخت في مسرح الشرق العربي، دمشق، دار الأهالي،1996.

179. السيد (غسان)، دراسات في الأدب المقارن والنقد، مطبعة زيد بن ثابت، 1996.

180. عبد الواحد (محمود عباس)، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية والحديثة وتراثنا النقدي –دراسة مقارنة–، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996.

181. إبراهيم (عبد الحميد)، الأدب المقارن من منظور الأدب العربي: مقدمة وتطبيق، الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1997./ القاهرة ، دار الشروق 1997

182. أبو السعيد (فخري)، في الأدب المقارن ومقالات أخرى، إعداد: جيهان عرف، تقديم: محمود علي مكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

183. باجو(دانييل هنري)، الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1997.

184. خالص (وليد محمود)، أوراق مطوية من تاريخ الأدب المقارن في الوطن العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1997.

185. عمدان (عاصم حمدان علي)، دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والغربي تقديم: عادل عطا إلياس، المدينة المنورة، نادي المدينة المنورة الأدبي، 1997.

186. لوقا(أنور)، " عودة رفاعة الطهطاوي – مراحل استفاقة الفكر في ضوء الأدب المقارن "، سوسة، دار المعارف، 1997.

187. حسان (عبد الحكيم)، الأدب المقارن والتراث الإسلامي –دراسة مقارنة في موضوع أخلاق الطبقة الحاكمة في الأدبين العربي والفارسي" ، القاهرة، مكتبة الآداب، 1998.

188. سلوم (داوود)، من آفاق الأدب المقارن، بيروت، عالم الكتب، 1998.

189. الوزان محمد (عدنان)، " صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي، دراسة تاريخية نقدية مقارنة"، الرياض، دار إشبيليا، 1998.

190. إبراهيم (أمل)، " الأثر العربي في أدب سعدي: دراسة أدبية نقدية مقارنة"، طهران، رابطة الثقافات والعلاقات الإسلامية، 1998.

191. أبوالوي(ممدوح)، تولستوي ودوستيفسكي في الأدب العربي، دمشق، إتحاد الكتاب العرب،1999.

192. البازعي (سعد)، مقاربة الآخر- مقارنات أدبية – القاهرة، دار الشروق، ط1، 1999.

193. عبود (عبده)، الأدب المقارن –مشكلات وآفاق-، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999.

194. مجموعة من الباحثين الفرنسين بإشراف بيير برونيل و إيف شوفريل، الوجيز في الأدب المقارن، غسان بديع السيد، دمشق، 1999.

195. أوريان (دان)، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ترجمة وتعليق: محمد أحمد صالح، مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

196. جبوري (فريال)،" الفلسطينيون والأدب المقارن- روحي الخالدي، إدوارد سعيد، عز الدين المناصرة، حسام الخطيب-"، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000.

197. حمود (ماجدة)، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، اتحاد الكتاب العرب،2000.

198. رايوخ (جيلارامراز)، العربي في الأدب الإسرائيلي، ترجمة : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح محمد فايق، مراجعة و تقديم: إبراهيم البحراوي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

199. الخطيب (حسام)، الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2001.

200. عابدين (فاطمة) ،بين ابن المقفع و لافونتين – مدخل إلى دراسة مقارنة–، دمشق،الأوائل للنشر والتوزيع و الخدمات الطباعية، ط1، 2001.

201. مدني (محمد)، مستقبل الأدب المقارن في ظل العولمة، يكون أو لا يكون تلك هي المسألة، القاهرة، دار الهدى، 2001.

202. أحمد (عبد العزيز)، " نحو نظرية جديدة للأدب المقارن: استراتيجيات المقارنة"، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، 2002.

203. حسان (عبد الحكيم)، الأدب المقارن، مجموعة أعمال دكتور صلاح فضل، القاهرة، دار الكتاب، المصري، 2002.

الجزء الأول: تأثر الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي.

الجزء الثاني: ملحمة المغازي الموريسكية.

204. درويش (أحمد)، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، القاهرة، دار غريب، 2002.

205. مالك (صقور)، " بوشكين و القرآن – دراسة في الأدب المقارن"، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع و الخدمات الطباعية، 2002

206. سلوم(داود)، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1 ، 2003.

207. فضل (صلاح)، " الأدب المقارن"، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 2003.

208. فيرنر ب. (فريدريك) وهنري مالون (ديفيد) ، حدود الأدب المقارن ، ترجمة و تقديم وتعليق د. عبد الحكيم حسان ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية، ط 1 ، 2003

209. خضير (ضياء)، ثنائيات مقارنة– أبحاث ودراسات في الأدب المقارن– ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 ، 2004.

210. أورغويتي (ماريا سوليداد كاراسكو)، مسلم غرناطة في الآداب الأوروبية– بدءا من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر– ، ترجمة: شرين محمود الرفاعي، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ، 2005.

211. البطوطي (ماهر)، الرواية الأم – ألف ليلة و ليلة و الآداب العالمية– دراسة في الأدب المقارن، القاهرة، مكتبة الآداب، 2005.

212. الخطيب (حسام الدين)، " الأدب العربي وصبوة العالمية"، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2005.

213. العظمة (نذير)، فضاءات الأدب المقارن، دمشق،وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط2 ، 2007.

214. الكيلاني (شمس الدين)، صورة الشرق الأقصى والعالم في حكايات ألف ليلة و ليلة البحرية، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، 2007.

215. ميكال (أندريه) ،مجنون ليلي وتريستان، ترجمة :غسان السيد، دمشق، دار الحارث، د.ت.

المقالات:

1. أبو السعود (فخري) ، الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والإنجليزي، (الرسالة)،ع168 ، س 4، 1936/09/21.

2. خشبة (دريني) ، دانتي ألجبيري والكوميديا الإلهية وأبو العلاء المعري (الرسالة)،ع 159، س 4، 1936/07/20 .

3. أبو السعود (فخري) ، الرومانسية والكلاسيكية في الأدبين العربي والانجليزي(الرسالة)، ع192، س 5، 1937/03/08.

4. القسوس (جويس) ، شكسبير والأديب العربي (الرسالة)، ع 207، 1937/06/12.

5. سميث (بيرون) ، ألف ليلة و وليلة في الأدب الانجليزي في ق 18، ترجمة: (الأبحاث) بيروت، أيلول 1949 .

6. تيمور (محمد) ، شهرزاد وكليوباترا، (الهلال)، أبريل 1952.

7. إبراهيم جبرا (جبرا) ، الحركة الرومانسية، مجلة (الأديب)، س 13، 1954.

8. النقاش (رجاء) ، تأثر سهيل إدريس في روايته الحي اللاتيني برواية جان بول سارتر دروب الحرية، (الآداب)، ع 6، 1654.

9. جواد (كاظم) ، بين التأثر والتشويه والسرقة، (الآداب)، مايو، ع 5، 1954.

10. إدريس (سهيل) ، بلادنا في منظار فلوبير (الآداب)، تشرين الثاني، 1955.

11. أمين العالم (محمود) ، مشكلة الرمز عند توفيق الحكيم، (الثقافة الوطنية) ع1، 1955.

12. السعيد (حمدي) ، نجيب محفوظ بين الرومانتكية والواقعية، مجلة الأدب ماي، 1958

13. غابرييلي (فرانسيسكو) ، ضوء جديد على دانتي والإسلام "مجلة المجمع العلمي العربي " دمشق، ج1 مجلد 33 ، 1958 .

14. غنيمي هلال (محمد) ، مقالات في فلسفة الصورة في شعر الكلاسيكين والرومانتكيين والبرناسيين (المجلة) إعداد يوليو وأغسطس وسبتمبر، 1959.

15. دواره (فؤاد) : بين إحسان وساجان، إلى أي حد تأثرت " لا أنام" بـــ"صباح الخير أيها الحزن" (الأدب) ، يونيو 1960.

16. غنيمي هلال(محمد) ، أدب المواقف، مجلة (المجلة) فبراير، 1961 .

17. عباس (إحسان) ، الإتجاهات الفلسفية في الأدب العربي المعاصر (الآداب) ع9، أيلول 1961 .

18. غنيمي هلال(محمد) ، هل لدينا مذاهب أدبية (الآداب) ع1، 1961.

19. محفوظ (نجيب) ، أدبنا المعاصر في ضوء التيارات الفلسفية، (الآداب) مارس 1962.

20. غنيمي هلال (محمد) ، بطل الملحمة وبطل المأساة، مجلة (المجلة) يوليو62.

21. المصراتي (مصطف) ، ابن طفيل وأثره الفكري (الطريق) شباط ، 1962.

22. رشدي (رشاد) ، روميو وجولييت وجان دارك، (المجلة)، آب 1962.

23. الرمادي (جمال الدين) ، وليام شكسبير في الأدب العربي الحديث، (المجمع العلمي العربي) دمشق، مج37 ، ج2، 1962 .

24. إبراهيم (زكريا) ، الرواية الوجودية بين الفلسفة والأدب (الآداب) ع3، 1963 .

25. ج شربا توف، الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي، (المجلة تصدر بالقاهرة) ع 35 مارس 1963 .

26. النقاش (رجاء) ، الوجودية في السمان والخريف، (الآداب)، مارس 1963.

27. هلال (محمد غنيمي)، المؤثرات الغربية في الرواية العربية (الآداب)، آدار 1963.

28. مصطفى (شاكر) ، الوجود العربي في البرازيل، (المعرفة، ع10، ديسمبر 1963).

29. إدريس (سهيل) ، نحن وسارتر، الآداب كانون الأول ، 1964.

30. ونوس (سعد الله) ، توفيق الحكيم ومسرح اللامعقول، (المعرفة) ع34 ديسمبر 1964.

31. توفيق حمدي (سعد) ، مدرسة اللامعقول وتوفيق الحكيم، (المسرح)،ع9 ، 1964.

32. أمين العالم (محمود) ، مأساة هاملت بين شكسبير والسيد بدير، (المصور)، يناير 1965 .

33. عباس (إحسان) ، الأثر الإسلامي في قصة موبي ديك (هرمان ملغل)

34. (الآداب، ع4، نيسان) 1965 .

35. الطحان (ريمون) ، أصول الأدب المقارن (الثقافة) دمشق، عددان شباط1966، آدار 1966 .

36. الشريف (حمودة) ، المذهب السريالي، (الفكر) التونسية، ع1، أكتوبر 1967.

37. محمدي (محمد) ، الدراسات المقارنة، مجلة (الدراسات الأدبية: جامعة لبنان) 1967 .

38. حافظ (صبري) ، محمد غنيمي هلال، (المجلة) سبتمبر 1968 .

39. الزيات (لطيفة) ، نجيب سرور والمسرح الملحمي (المجلة) ، نيسان 1968

40. عبد الصبور (صلاح) ، كليوباتر بين شكسبير وشوقي، (الهلال) ، نوفمبر 1968.

41. ي ، هينجر، القصة العلمية الحديثة إلى أين ؟ (الفكر المعاصر)، ع 52، يوليو ، 1969

42. جدعان (فهمي) ، هوميروس عند العرب، الأبحاث (الجامعة الأمريكية)، 1971.

43. النصير (ياسين) ، المسرح العراقي بين تطور الواقع وتطور المدارس الحديثة، (المثقف العربي)، ع1، أدار 1971 .

44. النجم وديعة (طه) ، مصادر القصص الإسلامية، مجلة المجمع اللغة العربية، دمشق، ع1 1971 .

45. العامري (سلافة) ، نازك الملائكة وأدب اللامعقول، (الآداب) آيار 1972 .

46. يوسف (سعدي) ، فرانز كافكا صهيونيا، (الأقلام)، ع7، 1972 .

47. بوريسوف (فالنتين) ، محمود تيمور، (الثقافة) المصرية، أكتوبر 1973 .

48. لؤلؤة (عبد الواحد) ، المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر (الآداب) 1974 .

49. سعد غالي (إلياس)، " أبو العلاء المعري و لوقيانوس السيمساطي"، (مجلة الآداب الأجنبية)،ع2، 1975.

50. كمال الدين(جليل) ، بين السياب ودوستوفسكي : دراسة في الأدب المقارن (قضايا عربية) ع3 و4 ، 1975 .

51. المناصرة (عز الدين) ، ببجماليون بين الحكيم وبرنادشو، (الثقافة العربية طرابلس، 1975 .

52. موسى كاظم (علاء) ، بغداد في رحلات الأجانب في العهد العثماني، (المورد) م5 ، ع3 ، 1976 .

53. شحيد (جمال) ، الأدب المقارن بين التقليد والحداثة (المعرفة) ، ع 182 ، 1976.

54. موفاكو (محمد) ، العربية في اللغة الألبانية ، (المعرفة)، ع 178، 1976 .

55. عثمان (أحمد) ، الثقافة الإغريقية في أدب توفيق الحكيم (الكاتب) ع 178 / يناير 1976 .

56. عثمان (أحمد) ، دراسة مقارنة حول مسرح كل من يوريبدس وسنيكا وراسين (الكاتب) ع 184 / ديسمبر 1976 .

57. مسعود (رشيد) ، مسألة الأدب المقارن (المعرفة) ع 182، 1976 .

58. حسن محمود (عبد الغني) ، ثقافة اليونان والرومان وآثرهما في طه حسين مجلة "مجمع اللغة العربية " دمشق / ع 1، مج 51، 1976 .

59. الدباغ (فخري) ، الرواية العلمية العربية ، هل هي معدومة؟ (مجلة الجامعة، الصادرة عن المركز الثقافي والاجتماعي، جامعة الموصل) ، ع 7، نيسان 1976 .

60. ياسين (نجمان) ، مستشرقة بلغارية تتحدث عن المخطوطات العربية ، (مجلة الجامعة، الصادرة عن المركز الثقافي والاجتماعي، جامعة الموصل)، ع 9/8، آيار– حزيران 1976 .

61. لؤلؤة (عبد الواحد) ، ملامح عربية في بواكير الشعر الإنجليزي، (آفاق عربية) تشرين 1977 .

62. دوبريشان (نيقولا) ، دخول وانتشار حكايات ألف ليلة وليلة في الثرات الثقافي الروماني، (الثرات الشعبي) ع 2، 1977 .

63. العظمة (نذير) ، جبران خليل جبران ورالف والدو أمرسون، (المعرفة) ع 187، أيلول/ سبتمبر 1977 .

64. علي مكي (محمود) ، البرتغال الإسلامية، (العربي)، ع 219، 1977

65. الطاهر مكي (أحمد) ، الجاحظ والأدب المقارن، (آفاق عربية) ع 1، 1977

66. محمود السامرائي (عبد الجبار) ، ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، (الآداب) ع 3 و4، 1977 .

67. عثمان (أحمد) ، شخصية هيراكليس منذ نشأة الأسطورة (الثقافة) القاهرية / عدد 42 مارس 1977 وعدد 44 ماي 1977 .

68. عداس (خلاد) ، الأدب المقارن بين " شحيد" و" رشيد مسعودي (المعرفة) ع 187 أيلول 77

69. الشمعة (خلدون)، مقدمة في الجنس الروائي، (المعرفة)، ع 185، جويلية 1977

70. علي كريمي (غلام) ، أثر الأدب العربي في الادب الفارسي، (الثقافة المصرية)، ع 49 ، أكتوبر 1977

71. عبود (حنا) ، مفهوم "الدمار" بين تشيخوف ومسرح اللامعقول، (الموقف الأدبي)، ع 83، آذار 1978 .

72. الحمو (أحمد) ، "الملك هو الملك" أم "الرجل هو الرجل"، " Man is Man " بين سعد الله ونوس وبرتولد بريخت ، (الموقف الأدبي)، ع 86، حزيران 1978 .

73. عبد الجاسم (عباس) ، إشكالات التجريب والتجديد في القصة العراقية، مجلة (الطليعة الادبية) ع 9، أيلول 1978.

74. جاسم الموسوي (محمد) ، مقدمة لدراسة الإسهامات العربية في رفد الرواية العالمية، (الأقلام) ع 1، 1978 .

75. مجموعة من الأساتذة، الشعر العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية (المعرفة) ع 193، 1978

76. عبد الحي (محمد) ، أنشودة المطر، إليوت شيلي والثرات العربي، (المعرفة) أكتوبر 1978 .

77. عبد الحميد (مصطفى) ، ألف ليلة وليلة في أساطير الأخوين جريم، (صوت الجامعة) البصرة كانون الثاني، 1978 .

78. عبود (حنا) ، الواقعية في الادب العربي المعاصر (الموقف الأدبي) ع 85، آيار1978 .

79. بتروف (سيرغي)، الواقعية الاشتراكية: منهجها واتجاهاتها، تر: نزار عيون السود، (الموقف الأدبي) ع 85، 1978.

80. عبود (حنا) ، التعبيرية والدوائر المغلقة، (الموقف الأدبي)، ع 88 ، آب 1978 .

81. أحمد حجازي (علي) ، الأساطير العربية الإسلامية في الشعر الانجليزي ، مجلة كلية الآداب الرياض، ع 81/8 .

82. أبو حيدر (جرير) ، أدب المقامات والرواية التشردية الاسبانية (الآداب الأجنبية) ع 4، 1978 .

83. مراني (ناجية) ، شهريار وشهرزاد وحجاج كانتار بري، (الثرات الشعبي) ع 8، 1979 .

84. عز الدين عيسى (يوسف) ، جيل فيرن والأدب العلمي، (عالم الفكر) ع 1، 1978

85. مدرسة الطبيعة في أمريكا وهمنجواي / قمر كبلاني/ " الموقف الأدبي" ع 100، آب 1979 .

86. منصور (خيري) ، الرؤية العربية للأدب الصهيوني (الأقلام) ع 9، حزيران 1979.

87. سعد الدين (كاظم) ، حل رموز كافكا الصهيونية (الأقلام)، ع 9، حزيران 1979 .

88. المبارك (عدنان) ، أصول المسرح المعاصر (آفاق عربية)، ع 10، حزيران 1979 .

89. حسين صالح (قاسم) ، الإبداع الفني عند الفرويدية وأثره في السريالية، (آفاق عربية) م3

90. أمين (بديعة) ، كافكا والكتاب العرب وحديث عن بنات آوى (آفاق عربية) ع 4، كانون الأول 1979 .

91. الأوسي (حكمت) ، جوانب من التأثير العربي في الشعر الاسباني (مجلة كلية الآداب) بغداد، ع 26، 1979 .

92. أسماعيل الموافي (محمد) ، الطروبا دور والحب الرفيع، (عالم الفكر) ع 3، 1980.

93. الخطيب (حسام) ، الأدب المقارن بين التزمت والانفتاح (المعرفة) 1970 .

94. سلوم (داود) ، لمحات في الدراسات الأدبية المقارنة عند العرب (مجلة كلية الآداب)، بغداد، ع 22 مارس 1980 .

95. صالح باسلامة (فاروق) ، شوقي والأدب الأوروبي، مجلة الأديب اللبنانية، ع 9، 1980 .

96. صقور (مالك) ، بوشكين والقرآن الكريم، (الموقف الأدبي)، ع 113، سبتمبر، 1980 .

97. حمود الصباح (رشا) ، التصورات الأوروبية للإسلام، (عالم الفكر)، أكتوبر 1980.

98. سكري (شوقي) ، مناهج البحث في الأدب المقارن، (عالم الفكر)، مج 11، ع 3، 1980 .

99. شاروني (يوسف) ، الخيال العلمي في الأدب العربي، (عالم الفكر)، أكتوبر 1980 .

100. صدقي (عبد الرحمان) ، جوته و الاسلام (مجلة فكر وفن) ع 1، 1979 .

101. خالد ألبدلي (أحمد) ، جزيرة العرب كما رآها الرحالة ناصر خسرو البتادياني، (مجلة جامعة الملك سعود) مج 6 1979 .

102. لوكاش (جورج) ، بين كافكا ومان (الآداب) ع 1، 1980.

103. لؤلؤة (عبد الواحد) ، بين السياب وستويل، (الفكر العربي المعاصر) 1981 .

104. كمال الدين (جليل) ، المقاومة العربية في الشعر العالمي (الثقافة الأجنبية)، بغداد ع 4، 1981 .

105. شلش (علي) ، الأدب العلابي والأمريكيتين يحتضر (العربي) ع276، 1981 عباس (إحسان) ، الأصالة في الثقافة القومية المعاصرة، (المستقبل العربي)، ع 25 مارس 1981 .

106. زاليغين (سيرجي) ، تولستوي والحضور الإنساني، تر يوفد عبد المسيح (الثقافة الأجنبية) ع 3، 1981 .

107. أور ويل (جورج) ، تولستوي والمهرج ويلز، تر حسن عبد المقصود سقال (ديزيه) ، الأرض والخراب والشعر العربي المعاصر، (الفكر العربي المعاصر) ع 10، شباط 1981 .

108. كمال الدين (جليل) ، تولستوي والأدب العربي، (فنون) بغداد، ع 151، آب 1981 .

109. موريسون (بليك) ، الشعر الانجليزي والرواية في الخمسينات، ترجمة وتحليل أمين العيوني (عالم الفكر) ع 14 يناير/ فبراير /مارس 1981 .

110. خشبة (سامي) ، المفهوم الدرامي عند صلاح عبد الصبور مجلة (المسرح)، أكتوبر 1981.

111. داود (عبد الغني) ، صلاح عبد الصبور والرؤية العبثية مجلة (المسرح) أكتوبر 1981 .

112. كمال الدين (جليل) ، العرب في الأدب العالمي، نظرة في الموضوعية العربية في شعر ليرم نتوف، (البصرة) ع 13، 1981.

113. الأوسي (حكمت) ، جوانب من التأثير العربي في اللغة الاسبانية، (مجلة كلية الأدب) ج بغداد، ع 32 ، 1982 .

114. هورتون (رودو) ، الخلقيان الفكرية للأدب الأمريكي، تر: سلافه حجازي (الثقافة الأجنبية) ع 2، 1982 .

115. توفسن (ارنست) ، تأثير الفلسفة البريطانية في الأدب الانجليزي، تر: أبو يعرب المرزوقي (المجلة السابقة نفسه) .

116. فهمي (عبد الرحمان) ، الرواية البوليسية، (فصول) ع 2 يناير/فبراير/ مارس 1982.

117. بهي (عصام) ، الخيال العلمي ورؤى المستقبل (فصول) ع 2يناير/ فبراير/ مارس 1982 .

118. هريدي (محمد) ، مسيرة الأجيال بين الرواية المصرية والتركية (فصول) ع 2 يناير/فبراير/مارس 1982 .

119. عبد الدايم (يحيى) ، تيار الوعي والرواية اللبنانية المعاصرة (فصول) ع 2 يناير/فبراير/مارس 1982 .

120. أحمد لبيب (عباس) ، بين الأرض وفونتمارالسوليني (فصول) ع 2 يناير/فبراير/مارس 1982 .

121. محمد (جبر) ، العلاقات الجدلية بين الرومانسية والمدارس الأخرى، (الباحثة اللبنانية)، ع 4، 1982 .

122. حسان (عبد الحكيم) ، الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي والأمريكي، (فصول)، ع 3، 1982.

123. شولز (روبرت) ، جذور القصة العلمية، تر عبد الرحمان رضا، (الثقافة الأجنبية)، ع 2، 1983 .

124. أبو الحسين (هيام) ، ألف ليلة وليلة إلى صرح الفرنسي (فصول: العدد الخاص ؟) 1983 .

125. نوفل (يوسف) ، نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية (أبحاث اليرموك)، ع 2/1، مج 1، 1983 .

126. حافظ (صبري) ، التناص، مجلة (ألف) القاهرة ع 4، 1984 .

127. المناصرة (عز الدين) ، بيان الأدب المقارن، إشكاليات الحدود (الحرية) سبتمبر 1984 .

128. سلوم (داود) ، أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي، مجلة (كلية الادب) جامعة بغداد، 1984 .

129. داود الو اسطي (سليمان) ، ملحمة "كلكامش" العراقية ودورها الرائد في أدب الملاحم العالمي (مجلة آداب المستنصرية) الصادرة عن كلية الآداب المستنصرية بغداد، ع8 1984 .

130. نصيف (جميل) ، صور عربية في الأدب الروسي الكلاسيكي (دراسات الأجيال)، ع2/1، آب 1984 .

131. فايسشتاين، الأدب المقارن والنظرية الأدبية، عرض وتقديم أحمد كمال زكي، (الفيصل) أبريل 1985 .

132. ديما (ألكسندر) ، تطور علم الأدب المقارن، ترجمة محمد يونس (الثقافة الأجنبية) ع2/ 1985 .

133. المناصرة (عز الدين) ، أثر الصخب والعنف في "ما تبقى لكم " المهد الأردن، ع5، 1985 صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني (الدوحة) قطر حزيران 1985 .

134. محمد رجاء (الدريني) ، مكانة روبسون كروز والقصص اللايوطي، (حوليات كلية الآداب)، الكويت، ع6، 1985 .

135. عثمان (أحمد) ، مأساة " أوديب " بين سوفولوس والحكيم (الكاتب)،ع183، يونيو 1986 .

136. بوبيا (فوزي) ، الأدب العالمي والمغايرة، تر: سعيد علوش (الثقافة الأجنبية) .1986

137. يغمور (فخري) ، صورة كليوبترا في مسرحيات شكسبير وشوقي، (دراسات العلوم الإنسانية) عن الجامعة الأردنية، عمان ع12 ، مج 13 1986 .

138. ملحق خاص بمجلة دراسات العلوم الإنسانية قائمة ببيليوغرافية عن كتب الرحالة الأوروبيين عن فلسطين والأردن الصادرة عن الجامعة الأردنية عمان، ع12 مج 13، 1986 .

139. الحمود (نوفان) ، كتب الرحالة الأوروبيين عن فلسطين و الأردن المحفوظة في مركز الوثائق والمحفوظات (دراسات العلوم الإنسانية) مج 13 ع1 1986 .

140. ويلك (رينيه) ، النظرية الأدبية والاستطيقا عند مدرسة براغ تر: محمد عصفور (الثقافة الأجنبية) ع1 1988 .

141. ترجيني (فايز) ، الرومانسية في الأدب، (دراسات عربية)، ع8/7، يونيو 1988

142. الشيخ (خليل) ، صورة الشرق العربي الإسلامي في أدب غوته، (اليرموك)، ع524، 1988

143. القمري (بشير) ، مفهوم التناص بين الأصل والامتداد (الفكر العربي المعاصر) ع60، 1989 .

144. منصور أبو الحسين (محمد) ، الشخصية العربية في القصة الرائجة المطبوعة في الولايات المتحدة الأمريكية مجلة الملك سعود/ مج1، 1989 .

145. بن عبد الرحمان البازعي (سعد) ، الذات وحضارة الأخر البحتري وبتيس، (مجلة الملك سعود) مج1، 1989 .

146. أبو جهجهة (خليل) ، الأدب بين الثرات والروافد الأجنبية (دراسات عربية) ع8/7، يونيو 1989 .

147. السيد عيد (محمد) ، نجيب محفوظ في مرآة الادب المقارن، (المنهل) ع 468، مج50 يناير 1989 .

148. الجريبي (نور الدين) ، قراءة في كتاب "مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة " لمحمد طرشونة، (الحياة الثقافية) وزارة الثقافة والاعلام بتونس، ع53 ، 1989 .

149. الخطيب (حسام) ، المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن (مجلة جامعة دمشق، ع7 سبتمبر 1989 .

150. محمود (إبراهيم) ، كيف ينظر المثقف العربي على الإستشراق (المستقبل العربي) يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية، ع137 تموز 1990 .

151. الزواق الصفار(فوزية)، صورة الفكر الفرنسي في كتاب "ألوان " لطه حسين (الحياة الثقافية)، ع55 ، 1990 .

152. شميم (أحمد) ، مساهمة المسلمين في الأدب السنسكريتي، (مجلة ثقافة الهند) نيودلهي، مج 41 ع4 1990 .

153. الخطيب (حسام) ، الأدب العربي المقارن والمصطلح الأول والنص الأول(فصول)، ع4/3 فبراير 1991 .

154. جيبتركاترين (سلاتر) ، حكايات كانتر بيري والاطار القصصي التقليدي العربي، تر: علي أحمد علي الغامدي (مجلة جامعة الملك سعود)، مج3 ، 1991 .

155. فتوح (عيسى) ، الكوميديا الإلهية ومصادرها الإسلامية، (مجلة البرموك)، الأردن ع 34، 1991 .

156. عبد القادر شريف (أبو شريفة) ، صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصليبية، (مجلة البلقاء للبحوث والدراسات) الأردن، مج1، ع1، 1991 .

157. وجدان علي (الأميرة) ، تأثير الاستعمار الغربي على الفن العربي المعاصر، (مجلة اليرموك)، ع31، 1991 .

158. العربي الخطابي (محمد) ، الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، الأخذ والعطاء، (مجلة أكاديمية المملكة المغربية)، ع4، 5، 1991 .

159. مزيان (عبد المجيد)، أخذ وعطاء وتقبل وإقصاء بين الثقافتين الإسلامية والغربية، (مجلة أكاديمية المملكة المغربية) ع4، 5، 1991 .

160. مكي الناصري (محمد) ، قنوات الاتصال بين الثقافتين الإسلامية والغربية، (مجلة أكاديمية المملكة المغربية)ع4، 5، 1991 .

161. محمد قابيل (فايز) ، في الثرات الإنساني (أفكار) الأردنية، ع108 ، 1992

162. أبو عمشة (عادل) ، أثر الحضارة الغربية في جهود رفاعة رافع الطهطاوي في اللغة و الأدب، (مجلة النجاح للأبحاث)، الأردن، ع7، مج2، 1993 .

163. الجراري (عباس) ، الثقافة الإسلامية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى، (مجلة أكاديمية المملكة المغربية) ع4، 5، 1996 .

164. جيرمونسكي (فكتور) ، التيارات الأدبية بوصفها ظاهرة دولية، تر: غسان مرتضى، (الآداب الأجنبية)، ع83، 1995 .

165. قاسم (محمود) ، عالمية الأدب،... وإشكالية الترجمة، (المنهل)، السعودية جدة، ع525، مج 57 سبتمبر 1995.

166. عبود (عبده) ، الرواية الألمانية في أحدث مراحل استقبالها عربيا (مجلة جامعة البحث) حمص، ع16، 1995 .

167. عبود (عبود)، " قفزة نوعية في استقبال أدب كافكا"، (الأسبوع الأدبي)، 1995/09/07.

168. أرحيلة (عباس) ، أبو تمام والتأثير اليوناني، (مجلة المنهل)، مج57، ع526، 1995.

169. السيد علي بلاسي (محمد) ، اللغة الآرمية وصلتها بالعربية، (المجلة الثقافية)، ج الأردنية، ع39، نوفمبر1996 .

170. أبو الولي (ممدوح) ، بعض مؤثرات الأدب العربي في أدب تولستوي (بناة الأجيال)، ع20، 1996 .

171. يونس عبود (عبده) ، الأدب العربي المقارن : إلى أين ؟ (الفيصل) يوليو، أغسطس 1997 .

172. سعد غالي (إلياس) ، دانتي بين المعري وابن عربي، (بناة الأجيال)، ع21، 1997

173. أصطيف (عبد النبي) " المنهج المقارن في الدراسة الأدبية " (الموقف الأدبي)، ع321، 1998 .

174. خضر (الآغا)، "غوته و المعلقات السبع"،(الثورة)، 1998/05/02.

<u>**المجلات العربية**</u>

(الأعداد الخاصة)

- **مجلة " المعرفة " السورية، العددان 191 – 192، كانون الثاني شباط ، 1978**

- **<u>موضوع العدد :</u> تأثير الأدب العربي في الآداب الإنجليزية . <u>320 صفحة</u>**

- **<u>محتوى العدد :</u>**

- قدسي (صفوان) ، الأدب والقومية

- حمو دية (محمد)، تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي

- شهيدي (جعفر)، لقاء الأدب العربي والأدب الفارسي.

- موفاكو (محمد) ، مؤثرات عربية في القصص الشعبية الألبانية

- س . إ . بوزورت ، تأثير الأدب العربي في الأدي الإنجليزي، ترجمة محمود الهاشمي

- بيلمان (ديتز)، أثر التراث الثقافي العربي في الخلق الأدبي لدى الكلاسيكين الألمان وكتاب جمهورية ألمانيا الديموقراطية

- عيون السود (نزار) ، بعض من المؤثرات العربية في الأدب الروسي

- أنغلسكو (فيرثيا) ، اللغة العربية والأدب في رومانيا، ترجمة خيري الذهبي

- جيللا (يوليوس) ، الأدب العربي في الترجمات السلوفاكية

- الدقاق (عمر) ، أثر العرب في اللغة البرتغالية والأدب البرازيلي

- إريكسون (جون) ، إنعكاس البلاد العربية في الأدب الأمريكي في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة توفيق الأسدي

- حمو (أحمد) ، جوته والأدب العربي

- مقدسي (فايز) ، مفهوم الشرق عند رامبو

- الشمعة (خلدون) ، بورغيس وفن الخبر العربي

- صبح (محمود) ، المواضيع العربية عند لوركا

- دودو (أبو العيد) ، فيلهلم هاوف وألف ليلة وليلة

- جحا (فريد) ، كتاب كليلة ودمنة وأثره في الآداب الفرنسية

- ركيبي (عبد الله) ، تولستوي والإسلام

- سليمان الأحمد (أحمد) ، أراغون وقصيدة حب لإسبانيا العربية

- شحيد (جمال) ، ألف ليلة وليلة في الأدب الفارسي.

- علون (عبد العزيز) ، الأصول الجمالية لماردونات رفائيل في الأدب العربي

- بيرك (مبارك) ، زجل في سبيل غرناطة مرتقبة

- **<u>مجلة " عالم الفكر " الكويتية، المجلد الحادي عشر ، العدد 3</u>**

<u>أكتوبر/ نوفمبر / ديسمبر 1980 .</u>

- **<u>محتوى العدد :</u>**

- السكري (شوقي)، مناهج البحث في الأدب المقارن.

- بطرس سمعان (انجيل)،الرواية الإنجليزية المترجمة إلى العربية

- حمود الصباح(رشا)، التطورات الأوروبية للإسلام في العصور الوسطى

- إسماعيل الموافي (محمد)، الطروبادور والحب الرفيع

- شريف (نور)، جورج إليوت .

- عبد الفتاح شاش (نفيسه)، جرار دي نرقال وعالم الأساطير المصرية.

- الشاروني (يوسف)، الخيال العلمي في الأدب العربي.

<u>مجلة (فصول) المصرية</u>

عددان خاصان (موضوع العددين / الأدب المقارن)

ع 3، س 3، 1983 وع 4 ، س3 ، 1983

- **<u>محتوى الجزء الأول:</u>**

- حسان (عبد الحكيم) ، الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي و الأمريكي

- فايسشتاين أولريش، التأثير والتقليد، ترجمة: مصطفى ماهر.

- سرحان (سمير) ، مفهوم التأثير

- عبد المنعم جبر (رجاء) ، فلسفة الأدب والأدب المقارن

- رشيد (أمينة) ، وضع الأدب المقارن في الدراسات المعاصرة

- فليتشر (جون) ، نقد المقارنة، ترجمة: نجلاء الحديدي

- أبو ديب (كمال) ، إشكالية الأدب المقارن

- اينخباوم (بورس) ، أو. هنري ونظرية القصة القصيرة، ترجمة: نصر أبو زيد

- كونستان (ديفيد) ، كاره البشر.

- المسيري (عبد الوهاب) ، مواعظ قصصية.

- عاشور (رضوى) ، الإنسان والبحر.

- يونس (محمد)، أدب الشمعة.

- هريدي (محمد) ، البوفارية في الرواية المصرية والتركية

- شوشة (فاروق)، محمد غنيمي هلال.

- غنيمي هلال (محمد)، مجنون ليلى بين الأدب العربي والفارسي.

- أسعد (سامية)، مجنون إلزا.

- أبو الحسن (هيام)، ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي.

- شحاتة (عبد المنعم)، صورة مصر في الأسطورة والواقع.

- بورتييه(لوسيان)، المصادر الإسلامية في الكوميديا الإلاهية، ترجمة: ابتهال يونس.

- الغمري (مكارم)، مؤثرات شرقية في الشعر الروسي.

- علي الكردي (محمد)، الشرق و الغرب بين الواقغ والإيديولوجيا.

محتوى الجزء الثاني:

- عامر (عطية) ، تاريخ الأدب المقارن
- إبراهيم (نبيلة)، عالمية التعبير الشعبي.
- عتمان (أحمد)، على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السياب.
- شلش (علي) ، نيويورك في ست قصائد .
- ماطي دوجلاس(فدوى)، العمى في مرآة الترجمة الشخصية.
- قسطندي (فخري) ، فن الإبيجراما عند طه حسين.
- محمودي (عبد الرشيد)، طه حسين و ديكارت.
- عنان (ليلى) ، الرومانسية الفرنسية بين الأصل والترجمة
- حسين مهنا (غراء)، الحكاية والواقع: مقارنة بين الحكايات الشعبية المصرية والفرنسية.
- عبد الرحمن محمد (إبراهيم)، تراث جماعة الديوان النقدي أصوله ومصادره.
- عبد الحي (محمد) ، البنفسجة والبوتقة...الترجمة ولغة الشعر الرومانسي العربي.
- عوض (رمسيس)، روميو وجولييت على المسرح المصري.
- إبراهيم (عبد الحميد)، جريمة قتل بين إليوت وعبد الصبور.

- بطرس سمعان (أنجيل)، نماذج من الرواية الإنجليزية المترجمة إلى العربية.

- صبري (حافظ)،تناظر التجارب الحضارية وتفاعل الرؤى الإبداعية. دراسة في تأثير "الصخب والعنف" في الرواية العربية.

- رضوان (كمال) ، فكرة فاوست منذ عصر جوته.

- ماهر (مصطفى)، فاوست في الأدب العربي المعاصر.

- بهي (عصام)، الشيطان في ثلاث مسرحيات.

- ديب (ناهد)، مسرح نجيب سرور وتمثيل المسرح الألماني الحديث.

- عبد العزيز(أحمد)، أثر فديريكو جارثيا لوركا في الأدب العربي المعاصر.

- **مجلة " الموقف الأدبي " السورية، العدد 186، تشرين الأول 1986** .

- **موضوع العدد : الأدب العربي في علاقاته مع الآداب الأخرى 160 صفحة**

- **محتوى العدد :**

- شحيد (جمال) ، رواية عصر التنوير الفرنسية والحضارة العربية .

- عبد الله (عادل) ، ألف ليلة وليلة وفن البرلسك الإنجليزي .

- شريفي (عبد الواحد) ، أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير القصصي .

- شعبان (بثينة) ، الأدب النسائي العربي والأدب النسائي الإنجليزي .

- القاسم شداد (فاطمة) ، الشعر العربي الحديث والشعر الإنجليزي .

الملحق II:

بيبليوغرافيا الأدب المقارن بالمغرب العربي:

1. دودو (أبو العيد)، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 – 1855)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975.
2. ميسوم (عبد الإله)، "تأثير الموشحات في التروبادور"، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.
3. الجراري (عباس). أثر الأندلس على أوربا في مجال النغم والإيقاع. مكتبة المعارف، الرباط .1982.
4. الشوا (عبد الدايم)، في الأدب المقارن-دراسة تطبيقية مقارنة بين الأدبين العربي والإنجليزي، دار الحداثة، 1982/الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1983.
5. العربي (إسماعيل)، من روائع الأدب العالمي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1982.
6. ميسوم (عبد الإله)، تأثير الموشحات في التروبادور، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1982.
7. أيت حمودي (تسعديت)، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، بيروت، دار الحداثة، 1986.

8.حنون (عبد المجيد)، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

9.طرشونة (محمد). "مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقاته على ألف ليلة وليلة". تونس.1986

10.علوش (سعيد)، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، بيروت، دار الكتاب، 1986.

11.علوش (سعيد)، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986.

12.علوش (سعيد)، مدارس الأدب المقارن –دراسة منهجية-، المركز الثقافي العربي،1987.

13.دودو (أبو العيد)، دراسات أدبية مقارنة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

14.دراقي (زوبير)، محاضرات في الأدب المقارن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1992.

15.حنون (عبد المجيد)، " اللانسونية و أثرها في رواد النقد العربي الحديث"، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

16.ذاكر(عبد النبي)، **الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوروبية إلى المغرب**؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، مطبعة منشورات كوثر - الدار البيضاء 1997. صدرت طبعته الثانية مزيدة ومنقحة تحت عنوان: أوروبا

والمغرب نظرات متقاطعة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ أگادير ، مطبعة أنفو برانت، فاس 2007

17.الزاوي (الأخضر)، " دراسات في الأدب المقارن – صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو- دراسة فنية مقارنة"، الجزائر، منشورات جامعة باتنة، 1998.

18.حنون(عبد المجيد)، الأساطير الأدبية، عنابة، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، 1999-2000.

19.بوزيدة (عبد القادر)، تيموروموباسون- رؤيتان و عالمان- الجزائر ، منشورات التبيين، 2000.

20.بعلي (حفناوي)، "أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسية"، وهران ، دار الغرب، 2002.

21.**ذاكر (عبد النبي)،صورة أمريكا في متخيل الرحالين العرب**؛ المغرب،سلسلة الزمن، 2002.

22.كلودن (فرانسيس) و فولتنغ (كارين حداد) ، "الوجيز في الأدب المقارن – نظريات ومناهج المقاربة المقارنية" ، ترجمة عبد القادر بوزيدة، الجزائر، دار الحكمة ، 2002.

23.شرشار (عبد القادر). "الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"،دمشق، مطبعة إتحاد الكتاب العرب، 2003.

24.بعلي (حفناوي)، " فضاء المقارنة الجديدة – الحداثة – العولمة – جماليات التلقي-"، وهران، دار الغرب، 2004.

25.**ذاكر (عبد النبي)، المحتمل في الرحلة العربية إلى أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفياتي**؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، ودار السويدي للنشر والتوزيع ـ الإمارات العربية المتحدة. 2004

26.**برونيل (بيير) و روسو (ميشيل)و بيشوا (كلود) ، ما الأدب المقارن؟ ترجمة: حنون (عبد المجيد) و عيلان (نسيمة) و رجال (عمار)، عنابة، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، 2005.**

27.شريفي (عبد الواحد)، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر"، وهران، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2005.

28.مارينو(أدريان)، "مراجعة الأدب العالمي"، ترجمة :عبد النبي ذاكر، الجزائر، دار الغرب للنشر ، 2005

29.مغيربي (صالح)، رحالة الغرب الإسلامي، ترجمة :عبدالنبي ذاكر، المغرب، منشورات البحث النقدي ونظرية الترجمة (PROTARS III)، ط1، 2005

30.الحاج ناصر الدين ألفونس إتيان ديني، والحاج سليمان ابراهيم باعمر "الحج إلى بيت الله الحرام"، ترجمة وتقديم :عبد النبي ذاكر، المغرب، منشورات المركز المغربي للتوثيق والبحث في أدب الرحلة، ط1، 2006

31.ذاكر (عبد النبي) ."المغرب وأوربا نظرات متقاطعة"، المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر- أكادير، ط1، 2006، ط2، 2007

32.عجينة (محمد)،"حفريات في الأدب و الأساطير"، تونس، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، ط1، 2006.

33.بعلي (حفناوي)، "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن"، الجزائر، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2007.

ببيليوغرافيا مقالات الأدب المقارن بالمغرب العربي:

1. الفاسي (محمد)، الرحالة المغاربة و أثارهم، الرباط، وزارة الأوقاف، ع2، 1958.

2. بن تاويت (محمد)، " تأثر الأدب العربي بالفارسية"، مجلة دعوة الحق، الرباط، وزارة الأوقاف، ع 3 ، 1959.

3. الفاسي (علال)، تأثير الشعر العربي بالأندلس في الأدب الغربي، مجلة دعوة الحق، الرباط، وزارة الأوقاف، ع 10، 1959.

4. الفاسي (محمد)، الرحالة المغاربة و أثارهم، الرباط، وزارة الأوقاف، ع4، 1959.

5. زمامة (عبد القادر). رحلة العبدري الحيحي. دعوة الحق. الرباط. وزارة الأوقاف. ع2، 1961-1962.

6. الجراري (عباس) . "تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب" . مجلة دعوة الحق ، الرباط ، وزارة الأوقاف، ع 7 ، 1962.

7. بنحدو (رشيد)، ظاهرة الإستيلاب في الأدب المغربي، مجلة الآفاق، الرباط، اتحاد كتاب المغرب، 1971.

8. جوايو(جورج) ، كامو والثورة الجزائرية، تر: أبو القاسم سعد الله ، مجلة الثقافة، الجزائر، ع5، نوفمبر 1971 .

9. صالح (مدني) ، ابن طفيل: من اللاهوت إلى الرواية الانجليزية، (الأقلام)، ع1، 1973 .

10. طالب الإبراهيمي(أحمد) ، ألبير كامي والجزائر (قسمان)، لمحات (اليونسكو) ع3 وع4 /1973 .

11. طالبي (عمار) ، أفلاطون وأرسطو في آثار أبي حيان التوحيدي، لمحات، ع4. 1973 .

12. السعداني (عبد اللطيف)، ذووالليسانين في الأدب العربي، المناهل، وزارة الثقافة، الرباط، ع12، 1978.

13. مدني (صالح)، " مع ابن طفيل الشاعر، بحث نقدي وتحقيق ودراسة فلسفية مقارنة" (المورد)، مج 8، ع 3، 1979.

14. ميسوم (عبد الله)، أثر الثقافة الإسلامية في حركتي الثرية والتروبادور، (مجلة بحوث)، معهد اللغة والأدب العربي بوهران، ع 2، 1980 .

15. محمد الفاسي ، "تأثير الشعر العربي بالأندلس في الآداب الغربية"، مجلة المناهل، الرباط، ع20. 1981.

16. برادة (محمد) . أصل الأجناس الأدبية . مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد. وزارة الشؤون الثقافية.1982.

17. س، ر ، نبيه، احتلال الجزائر من خلال أدب الرحالة الألمان في القرن 19، ترجمة: عمار هلال (مجلة الثقافة)، الجزائر، ع 72،نوفمبر ديسمبر 1982.

18. السعداني (عبد اللطيف) -" ذوو اللسانين في الأدب العربي"المناهل . الرباط. ع23. 1982.

19. مجتبائي (فتح) و دهلي (نور)،" القصص الحيواني من الأدب الهندي إلى الأدب الفارسي"، ترجمة عبد اللطيف السعداني، المناهل، الرباط،ع 23، 1982.

20. تبمور (كلانيكزاي) ، "العصور الأدبية: البنية الاجتماعية والأسلوب". ترجمة عبد القادر بوزيدة، مجلة الرؤيا، الجزائر، اتحاد الكتاب الجزائريين. ع1983،3.

21. سليمان علي (علي)، أثر الثقافة العربية في الثقافة الغربية (مجلة الثقافة والثورة)، الجزائر، ع 9 .1983.

22. بوحسن (أحمد)."الغرب في المشروع النقدي لطه حسين"، مجلة كلية الآداب، الرباط ، ع 11، 1986.

23. علوش (سعيد)، ليوبولد سنغوروالأدب الزنجي الإفريقي، مجلة الثقافة الأجنبية، الرباط، وزارة الشؤوت الثقافية، ع3 ، 1986.

24. ذاكر (عبد النبي)، **مكونات الأدب المقارن في العالم العربي**؛ العلم الثقافي، 12 ديسمبر 1987.

25. ذاكر (عبد النبي)، **الطرق الصوفية في تصور الرحالة الأوروبيين إلى المغرب**؛ العلم الثقافي، 6 أكتوبر 1990.

26. ذاكر (عبد النبي)، **الصورة الثقافية: من الأدب المقارن إلى الأنثروبّولوجيا الثقافية**؛ مترجم عن دانيال هنري بّاجو، العلم الثقافي، 15 شتنبر 1990.

27. ذاكر (عبد النبي)، **الواقعي والمتخيل في الرحلة الأوروبية إلى المغرب**؛ العلم الثقافي، 28 يوليوز 1990.

28. ذاكر (عبد النبي)، **الشرق في إشهار الغرب: مقاربة سيميائية**؛ العلم الثقافي، 30 يونيو 1990. أعيد نشره في جريدة أنوال 1993/2/24.

29. ذاكر (عبد النبي)، **الرحلة الحجوية إلى الديار الإسبانية**؛ العلم، 15 دجنبر 1991

30. ذاكر (عبد النبي)، **صورة طنجة في الرحلة الأوروبية**، العلم الثقافي، 23 نونبر 1991

31. مرتاض (عبد الملك) ، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص علامات (جدة) مايو 1991 .

32. الكتاني (محمد) ، جوانب عن تأثير الثقافة الغربية في الفكر الإسلامي الحديث، (مجلة أكاديمية المملكة المغربية) ، الرباط، ع4، 5، 1991 .

33. ذاكر (عبد النبي)، **أدب الرحلة والتواصل الحضاري**؛ جريدة مكناس إكسبريس، ع15، 1 ماي 1992. ثم أعيد نشره في العلم الثقافي 23 ماي 1992.

34. ذاكر (عبد النبي)،**المتخيل في الصورة السلاوية لدى الرحالة الغربيين خلال القرنين 17م و18م**؛ العلم الثقافي، 22 فبراير 1992.

35. بوزيدة (عبد القادر)، التأثير و التأثر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع2، 1993.

36. ذاكر (عبد النبي)، **دفاعا عن دراسة الموضوعات**، مترجم عن رايمون ثروسون؛ العلم الثقافي، 3 يوليوز 1993.

37. ذاكر (عبد النبي)، **الأدب المقارن: قضاياه وأعراض أزمته**، مترجم عن روني إتيامبل؛ العلم الثقافي، 20 فبراير 1993.

38. **ذاكر (عبد النبي)، مفاهيم مقارنية في المعجم السيميائي**، مترجم عن غريماس وكورتيس؛ العلم الثقافي، 28 غشت 1993.

39. **ذاكر (عبد النبي)، مشاهدات الصفار التطواني بين مرسيليا وباريز**؛ العلم 18 أبريل 1993.

40. **ذاكر (عبد النبي)، باريز في رحلة الصفار 1845- 1846**؛ العلم 3 يناير 1993.

41. **ذاكر (عبد النبي)، المغرب بعيون غربية والغرب بعيون مغربية في بحر القرن 19م: مقاربة صورلوجية مقارنة**؛ العلم الثقافي، 30 أكتوبر 1993.

42. **ذاكر (عبد النبي)، استراتيجية الإشهاد في الرحلة الفرنسية إلى درعة**؛ العلم الثقافي 22 ماي 1993.

43. **ذاكر (عبد النبي)، الرحلات العربية: السرد وصورة العالم**؛ العلم 6 يناير 1993.

44. بوزيدة (عبد القادر) ، طه حسين ومنهج الشك الديكارتي والمسألة الهوميرية " دراسة مقارنة " مجلة اللغة والأدب ،جامعة الجزائر، ع2، 1994.

45. درارجة (أبو القاسم) ، " أخوان رامون " الشاعر الأندلسي الزاهد والتأثير المزدوج، (مجلة اللغة والأدب)، ع5، 1994 .

46. **ذاكر (عبد النبي)، مراجعة الأدب العالمي**، مترجم عن أدريان مارينو؛ الملحق الثقافي 12 نونبر 1994.

47. حنون (عبد المجيد)، المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي ونقده، التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية .جامعة عنابة. ع 01. 1995.

48. **ذاكر (عبد النبي)، مفاهيم مقارنية**، ضمن كتاب: مقالات في الأدب واللسانيات؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير 1995.

49. ذاكر(عبد النبي)، **الرحلة الحجوية إلى الديار الإسبانية**، مجلة دراسات؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير، ع7. 1995.

50. شريفي (عبد الواحد)، مونتيسيكيو أديبا، (المعرفة) الجزائر، ع110، ديسمبر 1995.

51. روسيف (بنجو) ، " الأدب المقارن " والأنتروبولوجيا الثقافية، تر: عبد القادر بوزيدة، (اللغة والأدب)، ج، الجزائر، ع5، ماي 1995 .

52. **ذاكر (عبد النبي) ، استراتيجية الإشهاد في الرحلة الفرنسية إلى درعة،** ضمن أعمال ندوة حوض وادي درعة؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير سنة 1996.

53. حنون (عبد المجيد)، ناصر الدين الأسد والمنهج التاريخي، مجلة بحوث ودراسات أدبية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1 ، 1997.

54. ذاكر (عبد النبي)،" **الرحلة المغربية إلى أوروبا: مدخل بيبليوغرافي**؛ مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة المغربية، يونيو 1997.

55. ذاكر (عبد النبي)،**أدبية خطاب الرحلة**؛ العلم الثقافي، 15 مارس 1997.

56. حنون (عبد المجيد)، الأساطير الأدبية في الأدب المقارن بين الغربيين والعرب، أعمال المؤتمر الدولي حول " قضايا الأدب المقارن في الوطن العربي 22/20 ديسمبر 1995، مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، منشورات الجمعية المصرية للأدب المقارن، 1998.

57. **ذاكر (عبد النبي)**،**رهان المقارنية**؛ العلم الثقافي. 31 أكتوبر 1998.

58. **ذاكر (عبد النبي)**، **المقارنة، الرحلة، الصورلوجيا**؛ العلم الثقافي، 14 نونبر 1998

59. شريفي (عبد الواحد)، تسربات ألف ليلة وليلة / كانديد (فولتير) " كتابات معاصرة " مج9، ع34، 1998 .

60. بعلي (حفناوي)، " مدخل في إشكالية الأدب اللاتيني الأفريكاني – دراسة مقارنة في التأثير و التأثر"، (مجلة التواصل)، ع 9، 1999.

61. **ذاكر (عبد النبي)**، **مجادلة السائد في الدراسات الرحلية**؛ مجلة آفاق، عدد62/61 - 1999.

62. **ذاكر (عبد النبي)**، **فِخاخ تحديدات الأدب العالمي**، مترجم عن أنّا بالاكّيان؛ العلم الثقافي، 10 أبريل 1999.

63. ذاكر (عبدالنبي)، **الآداب المقارنة في العالم العربي والمتوسطي**؛ جريدة المنظمة، 10/9 ماي 1999.

64. **ذاكر (عبد النبي)،الدراسات الرحلية المغربية بين سنتي 1898 - 1998**؛ مجلة الثقافة المغربية، ع16، ماي 2000.

65. **ذاكر (عبد النبي)، رأي الدكتور أمجد الطرابلسي في علاقة "رسالة الغفران" بـ"الكوميديا الإلهية"**؛ مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة المغربية، ع67/66، 2002.

66. **ذاكر (عبد النبي)، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ**؛ العلم الثقافي، 12 أكتوبر 2002

67. **ذاكر (عبد النبي)، صورة أمريكا في متخيل الرحالين العرب**؛ العلم الثقافي، 2 فبراير 2002.

68. حنون (عبد المجيد)، أدب الأطفال والأدب المقارن، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع 9 ، 2003.

69. دودو (أبو العيد)، الأدب المقارن لبيتر ف تسيما، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر، ع 16 ، 2003

70. حنون (عبد المجيد)، أبو العيد دودو و الأدب المقارن في الجزائر، مجلة اللغة العربية، الجزائر، عدد خاص ، 2004.

71. حنون (عبد المجيد)، لمحة عن المقارنة في التراث النقدي، فصول أدبية لغوية، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 2004.

72. نويوات (مختار)، الدكتو أبو العيد دودو، نبذة وجيزة عن حياته وآثاره، مجلة اللغة العربية، الجزائر، 2004.

73. حنون (عبد المجيد)، النقد الأسطوري و الأدب العربي الحديث، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع 14 ، 2005.

74. **ذاكر (عبد النبي)،صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية**؛ العلم الثقافي، 27 أبريل 2002. ثم أعيد نشرها في جريدة طنجة الأدبية، 12 يوليوز 2005.

75. ذاكر (عبد النبي) ، **استراتيجات الإيهام بتبديد الميث في الرحلة العربية إلى الغرب**؛ مجلة دراسات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ أكَادير، ع11، 2003.

76. **ذاكر(عبد النبي)،مرآة الغيرية وأسئلة التحديث في الرحلات السفارية المغربية من القرن 18م إلى مطلع القرن 20م**؛ ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر: المغرب منطلقا وموئلا؛ نشر وزارة الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء 2003.

77. ذاكر (عبد النبي)، **ملفوظية الرحلات العربية إلى الغرب**؛ مجلة علامات، العدد 20، 2003.

78. **ذاكر (عبد النبي)، أفق الصورلوجيا: نحو تجديد المنهج**؛ مجلة علامات في النقد، م13، الجزء51، مارس 2004

79. **ذاكر (عبد النبي)، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ**؛ مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة المغربية، ع71 ـ 72، شتنبر 2004

80. حنون (عبد المجيد)، " أبو العيد دودو و الأدب المقارن في الجزائر"، (اللغة العربية) ، ع11، 2005.

81. زراد (جنات)، "صورة الآخر في الدراسات الأدبية المقارنة ، الجزائر نموذجا"، (مجلة الكاتب العرب)، ع2005،69.

82. ذاكر (عبد النبي)، **اليوطوبيا في رحلات العرب إلى الغرب**؛ مجلة جذور، ع21، شتنبر 2005. أعيد نشرها في مجلة درسات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ أگادير، ع12، 2006.

83. **ذاكر (عبد النبي)، المحتمل في الرحلة العربية إلى أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفياتي**؛ مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، ع11 شتاء 2005.

84. **ذاكر (عبد النبي)، صورة طنجة في رحلة بّيير لوتي**؛ جريدة طنجة الأدبية، ع11 يونيو 2005.

85. **ذاكر (عبد النبي)، صورة المغرب عند الأجانب: مراكش البهجة**؛ جريدة الأفق، 15 أبريل/10 ماي عدد مزدوج 11/10، 2005.

86. **ذاكر (عبد النبي)، رحالة الغرب الإسلامي من القرن 12م إلى القرن 14م**؛ العلم الثقافي، 9 يوليوز 2005.

87. بوسقطة (السعيد)، " صورة الجزائر في أدب الرحالة الألمان" ملتقى إشكالية الأدب في الجزائر(26-28 أبريل2005)، الجزائر، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن،2006.

88. **ذاكر (عبد النبي)،الخطاب المقدماتي الرحلي: سيميائيته، وظيفته، بنيته؛** مجلة المناهل، ع79، منشورات وزارة الثقافة المغربية، أ كتوبر 2006.

89. **ذاكر (عبد النبي)،الصورة والمحتمل؛** مجلة البحرين الثقافية، ع45 يوليو 2006.

90. **ذاكر (عبد النبي)، ملامح التسامح في رحلة حجازية لمستشرق فرنسي؛** جريدة التجديد، 18 أبريل 2006.

91. حفناوي (بعلي)، الجاحظ محاورا للثقافات الأخرى، مجلة المعرفة، سوريا، ع 530، تشرين الثاني 2007.

92. حفناوي (بعلي)،آفاق الأدب المقارن العالمية في تصور الناقد إدوارد سعيد"، مجلة عالم الفكر،الكويت، ع 4، المجلد 35، أبريل 2007.

93. حفناوي (بعلي)،إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، ع 440، كانون الأول، 2007

94. حفناوي (بعلي)، فيصل دراج الناقد الثقافي ذاكرة المستقبل..الوعي الجديد، سوريا، ع 520، كانون الثاني، 2007.

95. **حفناوي (بعلي)، شخصية يوغرطة النوميدي في الأدب العالمي- دراسة تحليلية مقارنة- مجلة مقارنات، القاهرة، أعمال مؤتمر جماليات الادب المقارن "12-13-2006 ، ع 2، 2007.**

96. **ذاكر (عبد النبي)،هل كان أنور لوقا مقارنا أنَسِيًّا؟؛** المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع100 خريف 2007.

97. **ذاكر (عبد النبي)، تلَقي المسرح الغربي في الرحلات المغربية من القرن 17م إلى القرن 20م**؛ مجلة فكر ونقد، ع95 فبراير 2008.

98. بنجو (روسيف) ، الأدب المقارن والأنتروبولوجيا الثقافية، ترجمة : عبد القادر بوزيدة، (الأدب واللغة) ع2، "د ، ت ".

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

I – المصادر:

1 - القرآن الكريم

II- المراجع العربية:

1 - أعمال الملتقى الدولي حول – الأدب المقارن عند العرب- عنابة 14-19مايو 1983،
2 - أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب- المصطلح والمنهج ، عنابة من 08 إلى 12 جويلية 1984 ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،
3 - أعمال ملتقى الأدب والأسطورة، جامعة باجي مختار ، عنابة،2007.
4 - أوفيدوس، مسخ الكائنات، ترجمة : د. ثروت عكاشة ، مراجعة د. مجدي وهبة، الهيأة المصرية للكتاب ،القاهرة، ط2.
5 - آيت حمودي (تسعديت). أثر الرمزية في مسرح توفيق الحكيم،لبنان.دار الحداثة. ط1 . 1986.
6 - باجو(دانييل هنري)، الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1997.
7 - باسنيت (سوزان) ، الأدب المقارن – مقدمة نقدية- ، ترجمة : أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999
8 - البطوطي (ماهر)، الرواية الأم – ألف ليلة و ليلة و الآداب العالمية– دراسة في الأدب المقارن، القاهرة، مكتبة الآداب، 2005.

9 - بعلي (حفناوي)،"أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسية"، وهران ، دار الغرب، 2002

10 - بعلي (حفناوي)، " فضاء المقارنة الجديدة – الحداثة – العولمة – جماليات التلقي-، وهران، دار الغرب، 2004.

11 - بعلي (حفناوي)، "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن"، الجزائر، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2007.

12 - تليمة (عبد المنعم)، مقدمة في نظرية الأدب، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر،1976.

13 -جمعة (محمد بديع)، الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1976.

14 - حمود (ماجدة)، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، اتحاد الكتاب العرب،2000.

15 - حنون (عبد المجيد)، " اللانسونية و أثرها في رواد النقد العربي الحديث"، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996

16 - حنون (عبد المجيد)، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

17 - خالص (وليد محمود)، أوراق مطوية من تاريخ الأدب المقارن في الوطن العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1997.

18 - الخطيب (حسام)، الأدب المقارن، دمشق، مطبوعات الجامعة، 1982.

19 -الخطيب (حسام)، آفاق الأدب المقارن، عربيا وعالميا، دمشق، دار الفكر، 1992.

20 - دراقي (زوبير)، محاضرات في الأدب المقارن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1992.

21 - دودو (أبو العيد)، الحزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 – 1855)، الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975.

22 - ديما(ألكسندر) ، مبادئ علم الأدب المقارن، ترجمة د.محمد يونس، مراجعة د. عباس خلف ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،1987

23 - ذاكر (عبد النبي) ."المغرب وأوربا نظرات متقاطعة"، المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر- أكادير، ط1، 2006، ط2، 2007

24 - الزاوي (الأخضر)، " دراسات في الأدب المقارن – صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو- دراسة فنية مقارنة"، الجزائر، منشورات جامعة باتنة، 1998.

25 - سلوم (داود). الأدب المقارن .في الدراسات المقارنة التطبيقية،القاهرة، مؤسسة المختار للنشروالتوزيع، ط1، 2003.

26 - السيد (غسان)، دراسات في الأدب المقارن والنقد، مطبعة زيد بـــن ثابـــت، 1996.

27 - شرشار (عبد القادر). "الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"،دمشق، مطبعة إتحاد الكتاب العرب، 2003.شريفي (عبد الواحد). ألف ليلة و ليلة و أثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر،الجزائر، دار الغرب ، 2005،

28 - الشفرة (منذر بشير) و الطاهر عبد القاهر العصفور (محمد)، على عتبات الشرق و الغرب في الأدب المقارن، تونس، 2008.

29 -شريفي (عبد الواحد)، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر"، وهران، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2005.

30 -طرشونة (محمد)، مدخل إلى الأدب المقارن و تطبيقاته على ألف ليلة وليلـــة، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986.

31 -عامر (عطية) ، دراسات في الأدب المقارن ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1989.

32 -عبد الرحمن (إبراهيم محمد)، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الشباب، ط3، 1990.

33 -عبود (عبده). الأدب المقارن—مدخل نظري ودراسات تطبيقة-" . سوريا. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، 1997-1998

34 -عبود (عبده)، هجرة النصوص، دمشق، إتحاد الكتاب العرب،1995.

35 -عبود (عبده)، القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، 1996.

36 -عبود (عبده)، الأدب المقارن –مشكلات وآفاق–، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999.

37 –- عجينة (محمد)– حفريات في الأدب والاساطير، تونس، دار المعرفة للنشر، ط1، 2006.

38 -العشماوي (محمد زكي)، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية، 1983

39 -علوش (سعيد)، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي ، سوشبريس ، الدار البيضاء ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي ، 1987

40 - علوش (سعيد)، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986.

41 - علوش (سعيد)، مدارس الأدب المقارن –دراسة منهجية-، المركز الثقافي العربي،1987.

42 -عيد (يوسف). المدارس الأدبية ومذاهبها – الجزء الأول (القسم النظري)- بيروت ، دار الفكر اللبناني، ط1، 1994.

43 -عيد (يوسف). المدارس الأدبية ومذاهبها – الجزء الثاني (القسم التطبيقي)- بيروت ، دار الفكر اللبناني، ط1، 1994.

44 -غنيمي هلال(محمد) ، الأدب المقارن ، بيروت ، دار العودة ، 1987

45 -غنيمي هلال(محمد) ، دراسات أدبية مقارنة: مجنون ليلى –أنطونيو وكليوباترة وهيباتيا، القاهرة، دار نهضة مصر، 1985.

46 -غويار (فرانسوا) ، الأدب المقارن ، ترجمة محمد غلاب و عبد الحكم محمود، لجنة البيان العربي، 1956

47 -غيفورد (هنري). الأدب المقارن ، ترجمة : د فؤاد عبد المطلب ، سورية ، دار التوحيدي للنشر ، ط 1 ، 2001

48 -فان تييغم ، الأدب المقارن ، ترجمة د سامي الدروبي ، دار الفكر العربي ،

49 -فيرنر ب. (فريدريك) وهنري مالون (ديفيد) ، حدود الأدب المقارن ، ترجمة و تقديم وتعليق د. عبد الحكيم حسان ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية، ط 1 ، 2003

50 -كفافي، (محمد عبد السلام)، في الأدب المقارن – دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، بيروت، دار النهضة العربية، 1972.

51 -كلودن (فرانسيس) و حداد فولتنغ (كارين) ، "الوجيز في الأدب المقارن" ، ترجمة عبد القادر بوزيدة، الجزائر، دار الحكمة ، 2002

52 -الكيلاني (شمس الدين)، صورة الشرق الأقصى والعالم في حكايات ألف ليلة و ليلة البحرية، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، 2007.

53 -مارينو (أدريان) . مراجعة الأدب العالمي ، ترجمة وتقديم عبد النبي ذاكر ، وهران ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، منشورات مخبرتعليمية الترجمة و تعدد الألسن، ط 1 ، 2005.

54 -مجموعة من الباحثين الفرنسين بإشراف بيير برونيل و إيف شوفريل، الوجيز في الأدب المقارن، غسان بديع السيد، دمشق، 1999.

55 -مغيربي (صالح)، رحالة الغرب الإسلامي، ترجمة :عبد النبي ذاكر، المغرب، منشورات البحث النقدي ونظرية الترجمة (PROTARS III)، ط1، 2005

56 - الملف الوصفي لمسلك " الدراسات العربية – جامعة الحسن الثاني ، عين الشق، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء.

57 -مكي (الطاهر أحمد)، دراسة نظرية وتطبيقيـــة، القـــاهرة، دار المعـــارف، 1993.

58 -مناصرة (عز الدين) ، مقدمة في نظرية المقارنة ، عمان ، دار الكرمل للنشر، 1987

59 -ميسوم (عبد الإله). " تأثير الموشحات في التروبادور"، الجزائر ، سلسلة الدراسات الكبرى ، 1981

60 -ندا (طه)، الأدب المقارن، بيروت، دار النهضة العربيـــة، ط1 1975/ ط2، 1991.

61 - ويليك(رينيه) و وارين (أوستن)، " نظرية الأدب"، ترجمـــة: محـــي الـــدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، بيروت، المؤسســـة العربيـــة للدراســـات والنشر، 1987.

62 - ويليك(رينيه) ، مفاهيم نقدية ، ترجمة، محمد عصفور. الكويت. 1987.

III- المقالات :

1 -اصطيف (عبد النبي) ." المنهج المقارن في الدراسة الأدبية . مجلة نزوى .ع12. أكتوبر 1997.

2 -باربو (ميشال) ، " التمييزية و الاختيارات المنهجية في التحليل الأدبي "، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح و المنهج . عنابة من 08 إلى 12 جويلية 1984 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر

3 -بن تاويت (محمد) "، " تأثر الأدب العربي بالفارسية"، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع 3 ، 1959

4 -بوحسن (أحمد)."الغرب في المشروع النقدي لطه حسين" ، مجلة كلية الآداب، الرباط ، ع 11، 1985.

5 -بومدين جيلالي . اهتمامات الأدب المقارن في الجزائر. مجلة التبيين . ع 29. 2008.

6 -- "تيبور كلانيكزاي" ، "العصور الأدبية: البنية الاجتماعية و الأسلوب" ترجمة عبد القادر بوزيدة، مجلة الرؤيا، الجزائر ، اتحاد الكتاب الجزائريين. ع3،(1983).

7 -الجراري (عباس) . "تجديد الشابي بين روافد الشرق والغرب" . مجلة دعوة الحق، الرباط، ع 7 ، 1962.

8 -حسان (عبد الحكيم)/ الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي و الأمريكي، مجلة فصول ، م 3 ، ع3

9 -خضير (ضياء) . " مكانة المتلقي في الأدب المقارن " ، مجلة علامات ، ج 34 ، مج 9 ، ديسمبر 1999

10 -دودو (أبو العيد) ، الأدب المقارن لبيتر.ف. تسيما" مجلة اللغة والأدب العربي ، ع 16، ديسمبر 2003

11 -سرحان (سمير). مفهوم التأثير في الأدب المقارن. مجلة فصول، المجلد3، ع3، القاهرة ،الهيئة المصرية للكتاب، 1983

12 -السعداني (عبد اللطيف) "-" ذوو اللسانين في الأدب العربي"المناهل . الرباط.ع 23. 1982

13 -شقروش (شادية) . يوسف و الآلهة الاسطورية. اعمال ملتقى الأدب والأسطورة عنابة، 2007.

14 -عامر (عطية) ، تاريخ الأدب المقارن في مصر ، أعمال الملتقى الدولي حول – الأدب المقارن عند العرب- عنابة 14-19مايو 1983، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،

15 -عبود (عبده) - الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة ، مجلة عالم الفكر

16 -علوش (سعيد) ، " ليوبولد سيدار و الأدب الزنجي الإفريقي "،وزارة الشؤون الثقافية، ع 3 ،1986

17 -عليوي (سامية). أسطورة فينوس في الأدب العربي – دراسة نقدية أسطورية . أعمال ملتقى الأدب و الأسطورة، عنابة، 2007.

18 -الفاسي (محمد) ، "تأثير الشعر العربي الأندلسي في الآداب الغربية"،

19 -فتح مجتبائي و دهلي نور،" القصص الحيواني من الأدب الهندي إلى الأدب الفارسي"، ترجمة عبد اللطيف السعداني، المناهل، الرباط،ع 12

20 -منصوري (عبد الحليم). من عولمة الأسطورة إلى أسطورة العولمة .. أعمال ملتقى الأدب و الأسطورة. عنابة، 2007.

IV- الرسائل الجامعية:

1. بريهمات (عيسى)، نوقشت بجامعة وهران سنة 1983 ، إشراف د.صالح خالص
2. بشلاغم (سميرة) 'Le récit de Joseph/Youcef dans la Bible et dans le Coran . Lectures et sens' " قصة يوسف في التوراة والقرآن- قراءات ومعاني" ، و إشراف د. صاري فوزية . جامعة وهران. 1997
3. بعلي (حفناوي). "أثر ت.س.إليوت في الأدب العربي المعاصر – جبرا ابراهيم جبرا أنموذجا-"إشراف عبد المجيد حنون.2001
4. بلعالم (محمد) ."موضوعة يوسف النبي في الأدب العالمي – يوناني – إنجليزي – ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة" ، إشراف د. بن عبد الله الأخضر. جامعة وهران، سنة 2004
5. بلميلود (عثمان)، "صورة الصحراء الجزائرية بين اتيان دينيه و ازابيل ابرهات" إشراف: شريفي عبد الواحد.امعة وهران ، سنة 2001
6. بلميلود (عثمان). "صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي -من 1830-1930"، إشراف شريفي عبد الواحد، جامعة وهران، سنة 2008
7. "بلهوادية فاطمة "حول" تأثير مجنون ليلى ومجنون أكسا".إشراف. د. خليل نصر الدين . 2004/2003
8. " بن قاسي (مليكة) " "جان جاك روسو و محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة"، إشراف د عبد القادر بوزيدة و أبو العيد دودو.
9. "داود (محمد)" . "أثر الرواية الجديدة في الرواية العربية – نجمة أغسطس نموذجا-"، إشراف الدكتور بن حلي عبد الله، نوقشت بجامعة وهران، سنة 1992.

10. شرشار (عبد القادر). "الرواية البوليسية- بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية، وأثر ذلك على الرواية العربية"، من إشراف الدكتور أمين الزاوي. جامعة وهران. 1992،

11. - بن عبد الله (الأخضر). موضوعة جان دارك في الأدب العالمي- فرنسي- إنكليزي –ألماني- دراسة تيماتولوجية مقارنة من 1429 إلى منتصف القرن 20 " من إشراف د. عبد المالك مرتاض، جامعة وهران . 1992

12. عليوي (فاطمة). " صورة البطل التراجيدي في المسرح الغربي و المسرح العربي"، من إشراف الدكتور يونس لوليدي ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. سنة 2002

13. غرناط (محمد) . "مؤثرات الرواية الجديدة في الرواية العربية1970-1980 – ألف ليلة وليلتان نموذجا إشراف الدكتور حسين المنيعي. -"، نوقشت سنة 1989 بفاس – جامعة سيدي محمد بن عبد الله،

14. فرقاني (جازية). " تجليات التغريب في المسرح العربي –سعد الله ونوس نموذجا-"، إشراف الدكتور عبد الملك مرتاض. جامعة وهران.2004

15. كاريمي (سعيد). "مسرح القسوة وانعكاساته على التجريب في المسرح الغربي والمغربي" ، من إشراف الدكتور يونس لوليدي، جامعة المولى اسماعيل بمكناس، سنة 2002.

16. مسلاتي (نسيمة) . "أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند "جان جاك روسو" و"برنارد شو" و "توفيق الحكيم"" ، إشراف مختار نويوات، جامعة الجزائر. 2007.

17. مقيديش (سعيد). "أثر فلوبير في روايات محمد حسين هيكل – دراسة مقارنة بين مدام بوفاري وهكذا خلقت". إشراف. د شريفي عبد الواحد

18. مناد (الطيب). " أثر المسرح الملحمي البريختي على أعمال ولد عبد الرحمن كاكي المسرحية – دراسة مقارنة لنموذجي "الإنسان الطيب في ستشوان" لبرتولت

بريخت و "القراب و الصالحين" لولد عبد الرحمن كاكي" ، إشراف الدكتور أمين الزاوي، نوقشت بجامعة وهران سنة 1996.

19. مبروك (قادة). "رشيد بوجدرة في ضوء المؤثرات الأجنبية". إشراف د. بن عبد الله لخضر . 97/96

20. مغربي (هوارية) ."_صورة العربي بين "فرانس كافكا " و " ألبير كامي " – بحث في الصورائية المقارنة" ، إشراف: بن عبدالله الأخضر،جامعة وهران سنة 2003.

21. ، نضيفي (رجاء)حول Le Proche Orient Arabe d'apres des recits de voyage et les texts de fiction en langue française de 1880 à 1939. "الشرق الأدنى العربي من خلال كتب الرحلات و النصوص الخيالية المكتوبة باللغة و الفرنسية من 188. إلى 1939" ، إشراف الأستاذ جان بييرو Jean Pierrot.

V -المراجع الأجنبية:

1- BRUNEL / PICHOIS / ROUSSEAU .Qu'est ce que la littérature comparée ? Paris .Armand Colin.

2- De Grève (Claude).Eléments de littérature comparée. Thèmes et mythes. Hachette.1995.

3- ETIEMBLE (René). Essais de littérature (vraiment) générale.Gallimard.1974.

4- ETIEMBLE (René). Comparaison n'est pas raison. Paris. Gallimard.1963

5- LAHJOMRI Abdeljlil, L'image du Maroc dans la littérature française (de Loti à Montherlant) ,Alger,SNED,1973.

6- Marino (Adrian).Comparatisme et théorie de la littéraure.PUF.1988.

7- PAGEAUX (Daniel.H).La littérature générale et compare.Paris.A.Colin.CURSUS.1994.

8- TROUSSON (Raymond), Les études de thèmes (Esssai de méthodologie) , Paris, M.J.MINARD. Lettres Modernes. 1965.

الفهرس

الفهرس

1.4 خليل الهنداوي

2 -التأسيس

1.2- غنيمي هلال

3 -الترويج

1.3- الأدب المقارن بعد غنيمي هلال

2.3- صفاء خلوصي

3.3- عبد المنعم خفاجة

4.3- حسن جاد

5.3- عبد السلام كفافي

6.3- طه ندا

7.3- عبد المنعم إسماعيل

8.3- ريمون طحان

9.3- ابراهيم عبد الرحمن

10.3- محمد بديع جمعة

11.3- عبد المطلب صالح

12.3- حسام الخطيب

13.3- سعيد علوش

14.3- الطاهر مكي

IV - الميث MYTHE

V - الصورائية في المغرب العربي

1 - صورة "الأنا" في أدب "الآخر".

2 - صورة "الآخر" في أدب "الأنا"

3 - صورة "الأنا" في أدب "الآخر"و صورة "الآخر" في أدب "الأنا"

VI - النموذج التطبيقي I

- " المغرب وأوربا نظرات متقاطعة" لعبد النبي ذاكر

VII - النموذج التطبيقي II

- صورة أولاد نايل في الأدب الفرنسي من 1830-1930 لبلميلود عثمان

الفصل الخامس: " حقل الموضوعاتية"

I - تعريفه

II - منهجية البحث في حقل الموضوعاتية

III - دراسات التيماتولوجيا في المغرب العربي

IV - النموذج التطبيقي I

"موضوعة جان دارك في الأدب العالمي فرنسي –إنكليزي- ألماني دراسة تيماتولوجية مقارنة من1429إلى منتصف القرن 20"لابن عبد الله الأخضر

V - النموذج التطبيقي II

"أسطورة بيجماليون في المسرح الفرنسي والإنجليزي والعربي عند جان جاك روسو و برنارد شو و توفيق الحكيم" لنسيمة عيلان